

راكي عنایت

المساویرات الخفیه

فی حیاتیات العائلیة، الجنسیة، والعملیة



دار الشروق



المناورات الخفية

في حياتنا العائلية والجنسية والعملية

الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

دار الشروق

إهداء 2004

٢٩٢٤٨١٤ - ٢٩٢٤٨١

93091 SHROK UN

٨١٧٢١٣ - ٨١٧٧١٥

SHOROK 20175 L

دار الشروق

القاهرة

٢٠٠٤

راحي عنائيت

المنافرات الخفية

في حياتنا العائلية والجنسية والعملية

دار الشروق

هَذَا الْكِتَابُ

هذا الكتاب ، إذا ما تناولته بجديّة ، يساعدك في الوصول إلى اجابة مقنعة ، أقرب إلى الاكتشاف المبر ، على كل التساؤلات التي تدور في ذهنك ، حول ما لا تجد له تفسيراً من العلاقات البشرية التي تدور حولك ، أو تجرى معك . إنه يساعدك على فهم كل ما يبدو غريباً ، وبلا تعليل ، من تصرفات من تحتك بهم ، في علاقاتك العاطفية والزوجية والعملية .

عندما تتطلع حولك في محيط الأسرة ، أو العمل ، أو غير ذلك من مجالات الاحتكاك الاجتماعي ستجد العديد من التصرفات غير المبررة أو المنطقية ، تصدر عن أشخاص يفترض فيهم النضوج والقدرة على الالتزام بالسلوك السليم . وإذا كنت على قدر أكبر من الأمانة مع النفس ، ستكتشف ان بعض تصرفاتك أنت ، في مواقف معينة ومع أشخاص معينين ، تبدو لك غريبة ، وكأنها صادرة من شخص آخر .

أسئلة كثيرة ستجد اجابة كاملة عنها في هذا الكتاب ..

- هذا الشاب الناجح الذكي المحبوب ، لماذا اختار بالذات هذه الفتاة سيئة الطبع ، التي تفتقد أي قدر من الجمال ، كزوجة له ؟ .. لماذا اختارها من بين عشرات الجميلات الدمثات المتعلات اللاتي عرضن عليه ؟ .

- هذا الشخص المتعلم المتفوق الذكي ، لماذا يفشل في كل مشروع

يتصدى له ، بينما ينجح في هذه المشاريع من هم أقل منه ذكاء وخبرة ؟ ..
لماذا يبدو وكأنه يسعى باجتهاد إلى الفشل ، كلما سارت الأمور على مايرام .
قام بحركة قاتلة ، تهدم كل ما بناه ؟ .

- هذه الفتاة ، لماذا تفعل كل ما يقنع ذلك الشاب بأنها تحبه وتريده ،
وعندما لا يستجيب ، تصعد التلميحات حتى تصل بها إلى حد التصريحات
المكشوفة ، لكن ما أن يتقدم خطوة نحوها حتى تعلن رفضها له ، محاولة تصوير
الأمر وكأنه هو الذى فرض نفسه عليها ؟ .

- وهذا الموظف لماذا يتسم جهده دائما بالنقص والقصور ، رغم ما
يتصف به من ذكاء وكفاءة ؟ ، وما هو سر التماع العينين بالفرحة ، وشبح
الابتسامة الذى يرتسم على شفثيه ، كلما تلقى كلمات التوبيخ والتأنيب من
رؤسائه ؟ .

- وما سر هذه الضجة التى يثيرها الزوج ، مع الحرفى الذى جاء لاصلاح
صنبور المياه ، رغم أن العملية بأكملها لم تكن تستحق منه مثل هذا
الضجيج ؟

- وربة البيت المثقلة بالأعباء ، فى عملها وفى منزلها ، لماذا تسعد بقبول
المزيد من التكاليف والمهام الثقيلة ، كلما شعرت أنها أصبحت عاجزة عن أداء
مهامها الأصلية ؟ .

- وهذه الزوجة ، لماذا ترفض أى علاقة جنسية مع زوجها ؟ ، وعندما يصل
الزوج إلى حالة اليأس ، ويكف عن محاولاته ، لماذا تصعد أساليب اغرائها له ،
وتسعى إلى اثارته بكل وسيلة ؟ .. ثم ما هى صرختها فى وجهه ، عندما يعود إلى
المحاولة ؟ .

- وهذا اللص المحترف ، لماذا يبدو في تصرفاته وكأنه يترك بطاقته في مكان الجريمة ، مما يساعد رجال الشرطة إلى الوصول إليه ؟.

كل هذه الأسئلة ، والعديد من الأسئلة الأخرى ، التي تمس أكثر أمور حياتنا حساسية ، يمكن أن تجد اجابات شافية لها ، لو أننا فهمنا أساس المناورات الخفية التي نمارسها في حياتنا اليومية

سنكتشف أن كل تعامل بين البشر ، يكون له معناه الخفي المستور ، الذي يتناقض مع معناه الظاهر للجميع . وأن البشر يقيمون القدر الأعظم من علاقاتهم ، على أساس مجموعة من السيناريوهات السرية ، أو التعاقدات الضمنية غير المعلنة . وسنعرف مدى الخطورة التي تقود إليها هذه المناورات ، وطاقة التخريب الهائلة التي تنطوي عليها .

وأخيرا ، سنأخذ فكرة عن الوسائل الكفيلة بإيقاف هذه المناورات ، والطرق التي تقود إلى تبني علاقات بشرية أمينة صريحة ، ذات وجه واحد ، من خلال التآلف الصادق .

* * *

يتضمن هذا الكتاب حصيلة الجهد الكبير الذي بذله عدد من أساتذة علم النفس الاجتماعي ، على مدى سنوات طويلة ، وعلى رأسهم دكتور اريك بيرن ، الذي يعود إليه أكبر الفضل في اكتشاف الحقائق التي تكمن وراء التعاملات الدائرة بين البشر

وقد حرصت على أن أضمن هذا الكتاب أكبر عدد من الألعاب الخفية التي درسها بيرن ، والتي استطاع تحليلها ، وتوصل إلى أسلوب علاجها . ولكني حرصت في نفس الوقت على أن يتضمن الكتاب جهد زملائي وتلاميذته ، ممن أضافوا إلى رؤيته ، وساعدوا على تطويرها ، من أمثال دكتور

توماس هاريس ، ودكتور تشابمان ، وسافيل ساكس ، وساندرا هولاندر
وكلود شتاينر .

وأعتقد أن فهم حقائق هذا الكتاب ، مفيدة أيضا بالنسبة لمؤلفي الروايات
والقصص والمسرحيات والمسلسلات التليفزيونية ، فهي تمدهم بزيادة من
المعلومات والمعارف ، التي تساعد على رسم شخصياتهم بشكل أكثر ثراء
وخصوبة . وقد قمت بمحاولة على هذا الأساس ، خلال السبعينيات ،
فكتبت ١٥ حلقة من الدراما التليفزيونية ، تحت اسم « لعبة كل الناس » ،
قدمت فيها نموذجا لكيفية الاستفادة من حقائق هذا الكتاب في رسم
الشخصيات الدرامية .

* * *

هذا كتاب للقارئ العادي ، لا يقتضى معرفة مسبقة بالغاز المدارس
والممارسات النفسية . ولا يعتمد على اصطلاحات أو حقائق يصعب على
القارئ العادي أن يفهمها ، ويدرك مغزاها .. إنه وسيلة فعالة وواضحة
لمساعدة الذات .

راجى عنايت

مايو سنة ١٩٨٩

مقدِّمة

كلما تأملت أحوال المخلصين من الأطباء والمحللين النفسيين ، أشفقت عليهم ، وتذكرت قول أحد المفكرين ، الذى وصف جهد الواحد منهم ، بأنه فى عمله يشبه شخصا معصوب العينين . يبحث فى حجرة كاملة الاظلام ، عن قطرة سوداء ، غير موجودة بالحجرة ! ..

وحالة عدم الرضا التى تتصاعد على مر السنين ، لا تقتصر على الأطباء النفسيين ، ولكنها تمتد وتشمل الأطباء عامة .

الثابت ، أننا بدأنا نتمرد على كل الممارسات التى تمس السلامة الصحية للإنسان . نتمرد على عجز العلوم الطبية ، حتى الآن ، فى الوصول إلى طريقة أمثل لوقاية الإنسان ككل من كل ما يهدد سلامته . نتمرد على شيوع الخلاء بين الأطباء ، بمختلف تخصصاتهم ، رغم عجزهم عن التصدى لحوالى ٨٥ فى المائة من الأمراض ، والتى يقولون عنها إنها أمراض (سيكوسوماتية) ، أو عقلية جسدية .. أو بمعنى أكثر صراحة وأمانة ، أمراض لم يوفق الطب الأكاديمي حتى الآن فى الوصول إلى طريقة لفهمها ومواجهتها .

نتمرد بالتحديد على الأطباء والمحللين النفسيين ، نتيجة لطول أمد العلاج ، وارتفاع تكلفته ، وضعف النتائج التى يحققها . وفى هذا المجال ، لا يقتصر التمرد ونفاذ الصبر المتزايد على المرضى وذويهم ، وعلى الراى العام ،

ند لها صدى فى خبراته اليومية ، وفى اتصاله بغيره من البشر .
وفى هذا يقول دكتور توماس هاريس أستاذ الطب النفسى :
« إننا ندين بالفضل لدكتور إريك بيرن . فهو من خلال تطويره لمضمون
تحليل التعامل) ، قد خلق نظاما مترابطا للعلاج النفسى الفردى والجماعى ،
يهوم على المستوى النظرى ، وفعال على المستوى التطبيقى » .

* * *

والآن ، دعنا نمضى معا إلى العالم الذى فتح إريك بيرن أبوابه ، والذى
وفر لنا اجابات شافية على الكثير من التساؤلات التى تواجهنا فى الحياة
ليومية ، حول علاقتنا بالآخرين ، وعلاقة من حولنا ببعضهم البعض .

الفصل الأول

الحالات الشعورية للإنسان

التعامل ضرورة لا غنى عنها للفرد

قلت إن هذا الكتاب يتوجه إلى القارئ العادى ، وإنه لا يحتاج إلى معلومات متخصصة فى علم النفس ، أو التحليل النفسى ، أو العلاج النفسى ، ولو كانت المناورات الخفية حالة خاصة فى سلوك البشر ، لما كانت هناك حاجة إلى التوجه بالحديث عنها إلى القارئ العادى غير المتخصص . لكن ، إذا عرفنا أن شقا كبيرا من حياة الغالبية العظمى من البشر ، يقوم على ممارسة هذه المناورات أو الألعاب ، فى أكثر الدول تحضرا كما فى غابات أواسط أفريقيا ، ظهرت لنا الحاجة إلى طرح خفايا هذا الموضوع طرحا عاما ، بهدف جعل حياتنا أكثر صدقا وأمانة ونفعا . لهذا وجدت من الضرورى أن أطرح - بأقل غوص فى التفاصيل والمصطلحات - الأساس العلمى الذى قامت عليه عملية تحليل التعاملات بين البشر ، والتى تسعى إلى تقليل خطر هذه المناورات على حياتنا .

البحث عن الأساس :

من أسباب النقد الذى يوجه لعلم العلاج النفسى - كما أرسى أصوله سيجموند فرويد - هو أنه غير علمى !... وينبع هذا الموقف ، أساسا ، من أن العلاج النفسى لم يتوصل إلى وحدة

أساسية . يرتكز عليها في ملاحظاته إنها نفس الصعوبة التي واجهت علماء الطبيعة ، قبل التوصل إلى النظرية الجزيئية ، وعلماء الطب قبل التوصل إلى البكتيريا .

لقد كان إريك بيرن هو أول من استطاع تحديد هذه الوحدة العلمية الأساسية ، وقدم تعريفا لها وهو الذى أطلق عليها اسم « التعامل » . ونتيجة لهذا الكشف ، توصل بيرن إلى تحليل التعاملات بين البشر ، وإلى تطوير منهج متكامل لاختبار أى « تعامل » ، وتحديد مصدر هذا التعامل ، داخل طرفيه أو أطرافه . وهكذا استطاع أن يقدم لنا إجابة عن سؤال مازال يحيرنا : « لماذا يفعل الناس مايفعلونه ؟ » .

التنبية احتياج حيوى :

من العناصر الأساسية التى تحكم فعل الفرد ، حاجته الشديدة إلى التنبية ، إلى أن يبدى الناس من حوله مايفيد أنهم يشعرون بوجوده . هذه حقيقة أولى يعتمد عليها بيرن فى بناء نظريته . لقد انتبه بيرن إلى أن الأطفال الذين يحرمون من الرعاية والاهتمام لفترات طويلة ، يتعرضون لحالة من التدهور ، تقود فى نهاية الأمر إلى إصابتهم بسلسلة من الأمراض المتداخلة . فالحرمان العاطفى يمكن أن يؤدى إلى نتائج خطيرة . لقد اكتشف بيرن أن الإنسان يشعر بحاجة ملحة إلى التنبية ، أو تلقى الاشارات من الغير ، كما يشعر بحاجته إلى الطعام .

ولعل خير مثال لهذا . هو حالة الأفراد الذين يحكم عليهم بالحبس الانفرادى لفترات طويلة . ويدرك العاملون فى حقل الجريمة أن السجناء الذين يتحملون أقسى العقوبات البدنية ، يخافون أشد الخوف عقاب الحبس الانفرادى .

غريبة ، لعدم شيوعها في حديثنا ، لكنها الترجمة الأقرب إلى كلمة STROKE الإنجليزية . في مجالنا هذا . والربت هو ما نطلق عليه في لغتنا الدارجة (الطبطة) . وهو ما تفعله الأم عندما تضرب بيدها - بخفة ورقة - على وليدها ، حتى ينام . وتأخذ الربتات أشكالاً مختلفة ، في مناسبات مختلفة . بعض الناس يربتون على الطفل بالمعنى الحرفي للكلمة . والبعض الآخر يختصن الطفل ، أو يقرصه مماًزحاً ، أو يمسد شعر الطفل ويسويه ، أو يدغدغه بطرف إصبعه . والربت في جميع هذه الأحوال إعلان منا عن وجود الطفل .

يستخدم إريك بيرن اصطلاح « الربت » ليشير إلى أى فعل يستهدف الاعتراف بوجود شخص آخر ، طفلاً أم بالغاً . وبهذا يعتبر « الربتة » وحدة أساسية للفعل الاجتماعي . أما تبادل « الربتات » بين شخصين ، فيطلق عليه اسم « التعامل » ، على اعتبار أن التعامل هو الوحدة الأساسية للعملية الاجتماعية .

حرصت على إبراد هذه الاصطلاحات لأنها تتضمن مع غيرها الأساس الذي نعتمد عليه في فهمنا لسر ما يجري بين الناس في حياتهم اليومية .

* * *

بعد أن تتحقق للفرد رغبته الملحة في أن يبدى الآخرون مايفيد الاعتراف بوجوده ، بعد أن تنتهى التحيات والسلامات ، ما الذى يفعله الفرد في اعقاب ذلك ؟ .. ماهى الطرق التى يشغل بها وقته في تعامله مع الآخرين ؟ ..

كيف نشغل أوقاتنا ؟

ماذا بعد ؟

ماذا يفعل الناس بعد الانتهاء من تبادل التحيات التقليدية ؟ .
عرفنا أن سعى الإنسان إلى التنبيه ، وإلى أن يبدى الآخرون مايفيد
إحساسهم بوجوده ، يقود إلى سعيه إلى التعامل مع الآخرين ، فبدون هذا
التعامل لايتحقق له التنبيه المطلوب . وعندما يصبح التعامل احتياجا ، تظهر
أمام الشخص مشكلة جديدة : كيف يشغل دقائق أو أيام أو أعوام تعامله مع
الآخرين ؟ .

لو تأملنا حياة أى فرد منا ، لوجدنا أن الفرد تكون لديه ثلاثة مجالات
رئيسية ، يشغل بها ساعات يومه ، منذ أن يستيقظ وإلى أن ينام :
● مجال النشاط العملى أو المادى ، أى العمل الذى يقوم به أو الوظيفة التى
يتولاها .

● مجال الطقوس ، أو التعاملات التى يرسم المجتمع اطارها (توديع ،
استقبال ، أفراح ، مآتم) .

● مجال فردى ، وهو يتضمن التعامل الفردى مع الآخرين ، فى غير العمل
الفعلى أو الطقوس .

هذا التقسيم هام جدا ، فى تعرفنا على التربة التى تنمو فيها الألعاب أو

الذاكرة وجراحة المسخ

أظهرت الملاحظة الدقيقة للنشاط الاجتماعي التلقائي ، أن الناس يظهرون من وقت لآخر ، تغيراً ملموساً في حركاتهم ، ووجهات نظرهم ، وأصواتهم ، ومفرداتهم ، وغير هذا من مظاهر سلوكهم . هذه التغيرات في سلوك الشخص غالباً ما تكون مقترنة بتغيرات في المشاعر...

ولكى نفهم هذا ، نأخذ على سبيل المثال حالة مدير في إحدى الشركات .

هذا المدير ، عندما يلتقي مع زملائه من المديرين ، في اجتماع بالشركة ، لبحث وسائل زيادة الإنتاج ، يتبادل مع زملائه الخبرات والآراء والأفكار بشكل موضوعي . ومن خلال هذا يسعى الجميع إلى أن يصلوا إلى إجراءات تؤدي إلى زيادة الإنتاج . لو تأملنا هذا المدير ، خلال الاجتماع ، سنلاحظ أنه يستعمل مفردات معينة ، ولغة خاصة ، وطبقة صوت محددة . كما نلاحظ أنه في جلسته ، وفي حركات رأسه ويديه ، يلتزم بطريقة خاصة . سنجد أن حديثه خلال هذا الاجتماع ، تتواتر فيه تعبيرات مثل « بناء على إحصائيات العام الماضي ، فإنني أرجح .. » ، و « مع اقتناعي برأي الزميل إلا أنني أشعر أنه أغفل جانب التوزيع في ... » ، إلى آخر هذه التعبيرات التي

الأحداث القديمة يتم بطريقة لا إرادية ، أى أن هذه الحالات الشعورية القديمة ، تقفز إلى السطح بمجرد لمس نقطة من المخ ، دون أن تتدخل إرادة المريض . إنه لا يستدعى ذاكرة الحدث ، لكن الحدث يفرض نفسه على اللحظة . وأن الإنسان فى هذه الحالة يكون الممثل والمتفرج فى آن واحد . يقول دكتور توماس هاريس ، زميل دكتور اريك بيرن «إن الذكريات تثار بمنبهات الخبرات اليومية لكل إنسان ، بنفس الطريقة التى أثرت بها اصطناعياً بواسطة القطب الذى يمسك به دكتور بينفيلد» .

* * *

على أساس هذه التجارب ، وبالملاحظات العملية الدائبة ، استطاع دكتور اريك بيرن أن يحدد ثلاث حالات شعورية أساسية تصدر عنها تصرفات الشخص فى حياته .

الوالد . البالغ . الطفل

يبدو أن كل شخص يكون لديه ، تحت الطلب ، مخزون جاهز لحالات الأنا المتباينة ، أو الحالات الشعورية المختلفة . وهذا المخزون يمكن تصنيفه على الوجه التالي :

- ١ - حالات (أنا) تشبه حالات (الأنا) عند الوالد .
 - ٢ - حالات (أنا) تتوجه بطريقة موضوعية مستقلة نحو التعرف الموضوعي على الواقع والتعامل معه .
 - ٣ - حالات (أنا) تمثل المخلفات القديمة المهجورة ، وإن كانت ماتزال نشطة ، والتي تنبع من التثبيت على مراحل الطفولة الأولى .
- ويعرض بين هذه الحالات الثلاث تحت اسم حالات (الوالد) و (البالغ) و (الطفل) .
- كلما دخل الشخص في تشكيل اجتماعي ، نجده في كل لحظة يكشف عن حالة من هذه الحالات الثلاث ، (الوالد) أو (البالغ) أو (الطفل) . ونجد أن الشخص يتقل من حالة إلى أخرى وفق استعداده الشخصي ، والموقف الذي يدخل فيه (حالة المدير مع زملائه ، ومع الموظف الصغير ، ثم وهو يلعب في النادي) .

إذا قلنا لشخص ما « هذا هو (الوالد) فيك » ، فهذا يعني ، « أنت الآن

التحليل التركيبي :

من المناسب ، عند هذه النقطة ، أن نرسم شكلاً تركيبياً ، يوضح تركيب الحالات الشعورية داخل الشخص ، أو الشخصية الكاملة لأي فرد ، شكل (١ - أ) . وهو يتضمن الحالات الشعورية للفرد باعتباره (والد) و (بالغ) و (طفل) . وقد تم الفصل بين هذه الحالات عمداً ، لأنها تختلف عن بعضها اختلافاً كبيراً ، ولأنها غالباً ما تكون متناقضة . قد يكون التفريق بينها غير واضح للملاحظ الذي لا يتمتع بخبرة كافية ، لكنها ما تلبث أن تبدى بشكل مؤثر ومثير للاهتمام ، بالنسبة لكل من يجهد نفسه في فهم التحليل التركيبي .

وعندما نورد فيما بعد اصطلاحات (الوالد) و (البالغ) و (الطفل) . بين قوسين هكذا ، فإننا نغني بذلك الإشارة إلى الحالات الشعورية المختلفة التي يمر بها الشخص الواحد . ويمثل شكل (١ - ب) تبسيطاً لشكل (١ - أ) ، سنلجأ إليه في التعبير عن الشكل التركيبي لأي إنسان .

والد
«و»

بالغ
«ب»

طفل
«ط»

(ب)

الشكل المبسط

الحالة
الشعورية
للأب

الحالة
الشعورية
للبالغ

الحالة
الشعورية
للطفل

(ف)

تركيب الشخصية

شكل (١)

كذلك ، إذا أردنا الدقة ، وإذا ما تحررت طاقات الابتكار والابداع والعفوية فيه .

وفي نفس الوقت يمكن أن يصبح (الطفل) مصدرًا للمشاكل في الشخصية ، إذا كان خائفًا ، أو مهددًا ، أو أنانيًا .

وعندما يبلغ الوليد عشرة أشهر من عمره ، وربما قبل ذلك ، يكون قد طور قدرات التحكم في حركاته ، والقوة اللازمة التي تتيح له أن يبدأ في استكشاف الأشياء ، واستكشاف نفسه . وما يلبث أن يحبو ، ويتسلق ، ويسير ، ويجرى . لقد دخل الآن العصر الذهبي للحركة الواسعة . وهو يفكر أيضًا ، مضيفًا إلى مضمون الحياة الذي تلقاه من والديه ، ومضمون الحياة الذي تبناه الطفل ، مضمونًا جديدًا للحياة من واقع خبراته الخاصة الجديدة . إنه يبدأ في تشكيل فهمه الخاص ، ويبدأ في الانفصال عن أمه ، ويتعلم أن يقول : لا . وعندما تنمو مفرداته اللغوية ، يبدأ في التساؤل : لماذا ؟ . كل هذه العناصر من النشاطات الفردية ، تكون مستمرة من ذلك الكيان النامي من شخصيته والذي نطلق عليه (البالغ) .

(البالغ) يعمل ويفكر ويتوقع ، ويحدد للشخص كيف ينجز الأشياء . ومع الوقت يبدأ (البالغ) في حساب العواقب . وبينما يتبنى (الطفل) موقف «أريد أن أفعل ..» ، يتبنى (البالغ) موقف «كيف أفعل ..» ، معتمدًا بشدة على ما تعلمه من والديه .

و (البالغ) ضروري لمواصلة الحياة ، فهو ينظم المعلومات والمعطيات ، ويحسب الاحتمالات ، وهو أمور ضرورية للتعامل مع العالم الخارجى ، بشكل فعال . فعبور شارع مزدحم ، على سبيل المثال ، يقتضى إجراء سلسلة مركبة من حسابات السرعة ، التي تقود إلى الجانب الآخر من الشارع بأمان ، وهذه من بين وظائف (البالغ) .

ولا يجب أن نعتبر (البالغ) مجرد جانب وظيفي من الشخصية ، فهو في نفس الوقت حالة يمكن أن يلاحظها الآخرون . فالشخص الذي في حالة (البالغ) يبدو مفكراً عقلاً ، يعيش (هنا) و (الآن) كما أن (البالغ) من واجبه تنظيم نشاطات (الطفل) و (الوالد) ، والعمل على التوفيق بينهما بشكل موضوعي .

أما (الوالد) فله وظيفتان أساسيتان . فهو الذي يتيح للفرد أن يقوم بدور الأب في مواجهة أولاده ، بكفاءة عالية ، الأمر الذي يساعد على تواصل الأجيال . وتنعكس هذه الوظيفة على تربية الأبناء . فالآباء الذين حرموا من الوالدين منذ صغرهم ، يكون هذا الواجب قاسياً عليهم ، حافلاً بالمصاعب والعقبات ، إذا قارنا بينهم وبين الآباء الذين تمتعوا في طفولتهم بحياة كاملة في أسرهم .

والوظيفة الثانية (للوالد) هي جعل ردود الفعل آلية ، مما يوفر قدراً كبيراً من الوقت والجهد . فالكثير من الأمور تتم بطريقة معينة ، لأنه « هكذا يجب أن تتم » . وهذا يعني الإنسان من التفكير في اتخاذ قرارات خاصة بالنسبة لأمر تافه قليلة الأهمية ، حتى يمكن أن يتفرغ لما هو أهم ، تاركاً (الوالد) يتخذ القرارات الروتينية . في حالة (الوالد) نحن ندير تسجيلات ، ولا نفكر .

الفصل الثاني

تحليل التعمّلات

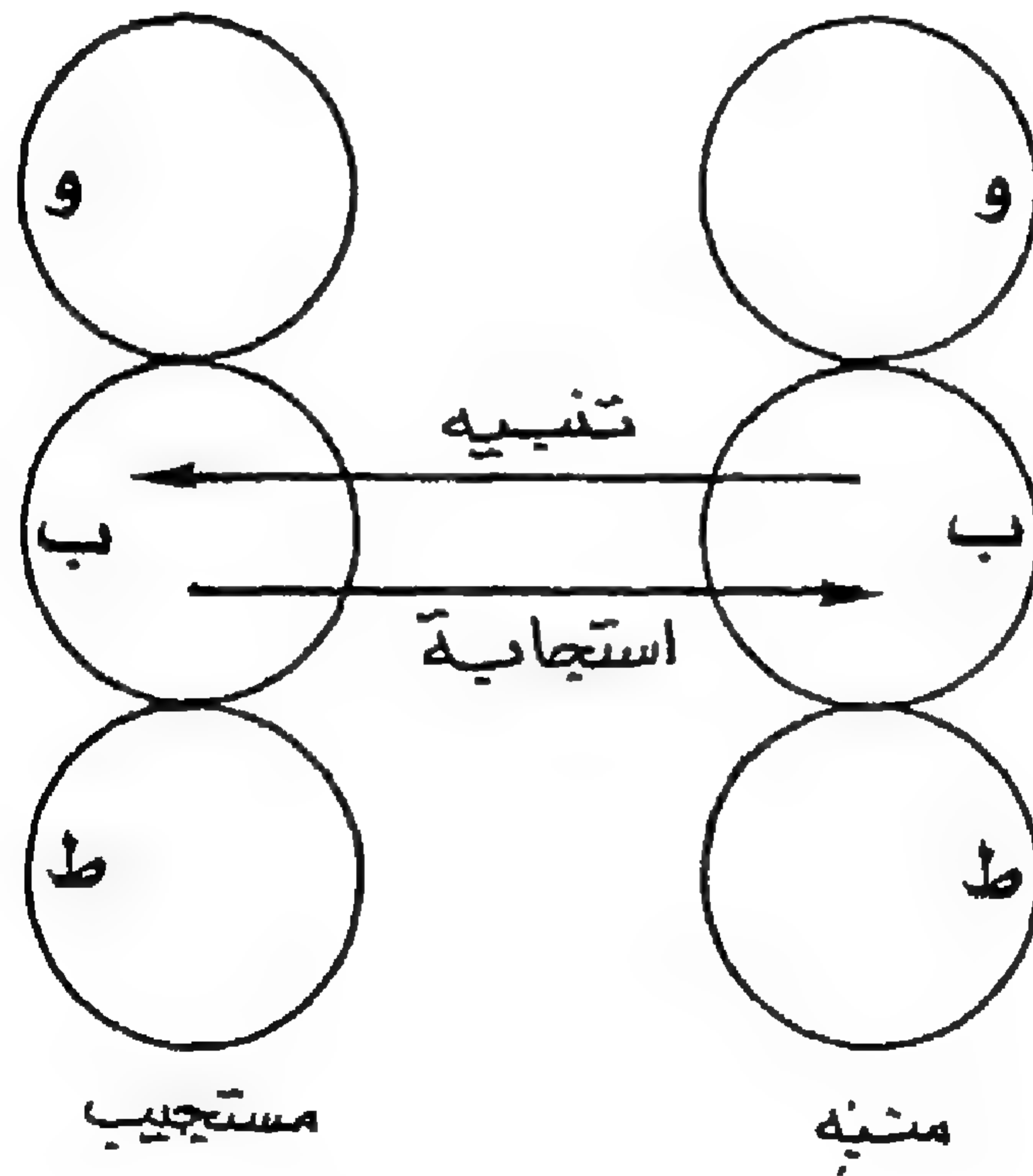
تحليل التعاملات

التعامل هو وحدة العملية الاجتماعية . إذا تقابل شخصان أو أكثر في تشكيل اجتماعي ، فسيتكلم أحد الأشخاص ، إن آجلاً أو عاجلاً ، أو يصدر عنه ما يفيد معرفته بوجود الآخرين . هذه الحركة الأولى يطلق عليها اسم (منبه التعامل) . ولابد للشخص الآخر أن يقول أو يفعل شيئاً ، يرتبط بشكل ما بهذا المنبه ، ونطلق على هذا (استجابة التعامل) .

وتحليل التعاملات البسيط ، يختص بتحديد نوع الحالة الشعورية التي صدر عنها منبه التعامل وكذلك التي صدرت عنها استجابة التعامل . وأبسط أنواع التعامل ، هو الذي يصدر فيه المنبه والاستجابة من موقف (البالغ) للأشخاص الداخلين في هذا التعامل . ففي العملية الجراحية ، يقدر الجراح (منبه التعامل) من الظروف التي أمامه ، إنه يحتاج إلى الشرط ، فيرفع كفه . المستجيب في هذا التعامل ، يدرك مغزى هذه الحركة بشكل سليم ، ويجري تقديرًا للجهد المطلوب ، والمسافات الداخلة في العمل المطلوب منه ، ثم يضع مقبض الشرط ، بالضبط حيث يتوقعه الجراح . والتعامل الأقل بساطة من السابق ، هو الذي يتم على مستوى (طفل - والد) . الابن المحموم يطلب كوباً من الماء ، فتستجيب أمه العطوف ، وتحضرها له .

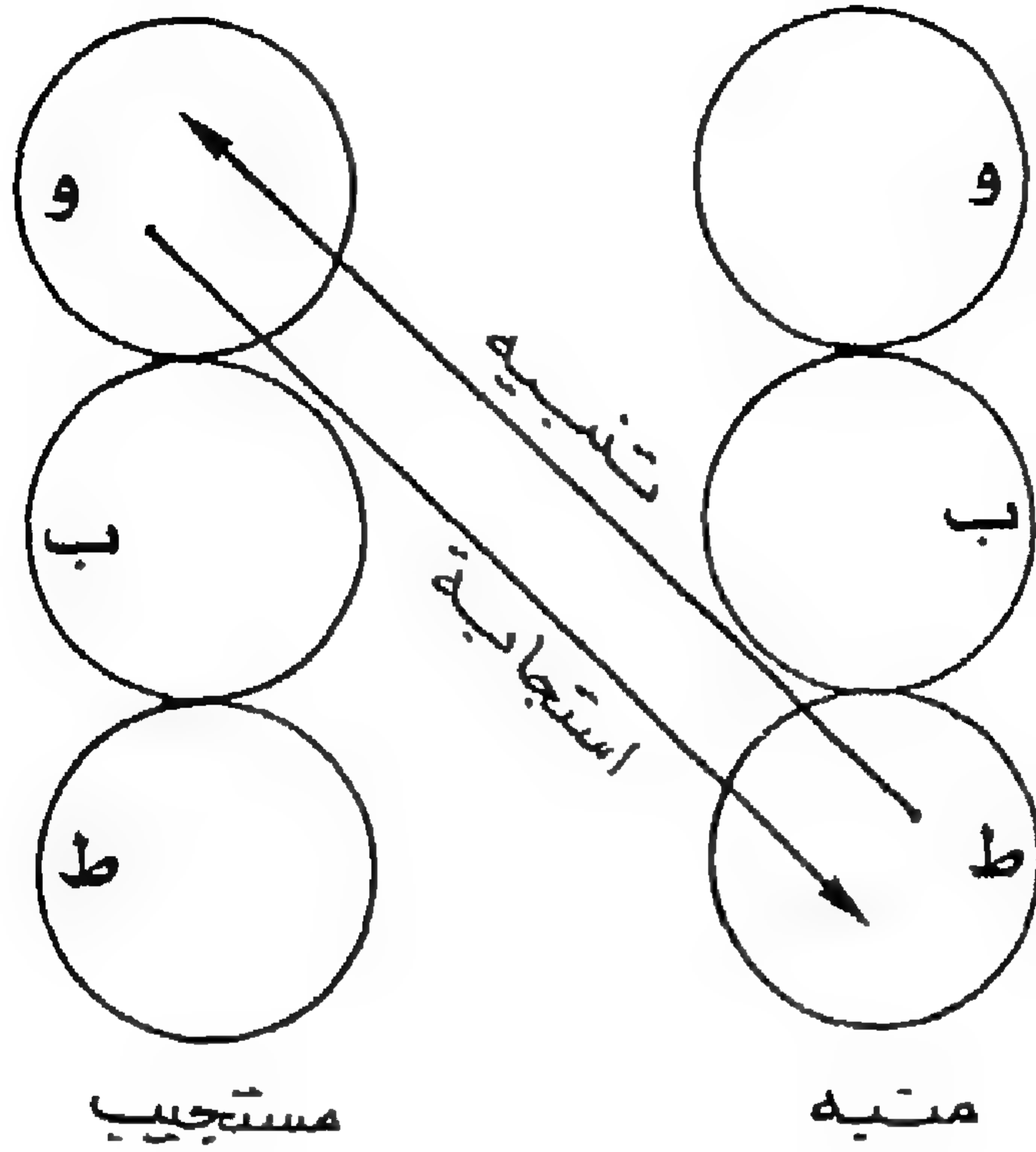
كل تعامل من التعاملين السابقين يعتبر متكاملًا ، بمعنى أن الاستجابة تكون متوقعة ومتوافقة مع النظام الطبيعي للعلاقات البشرية السليمة .
والشكل (٢-أ) يصور التعامل الأول ، وهو ما نطلق عليه « النمط الأول للتعامل المتكامل » . أما الشكل (٢-ب) فترى فيه تصويرًا للتعامل الثاني « النمط الثاني للتعامل المتكامل » .

ومن الثابت أن التعاملات تتم في سلسلة ، بحيث تصبح كل استجابة منبهاً جديداً . وأول قواعد الاتصال ، هي أن الاتصال يتواصل بيسر طالما أن التعاملات الداخلة فيه متكاملة . وهذه القاعدة لا تتوقف على طبيعة أو محتوى التعاملات ، وإنما على اتجاهات الأسهم الداخلة في التعامل .



تعامل متكامل

شكل (٢-ب)



تعامل متكامل
شكل (ب - ٢)

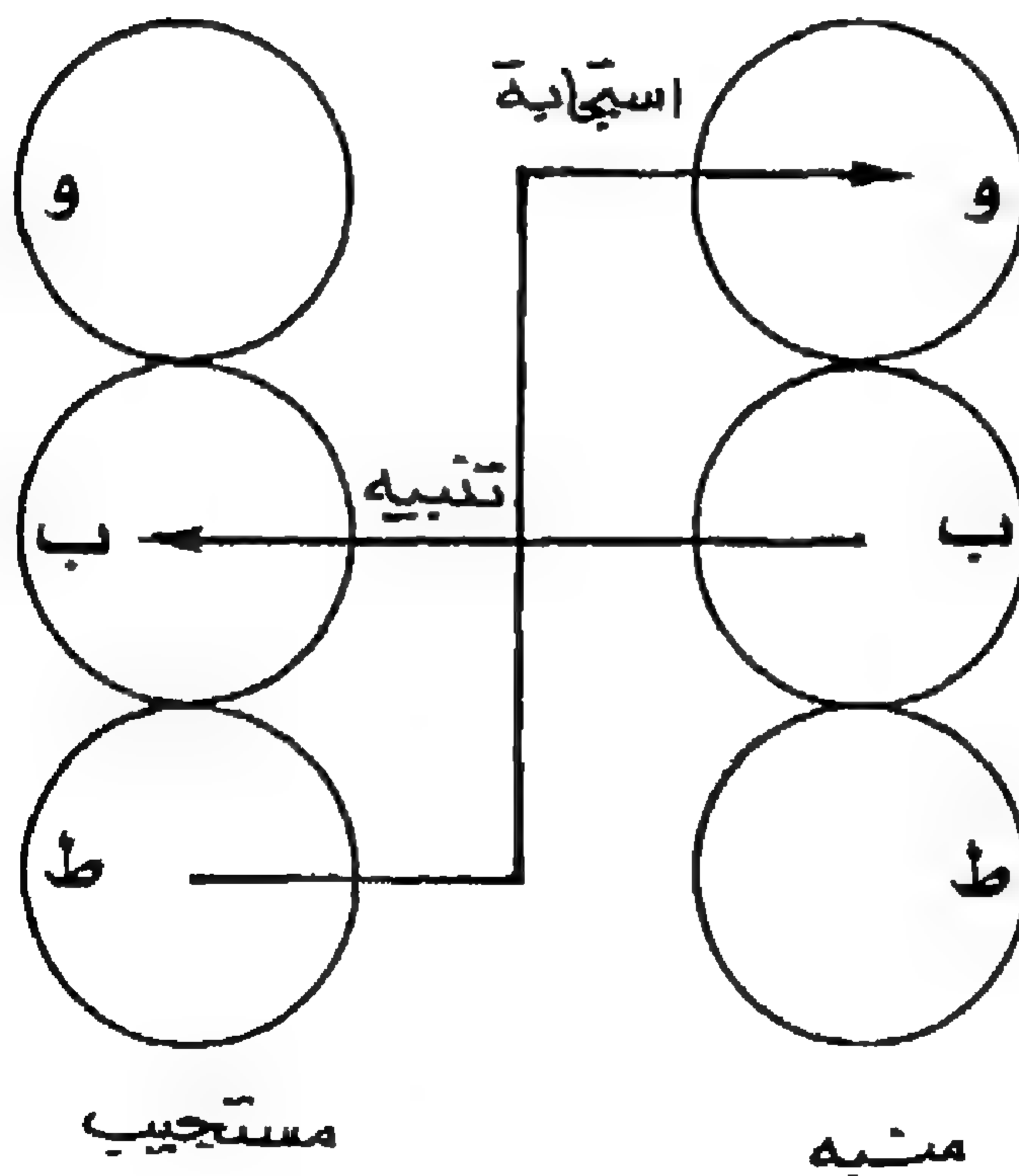
التعامل المقطوع :

مقلوب القاعدة السابقة هو أن الاتصال ينقطع عندما يظهر التعامل المقطوع .

وأكثر أشكال التعامل المقطوع شيوعاً يصوره شكل (٣ - أ) ، وهو مصدر معظم المشاكل الاجتماعية بين البشر في جميع المجتمعات ، سواء في الزواج أو الحب أو الصداقة أو العمل . وهذا النوع من التعامل المقطوع ، هو موضوع الاهتمام الأساسي للأطباء النفسيين .

الحوارات التالية ، تعطي مزيداً من الوضوح حول التعامل المقطوع واختلافه عن التعامل المتكامل .

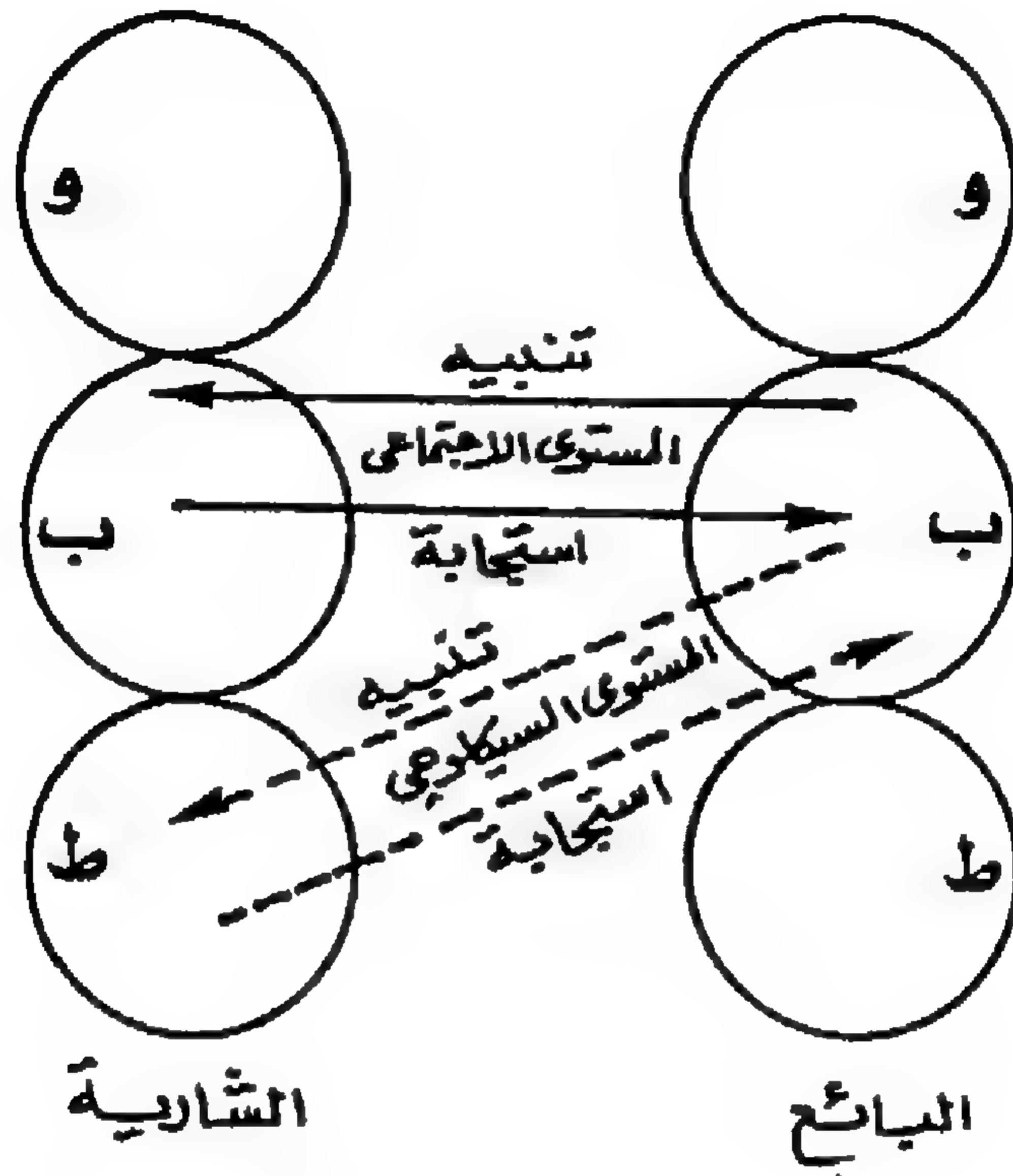
عندما يكون المنبه على مستوى (بالغ - بالغ) ، كأن تقول الزوجة لزوجها «علينا أن نصل إلى الأسباب التي قادت إلى احتسائك الخمر في الأيام الأخيرة» ، يكون المفروض أن يستجيب الزوج أيضاً على مستوى (بالغ - بالغ) ، فيقول «فعلاً» ، لابد من تحديد أساس هذه الظاهرة ، وأنا أحب أن أعرف الأسباب التي قادتني إلى هذا ..». وبهذا يكون التعامل متكاملًا. أما إذا كانت استجابة الزوج على مستوى (طفل - والد) ، فسيقول لزوجته ، بعد أن أثارت ملاحظتها غضبه « أنت دائماً تنقدين تصرفاتي ، بمثل ما كان يفعل أبي ! ..». لقد أصبح التعامل مقطوعًا .



تعامُل مقطوع

شكل (٣-٥)

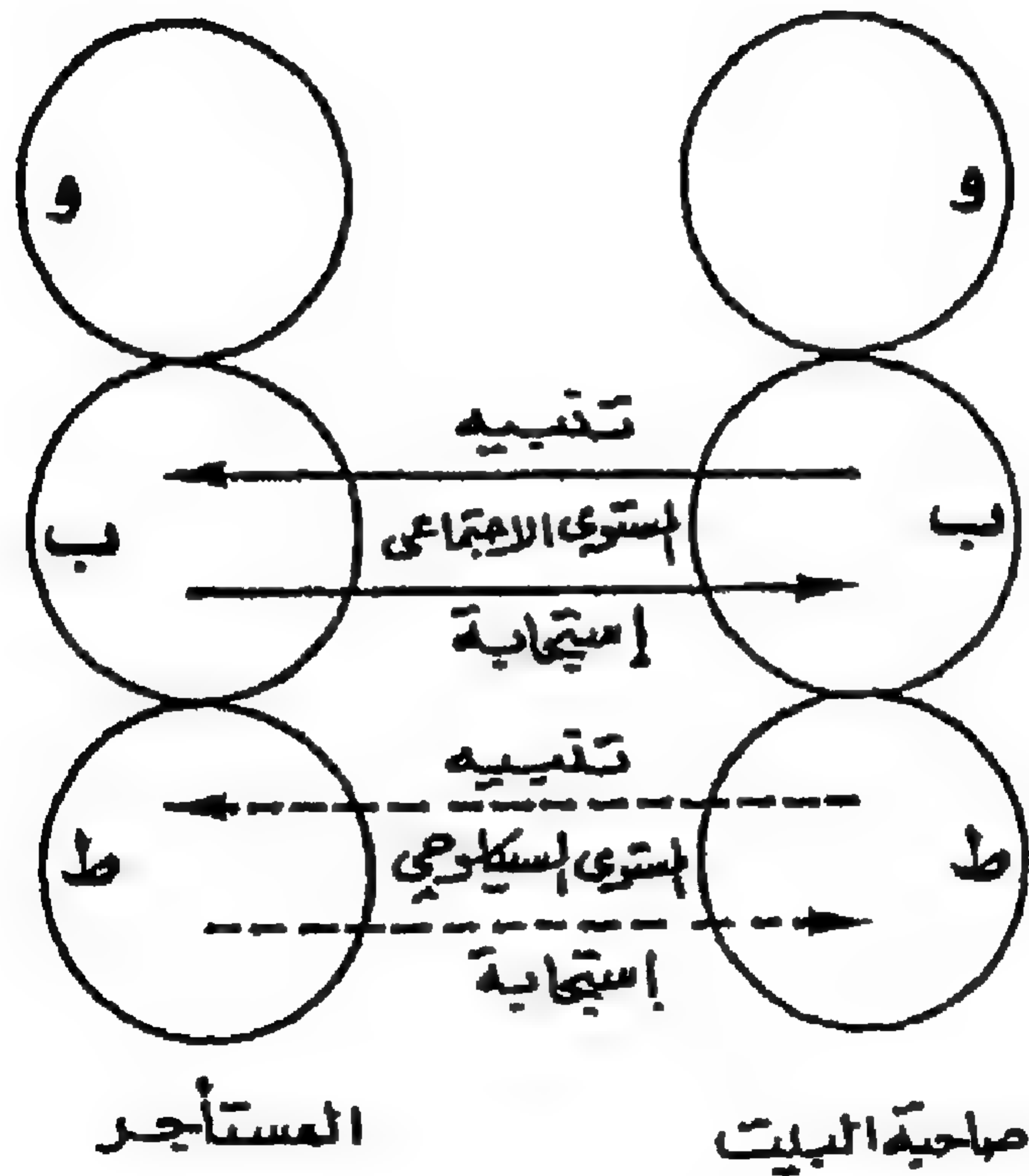
لا أقل عن أى من زبائنه ! . » .
 فى هذه الحالة ، يكون التعامل متكافئاً على المستويين . (بالغ - بالغ)
 على المستوى الاجتماعى الظاهر ، و (بالغ - طفل) على المستوى السيكولوجى
 السرى .



تعامل زاوى مزدوج
 شكل (٥ - ٢)

التعامل الخفى المزدوج :
 والتعامل الخفى المزدوج ، يتضمن أربع حالات شعورية ، وليس ثلاثاً .
 ويظهر غالباً فى ألعاب الغزل .
 صاحبة البيت : بعد أن استعرضنا الشقة ، يمكن أن نصعد لترى الغرفة
 التابعة لها على سطح المنزل .

المستأجر اللعوب : أعشق الغرف التي على السطح ، منذ صغرى .
وكما هو واضح في شكل (٥ - ب) ، يكون هذا الحوار ، على المستوى الاجتماعي ، بين (بالغين) ، ويدور حول الغرف التي على أسطح المنازل لكنه يكون في حقيقته على المستوى السيكولوجي الخفي ، حواراً بين (طفلين) عن الجنس ، حيث ترتبط غرف الأسطح بالمغامرات العاطفية الصبيانية . وفي كثير من الأحيان يتبّه المشاركون في مثل هذا التعامل إلى حقيقة منطلقها ، بشكل مفاجئ



تعامل مركب
شكل (٥-ب)

الإجراءات والطقوس

عادة ما تتابع التعاملات في سلاسل . ولا تكون هذه السلاسل عشوائية ، بل تخضع لبرامج سابق تحديدها . ومصادر هذه البرمجة أحد ثلاثة : إما (الوالد) ، أو (البالغ) ، أو (الطفل) . وبشكل أعم ، تكون : إما المجتمع ، أو الواقع المادى ، أو الغريزة .

وحيث أن الحاجة إلى التكيف ، تقتضى أن تتوفر حماية (الطفل) بواسطة (الوالد) أو (البالغ) ، إلى حين اختبار كل موقف من المواقف الاجتماعية ، فإن برمجة (الطفل) تجد مرتعاً خصباً في المواقف التى تتوفر فيها الخصوصية والألفة ، ولأن مثل هذه المواقف تتحقق بعد أن تنتهى الاختبارات الأولية .

وأبسط أشكال النشاط الاجتماعى هى : الإجراءات والطقوس . ورغم أن هناك جانباً محلياً فى الإجراءات والطقوس ، وجانباً عالمياً عاماً ، إلا أنها تدخل جميعاً فى خبرة الفرد بالتعلم .

الإجراءات :

الإجراءات هى سلسلة من التعاملات المتكاملة البسيطة ، التى يقوم بها (البالغ) ، والتى تستهدف التعامل مع الواقع .

والواقع ، يكون ثابتاً أو متحركاً .

الواقع الثابت ، يتضمن كل الترتيبات المحتملة للمادة فى الكون . وعلم

إليه رتبة ، ولكنه لم يقدم لي رتبة في مقابلها .
ورغم صعوبة التفريق بين الاجراءات والطقوس ، إلا أن الفرق الأساسي
بينهما أن الأولى تنبع من موقف (البالغ) ، بينما تصدر الثانية من موقف
(الوالد) .
والسمة العامة للاجراءات والطقوس ، أنها جميعاً ذات أنماط تقليدية
ثابتة ، بمجرد أن تبدأ الحركة الأولى فيها ، تتداعى باقى السلسلة من
الحركات ، إلا إذا نشأ ما يوقف هذا التسلسل .

التسلية

تتحقق التسلية (أو تمضيته الوقت) من خلال قوالب اجتماعية ومؤقتة متباينة في درجة تركيبها ، ومن ثم تتنوع درجة تركيب التسلية بمدى تركيب هذه القوالب .

إذا اتخذنا التعامل كوحدة للعملية الاجتماعية ، يمكننا أن نقطع من بين المواقف المناسبة ، كياناً خاصاً نطلق عليه اسم «التسلية البسيطة» . وهي سلسلة من التعاملات شبه الطقسية ، البسيطة ، المتكاملة ، تدور حول مجال مادي ، ويكون هدفها الأساسي ، شغل فترة خالية من الوقت ، بين فترتين مشغولتين ، إما بالاجراءات أو بالطقوس . ويتم برمجة التعاملات في فترة التسلية بحيث يحظى كل طرف داخل فيها بأقصى قدر من المكاسب أو المزايا ، خلال هذه الفترة .

الميدان الأكثر رواجاً للتسلية هو الحفلات (أو التجمعات الاجتماعية) ، وفترة الانتظار قبل بدء اجتماع رسمي عام . قد تأخذ التسلية شكل ما نسميه (الدردشة) ، أو قد تكون على درجة من الجدية ، بأن تتضمن نقاشاً حول فكرة ما .

وهناك أكثر من طريقة لتصنيف التسلية . التصنيف الظاهري يتضمن التسلية السيكلوجية (ويدور الحديث فيها عن الجنسية أو العمر أو الحالة الزوجية ، أو الثقافة ، أو الأحوال الاقتصادية) . هناك تسلية السيارات التي

كل الأبناء يعانون من الاضطهاد .

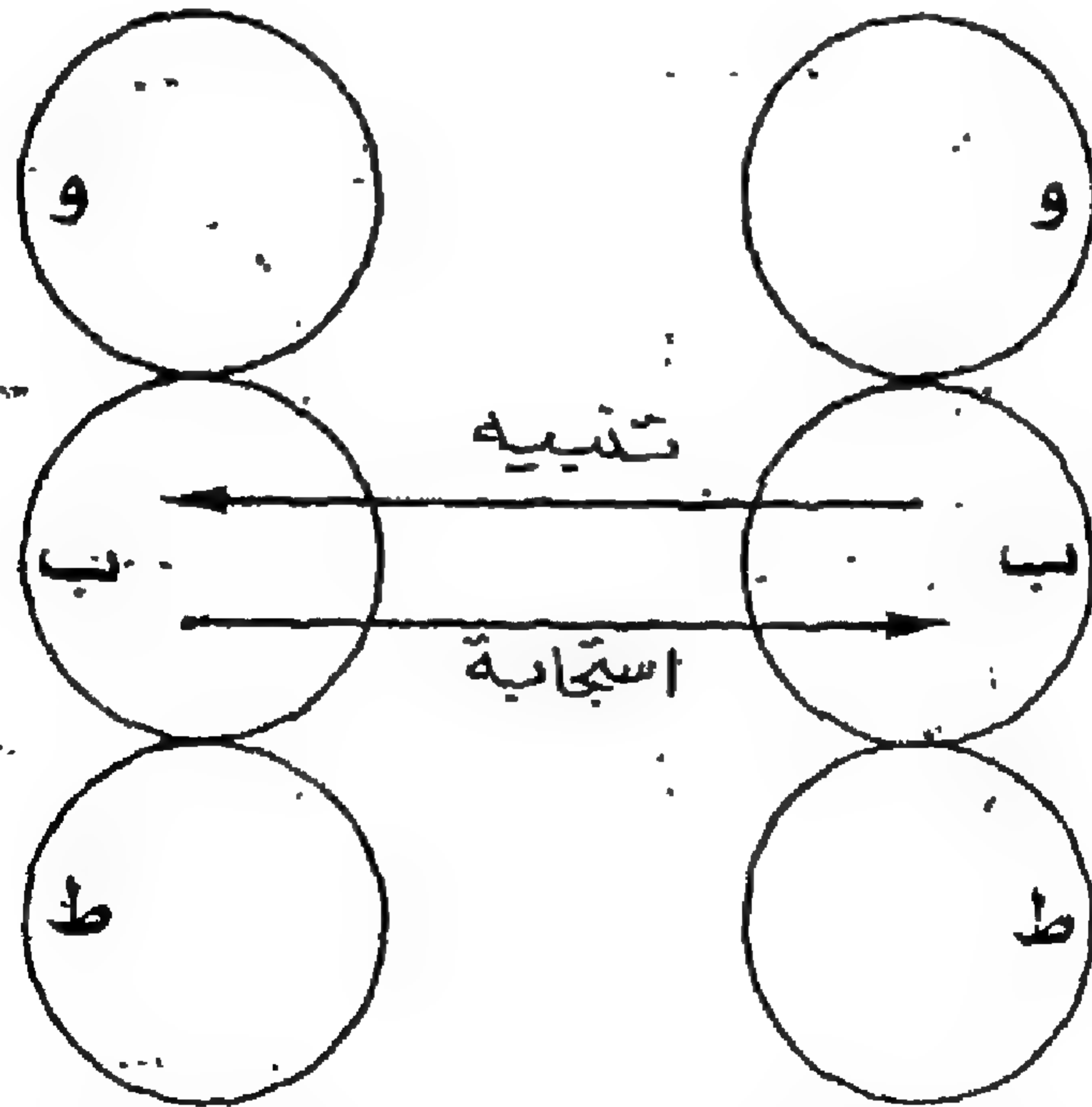
وكل موقف من هذه المواقف ، يكشف عن دور (الوالد) في كل حالة ، عنيفاً أم باراً أم متساهلاً أم منقذاً . ولاشك أن موقف الشخص يكشف عن تكوينه العقلي ، وهذا التكوين العقلي هو مصدر تعاملات الشخص التي تحدد دوره .

والتسليّة لا يسهل تمييزها عن النشاط العملي ، فغالباً ما يتداخلان . ففي تسليّة أنواع السيارات ، على سبيل المثال يدور الحوار كالتالي :

الأول : أنا أفضل سيارة (كذا) لأن محركها ...

الثاني : ولكن لا تنسى أن جسم سيارة (كذا) أكثر تحملاً للصدمات ، ولذا فإن ..

من الواضح أن الطرفين يمكن أن يصلوا إلى معلومات مفيدة عملياً من خلال هذه التسليّة .



شكل (ب - ٦)

تدني لا واعى
"التحليل النفسى"

الفصل الثالث

الآلِ عَابَ الخَفِيَّة

الألعاب

نصل أخيراً إلى الألعاب ، موضوع هذا الكتاب .
والألعاب ، هي سلسلة من التعاملات المتكاملة الخفية ، التي لا تستهدف
النفع المادى ، ولكنها تستهدف عائداً أو مكسباً سبق التنبؤ به ، وتحديد
تحديداً قاطعاً . وهي مجموعة متواترة من التعاملات ، غالباً ما تكون
متكررة ، مقبولة سطحياً ، لها هدفها المحدد . باختصار شديد ، هي سلسلة
من الحركات تتضمن فخاً أو مكيدة .

ويمكن تمييز الألعاب بوضوح عن الاجراءات والطقوس والتسلية ، نتيجة
لخاصتين أساسيتين تتمتع بهما :

(١) طبيعتها الخفية المستورة .

(٢) عائدها أو مكسبها .

الاجراءات قد تكون ناجحة ، والطقوس قد تكون مؤثرة ، والتسلية قد
تكون مفيدة ، ولكنها جميعاً رغم اختلافاتها تكون صادقة وصریحة ، قد تثير
بعض المنافسة ولكنها لا تثير صراعاً . ونتائجها قد تكون مثيرة ولكنها لا تكون
مأساوية .

أما الألعاب ، فتكون أساساً غير أمينة أو صريحة ، وعائدها أو مكسبها
يكون مأساوياً ، ولا يكون مجرد الإثارة .

لعبة نموذجية

أكثر الألعاب شيوعاً بين الأزواج ، لعبة « لو لم يكن من أجل خاطرك » ، وهى من أوائل الألعاب التى تم اكتشافها . وسنعمد عليها فى تصوير خصائص الألعاب بشكل عام .

تشكو الزوجة من أن الزوج يحرم عليها ممارسة أى نشاط اجتماعى ، تحريماً كاملاً . ويرفض أن تذهب مع جارتها إلى مدرسة التفصيل . ولهذا لم تتعلم تفصيل الملابس حتى الآن

عندما ينجح الطبيب النفسى ، أو أصدقاء الأسرة ، فى التأثير على الزوج بحيث يصبح أقل سيطرة ، وأكثر تسامحاً ، ويسمح للزوجة أن تصاحب جارتها فى الذهاب إلى مدرسة التفصيل . عندما يتم هذا ، وتنضم لفصل تعلم التفصيل فى أول درس ، تصاب بدوار ، وتشكو من ازدحام المكان . وتتوقف - من تلقاء نفسها - عن الذهاب إلى دروس التفصيل .

هذه المغامرة الفاشلة ، مع غيرها من المغامرات الشبيهة ، كشفت عن مظهر هام من مظاهر تركيب حياتها الزوجية . فمن بين الكثيرين الذين تقلدوا لخطبتها ، اختارت رجلاً مسيطراً ليكون زوجها لها ، حتى يكون بإمكانها أن تشكو فى المستقبل ، قائلة إنها قادرة على كل شئ . « لو لم يكن من أجل خاطر الزوج » .

خاطرك» يندر أن يجرى لعبها بين الأطفال ، إذا قيست بدرجة انتشارها بين الكبار . والصورة الطفولية للعبة هي نفس صورتها عند الكبار ، مع قيام الأب الحقيقي بدور الزوج المسيطر .

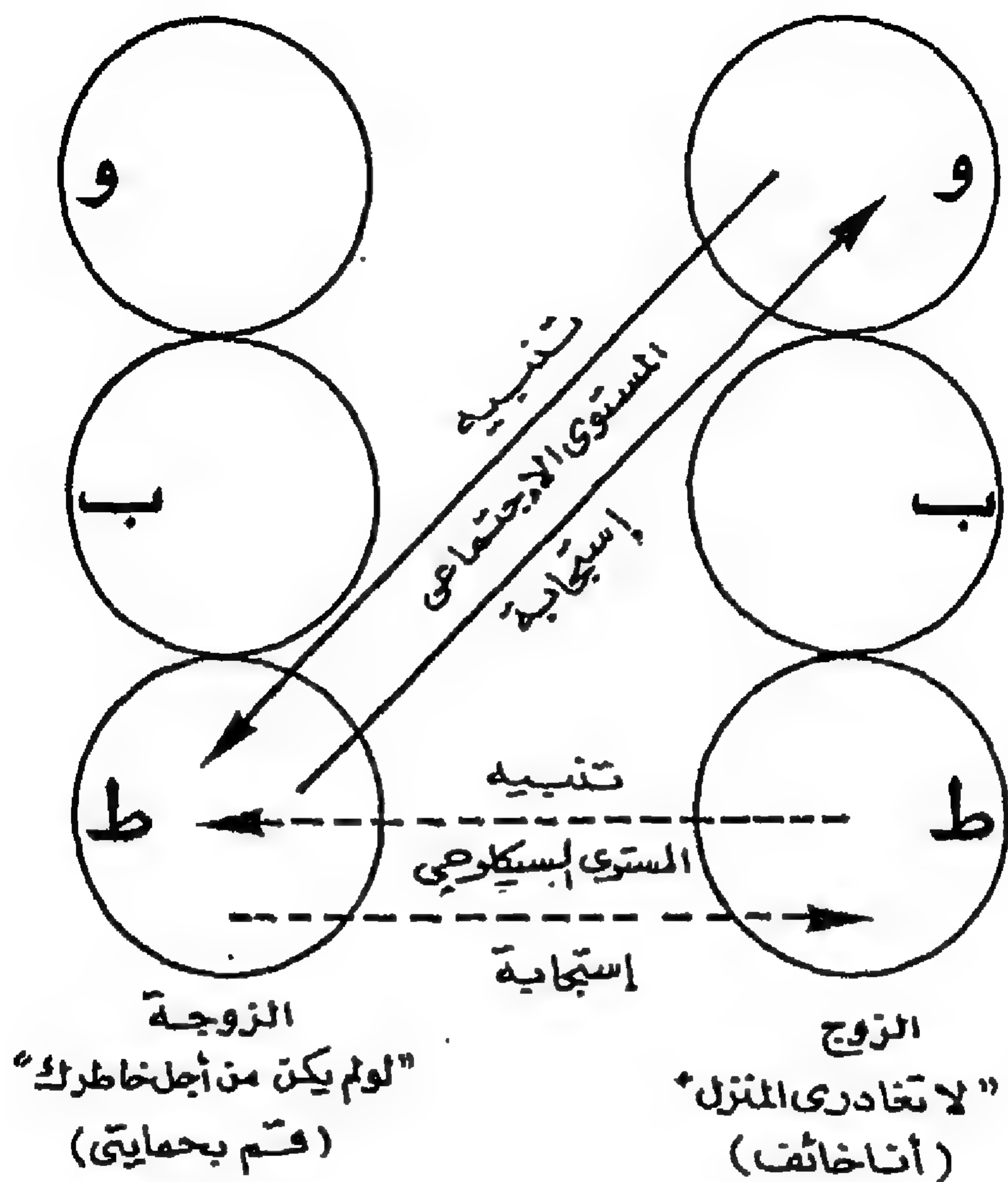
(٧) مستويات التعامل :

يجرى تحليل التعامل ، بالنسبة لحالة نمطية من حالات اللعبة ، بحيث يظهر المستوى الاجتماعى ، والمستوى السيكلوجى للعبة ، وبحيث تظهر التعاملات الخفية فيها . ولعبة «لو لم يكن من أجل خاطرك» ، فى أكثر أشكالها إثارة وحيوية ، تكون فى مستواها الاجتماعى ، من موقف (والد - طفل) .

الزوج (والد) : «لابد أن تظلى فى البيت ، لرعاية شئون المنزل» .
الزوجة (طفل) : لو لم يكن من أجل خاطرك ، لكنت الآن فى الخارج مع صديقتى ، أستمتع بوقتي .
وعلى المستوى السيكلوجى الحقيقى ، تمضى اللعبة بشكل مختلف ، من موقف (طفل - طفل) :

الزوج (طفل) : «يجب أن أجذك دائماً عندما أعود إلى البيت فأنا أخاف الهجر ..» .

الزوجة (طفل) : «سأفعل ، إذا ما ساعدتنى على تجنب حالة الخوف من المجتمعات التى أعانيها ..» . وستجد فى شكل (٧) ، طريقة تحديد المستويين بالرسم .



« لو لم يكن من أجل خاطرك »
شكل (٧)

وهذا يوضح دور الألعاب في انتخاب الرفقة الاجتماعية فالزوجة التي قدمت حديثاً إلى العمارة أو الحى ، تقوم الزوجات الأخريات بدعوتها لتناول قهوة الصباح لتمارس معهن تسلية « لو لم يكن من أجل خاطره » ، فإذا استجابت ، رشحها هذا للانضمام إلى المجموعة . وإذا رفضت أن تمارسها ، وأصرت على ذكر محاسن زوجها ومزاياه ، لن تجد لها مكانا وسط المجموعة .

كيف تنشأ الألعاب

أصحاب النظريات الحديثة ، يصفون تربية الأطفال ، بأنها عملية تعليمية ، يستوعب فيها الطفل أى نوع من الألعاب يختار ، وكيف يجب عليه أن يلعبها . والطفل ، يتعلم فى نفس الوقت ، الاجراءات والطقوس والتسلية ، التى تناسب موقفه من الوضع الاجتماعى المحلى ، لكن هذه المجموعة من المعارف تقل فى دلالتها عن الألعاب . الاجراءات والطقوس والتسلية ، ترسم الفرص التى ستتاح للطفل ، لكن الألعاب تحدد استخدامه لهذه الفرص .

ألعاب الطفل المفضلة ، بالإضافة إلى العناصر الأخرى ، كالاجراءات والطقوس والتسلية ، تحدد مصيره النهائى ، وحظه فى الزواج والعمل ، والظروف المحيطة به حتى وفاته .

• وبينما يهتم الآباء بتربية أطفالهم ، ويبدلون اهتماماً كبيراً فى تعليمهم الاجراءات والطقوس والتسلية التى تناسبهم ، وتناسب وضعهم فى الحياة ، فراهم يغفلون تماماً موضوع الألعاب التى يتعلمها الأطفال من ذويهم ، والتى يمارسونها طوال حياتهم ، مع ما فى ذلك من تبديد لطاقتهم ، وتعريضهم لمخاطر كان من الممكن تجنبها .

الألعاب ، هى التى ترسم البناء الأساسى للآليات العاطفية ، للأسرة بأجمعها . يتعلمها الأبناء ، منذ شهور حياتهم الأولى ، عن طريق الخبرات

ذات الدلالة في الحياة اليومية ومن الأسباب الرئيسية لفشل جهود الحركة العلمية في مجال علم النفس في الوصول إلى حلول مرضية لمشكلة العلاقات الإنسانية ، أن العلاقات في جوهرها مواقف تعامل ، تستدعي قيام نظرية في الآليات الاجتماعية التي لا يمكن إهمالها عند النظر في نوازع الفرد .

وسر هذه الأزمة ، أن هناك عددا قليلا من المختصين المدربين في مجال علم النفس والطب النفسي . والذين هم على خبرة بتحليل الألعاب . وللتدليل على هذا ، يورد أريك بيرن هذه الواقعة التي جرت في حضور أب من المختصين في تحليل التعامل ، والتي لم يكن ليتنبه إلى مغزاها أي طبيب نفسي عادي .

على مائدة الطعام ، شكا الطفل ، البالغ من العمر سبع سنوات ، من ألم في معدته أثناء تناول الأسرة لوجبة العشاء ، وطلب أن يعنى من الطعام ، فعرض عليه أبوه أن يذهب إلى سريره ويستلقي عليه لبعض الوقت . ولم يمض إلا وقت قصير ، حتى قال الأخ الأصغر ، البالغ من العمر ثلاث سنوات ، « بطنى تؤلمنى أنا أيضا ! » ، ساعيا إلى نفس النتيجة . نظر إليه الأب متمليا لعدة ثوان ، ثم قال له « أرجو ألا تكون راغبا في ممارسة هذه اللعبة .. هل تريد أن تمارسها ؟ » . هنا انفجر الطفل الصغير ضاحكا ، وقال « لا .. » .

إذا ما كانت هذه الواقعة قد جرت في أسرة أخرى عادية ، فسيسرع الأبوان القلقان بوضع الأخ الصغير في سريره . وإذا تكرر هذا الموقف عدة مرات بين الطفل وأبويه ، فستصبح هذه اللعبة - بالتأكيد - جزءا من شخصية الطفل ، نتيجة لمعاونة الوالدين له في ممارستها . كلما أحس بالغيرة من المزايا التي يتم تقديمها لمنافسه ، وهو الأخ الأكبر في هذه الواقعة ، ادعى المرض حتى يحصل على بعض المزايا .

على المستوى الاجتماعى المعلن ، يقول « صحتى ليست على ما يرام » ،

لماذا نمارس الألعاب ؟

الألفة هي أعلى مستوى في العلاقات البشرية ، ونظرًا لأن بعض أشكال الألفة الحميمة يستحيل تحقيقها بالنسبة لمعظم الناس من الناحية السيكلوجية ، فنحن نمضي أغلب وأهم أوقات حياتنا في ممارسة الألعاب . لهذا تكون الألعاب مطلوبة وضرورية لنا .

والسؤال المطروح هو : هل تعطى هذه الألعاب للفرد الذي يمارسها أفضل ما فيها ؟ يجب ألا ننسى أن السمة الأساسية للألعاب ، هي ذروتها ، أو مكسبها . والوظيفة الرئيسية للحركات الأولية هي الوصول إلى العائد أو المكسب ، إلا أن تصميم هذه الحركات يكون بحيث تحقق كل خطوة منها ، الحد الأقصى من الرضا المسموح به ، كعائد إضافي .

ففي لعبة «المكّار» الذي سنورد تفصيلها فيما بعد ، والتي يقوم فيها الضيف ببعض التصرفات التخريبية المخلة ، ثم يعتذر عنها ، يكون العائد أو هدف اللعبة هو الحصول على الغفران ، الذي يتم الحصول عليه قسرا نتيجة للاعتذار عن التصرفات . وجميع الحركات ، بما في ذلك كسر الأواني ، أو إراقة الشاي ، أو خرق الستار ، هي كلها خطوات نحو العائد الأساسي ، ولكن كل خطوة منها تقدم مباهاجها الخاصة بالنسبة لممارس اللعبة .

ونفس الشيء ينطبق على لعبة «المدمن» ، فأيا كانت الأصول السيكلوجية لحاجة احتساء الخمر ، ففي منطق تحليل الألعاب ، تكون عملية

احتساء الخمر في ذاتها مجرد حركة في اللعبة . وإذا كان المريض يشعر بمتعة من احتساء الخمر ، فهذه ليست المتعة النهائية التي يسعى إليها .
والألعاب لها وظيفة اجتماعية ، هي توفير شغل مرضى الوقت . ولكن ، بالنسبة لبعض الأشخاص ، تكون الألعاب ضرورة حتمية لتوفير حالة صحية لديهم . هؤلاء الأشخاص ، يكون استقرارهم النفسي مخلصاً للغاية ، وتجرى المواقف في حياتهم خلال حالة شديدة من التوتر ، بحيث يصبح حرمانهم من ممارسة الألعاب ، مؤدياً إلى حالة من اليأس لا علاج لها ، أو إلى حالة من المرض النفسي . هؤلاء الأشخاص يحاربون بعنف أى محاولة لوقف ألعابهم . يغلب حدوث هذا في الحياة الزوجية ، عندما ينجح الطبيب النفسي في علاج الزوجة مثلاً ، ويوفق في إيقاف الألعاب التخريبية التي تمارسها ، يحدث تأخر سريع في حالة الزوج ، الذي كانت ألعاب الزوجة ذات أهمية قصوى في تحقيق توازنه النفسي ، من هنا ، يجب علينا مراعاة الحكمة ، في مراحل تحليل الألعاب .

ومن حسن الطالع ، أن مزايا حياة التآلف الحالية من الألعاب ، والتي يجب أن تكون الشكل الأمثل للعلاقات البشرية ، هذه المزايا تكون على درجة من الغزارة ، بحيث تتيح لأصحاب الشخصيات المزعزعة ، هجر الألعاب ، بسرور وسلام ، إذا ما عثروا على الشريك المناسب الذي يحقق لهم العلاقة الأفضل .

تصنيف الألعاب

بالإضافة إلى أشكال تصنيف الألعاب التي أوردناها فيما سبق ، هناك أنواع أخرى من التصنيف :

- ١ - على أساس عدد اللاعبين الداخلين في اللعبة .
- ٢ - على أساس العملة المستخدمة : الكلمات (لعبة الطب النفسي) ، النقود (لعبة المدين) ، أجزاء من البدن (لعبة الجراحة) .
- ٣ - على أساس النماذج المعملية في عيادات العلاج النفسي : هستيرى (لعبة الاغتصاب) ، جنون الاضطهاد (لماذا يحدث هذا لى أنا ، دائماً) .
- ٤ - على أساس مناطق الالتذاذ : ففى (لعبة مدمن الخمر) ، شرجى (لعبة المكّار) .
- ٥ - على أساس الآليات النفسية : مواجهة الخوف المرضى (لعبة لو لم يكن من أجل خاطرك) .
- ٦ - على أساس غريزى : مازوكى (لو لم يكن من أجل خاطرك) ، سادى (لعبة المكّار) .

* * *

كما أن هناك تصنيف آخر على أساس المرونة ، ومدى التمسك باللعبة ، ودرجة الكثافة في ممارسة اللعبة . ومن ثم مدى العنف في ممارسة اللعبة .

ويجرى تصنيف الألعاب أيضًا ، وفقاً لمستوياتها :

١ - في ألعاب الدرجة الأولى : تكون اللعبة مقبولة من المجتمع المحيط بممارستها .

٢ - في ألعاب الدرجة الثانية ، لا تسبب الألعاب أضراراً يستحيل علاجها ، إلا أن ممارسة اللعبة يكون معزولاً عن مجتمعه .

٣ - في ألعاب الدرجة الثالثة : تنتهى الألعاب بعائد مأساوى ، في غرفة العمليات الجراحية ، أو المحكمة ، أو المشرحة !

الفصل الرابع

ألعاب الحياة اليومية

ألعاب الحياة اليومية

هذه المجموعة من الألعاب يمكن أن نطلق عليها اسم «ألعاب الحياة اليومية». وهي تتضمن ألعاباً تتصل من ناحية بألعاب الحياة الزوجية ، ومن ناحية أخرى بألعاب عالم الجريمة . والألعاب التي سنستعرضها هي :

- مدمن الخمر .
- انظر ماذا جعلتني أفعل ! .
- المدين .
- أخيراً .. امسكت بك يا ابن الكلاب ! .
- اضربي ! .

«مدمن الخمر»

في تحليل الألعاب لا نهتم بقضية إدمان الخمر ، أو بالعلاج الذي يمكن أن يقدم لمدمن الخمر ، إن ما يدخل في اعتبارنا فقط دور من أدوار إحدى الألعاب يطلق عليه «مدمن الخمر» إن قضية إدمان الخمر ، سواء لأسباب كيميائية حيوية أو أسباب سيكلوجية ، تدخل في اهتمام الطب والأطباء . إن ما يهتم به تحليل الألعاب ، شيء مختلف للغاية ، إنه نوع التعاملات الاجتماعية التي تتصل بهذا النوع من الإدمان . ومن هنا كانت تسمية اللعبة باسم «مدمن الخمر» .

يشارك في هذه اللعبة خمسة أفراد ، وفي حالات خاصة ينخفض عدد اللاعبين إلى لاعبين فقط .

بطل هذه اللعبة ، بالطبع ، ولاعبها الأول هو «مدمن الخمر» . والعنصر الثاني في اللعبة يقوم بدور «الالتهام» ، أشبه ما يكون بدور النيابة في المحكمة ، وعادة ما تقوم الزوجة بهذا الدور (أو الزوج عندما تلعب الزوجة الدور الأول) . ويكون العنصر الثالث ، عادة ، من نفس جنس اللاعب الأول ، رجلاً كان أم امرأة ، ويقوم بدور «المنقذ» . وفي كثير من الأحيان يقوم طبيب العائلة بدور المنقذ ، فهو مهتم اهتماماً كبيراً بحالة البطل ، ويحاول

حد ذاته يعتبر متعة جانبية ، تضاف إلى المتعة الحقيقية والأصلية لهذه اللعبة إن الهدف الأساسي الذي يسعى إليه لاعب «مدمن الخمر» هو : تحقير الذات ، والرغبة في الشعور بالتهديد !..

ومصدر التهديد بالنسبة للمدمن لا يكون الألم الجسدي ، بل العذاب النفسي . فعندما يزور المدمن طبيبه النفسي ، في أعقاب ليلة ليلاء ، نراه يوجه إلى نفسه جميع ضروب الشتائم وأنواع السباب ، رغم أن الطبيب لم يطلب منه هذا ، أو يقول ما يقتضيه . وفيما بعد ، عندما يستعيد المدمن ذكريات هذه الزيارة ، يقول بكل فخر واعتزاز إن الطبيب هو الذي وجه إليه هذه الشتائم .

لهذا ، يجب أن يكون الاهتمام الأساسي أثناء علاج المدمن ، موجهاً إلى حالة المعاناة النفسية التي يتسبب فيها شرب الخمر ، أكثر من الاهتمام بعملية شرب الخمر في حد ذاتها .

وإلى جانب المتعة الشخصية التي يحققها شرب الخمر ، يكون هدف المدمن هو الوصول إلى الموقف الذي يستطيع فيه (الطفل) داخله ، أن يتلقى تعنيفاً قاسياً ، ليس فقط من (الوالد) بداخله ، ولكن من أي شخص يحقق صفة الوالد في محيطه .. ومن هنا ، يجب أن يتركز العلاج النفسي لهذه اللعبة ، ليس على الشرب في حد ذاته ، ولكن على النتائج المترتبة عليه ، في صباح اليوم التالي .. عند الوصول إلى حالة طلب (الغفران للذات) ، التي تستمد وجودها من حالة (تحقير الذات) .

وهذا لا يمنع وجود حالات من إدمان الخمر ، لا يشعر فيها المدمن بأي معاناة نفسية في أعقاب الشرب ، إلا أن هذه الحالات تخرج عن مجال بحثنا .

هذا الاتجاه من الأطباء النفسيين ، أوقفت تعاملها معهم ، ولم تحاول الاتصال بأى منهم فى الحالات التالية .

عائلة لعبة «مدمن الخمر» :

بعض الألعاب تكون مع بعضها عائلة متكاملة . ولعبة «مدمن الخمر» لها عدة أقارب ، من بينها لعبة «خذ لك كأساً» ، التى يوضحها المثال التالى :
المدمن وزوجته (التى لا تحتسى الخمر وتلعب دور «الانتهام») ، يذهبان فى رحلة خلوية ، مع صديق وزوجته (كلاهما يلعب دور «العطوف» فى اللعبة) .
يقول مدمن الخمر للشخص الآخر الذى يلعب دور «العطوف» : «خذ لك كأساً» إذا أخذ كأساً مما يعنى بالتحديد إذا أخذنا معا كأساً ، فإن هذا يتيح للمدمن أن يأخذ أربعة كؤوس أو خمسة فى مقابل الكأس الواحد الذى يقبله الصديق . لكن اللعبة تنكشف إذا ما رفض الصديق الشرب أصلاً .
وبحكم قواعد الشراب ، يكون المدمن قد أهين ، ويصبح من حقه البحث عن رفاق جدد فى رحلته الخلوية القادمة ، أكثر توافقاً وانسجاماً مع رغباته ومذاقه .

فما يبدو على المستوى الاجتماعى العلنى ، كرمًا من موقف (البالغ) ، يكون على المستوى السيكولوجى الخفى تصرفاً ماكرًا ، يحصل به (الطفل) داخل المدمن على غفران أبوى من الشخص الآخر، عن طريق رشوة مكشوفة، تحت أنف الزوجة وعينها ، بينما لا تكون لديها فرصة للاعتراض .

المهم أن الزوجة ، بهذا النسق ، تشارك زوجها المدمن فى ترتيبات اللعبة ، بحيث تصبح غير قادرة على الاحتجاج الجاد أو الاعتراض الحاسم ، ذلك

لكونها - كزوجة - حريصة على استمرار اللعبة ، حتى لا تفقد الدور الذى تلعبه ، دور «الاثام» . ويكون هجومها عليه ، صباح اليوم التالى للرحلة ، هو مكسبها الذى تسعى إليه منذ البداية .

ودور «العطوف» فى هذه اللعبة لا تكون دوافعه سيئة دائماً . فهو يكون من بين الذين يعانون من الوحدة ، ويفيدهم هذا التعاطف مع «المدمن» . ومن بين الذين يلعبون دور «العطوف» ، يوجد من يلعبون لعبة أخرى هى لعبة «الرجل الطيب» ، وهو يكسب بلعبته الكثير من المعارف ، ويحظى بسمعة طيبة فى الدوائر الاجتماعية .

« انظر .. ماذا جعلتني أفعل ! »

تعتبر هذه اللعبة ، في شكلها التقليدي ، من ألعاب الحياة الزوجية . ولما كان من الممكن أن تجرى بين الآباء والأبناء ، فقد أوردناها ضمن ألعاب الحياة اليومية .

وهذه اللعبة ، تتم على أكثر من مستوى ، متدرجة في حدتها وخطورتها .

الدرجة الأولى من اللعبة :

يلعبها الرجل المنطوي بطبيعته ، نتيجة لشعوره بعدم كفاءته في إقامة العلاقات الاجتماعية . لهذا ، تراه يعمد إلى الاستغراق في بعض النشاطات التي تشجع انعزاله عن الناس ، ويصبح هدفه في الحياة أن يتركه الناس لحاله . ينهمك هذا الشخص في عمل ما ، رسم لوحة أو إصلاح ساعة أو جهاز تسجيل ، ويقتحم التدخل (الزوجة أو أحد الأولاد) عزلة الحاجة ما ، أو لمجرد أن يسأله سؤالاً مثل «أتعرف أين أجد الشاكوش؟» . هذه المقاطعة «تسبب» في سقوط القلم أو الفرشاة أو الملفك الذي يمسك به . فيستدير للدخيل في غضب صائحاً «انظر ... ماذا جعلتني أفعل !» . وتكرر هذا المشهد بأشكال مختلفة ، تميل الأسرة يوماً بعد يوم إلى تركه وحيداً ، مستغرقاً في عمله الخاص . واضح هنا ، أن سقوط القلم أو الفرشاة أو الملفك من يده ، لا يرجع إلى

تدخل الزوجة أو الأولاد بالسؤال ، ولكن يسبب انفعاله هو . وهو عادة ما يكون في غاية السعادة بهذا التدخل ، حتى يجد مبرراً لغضبه ، ولطرد الدخيل .

ونظراً لسهولة حركات هذه اللعبة ، يسهل على الأولاد تعلمها ، كلما أتيح لهم أن يتابعوا أطوارها بين الكبار . لهذا ، من السهل أن تنتقل هذه اللعبة من جيل إلى جيل . ومصادر الاستمتاع الضمنية لهذه اللعبة ، تظهر بشكل أكثر وضوحاً ، عندما تتم ممارستها بطريقة أكثر خداعاً .

الدرجة الثانية من اللعبة :

هنا تصبح اللعبة خطة دائمة للحياة وأسلوباً لها ، أكثر من مجرد أداة آلية لحماية النفس وضمان العزلة ، يلجأ إليها الممارس من حين لآخر . في الدرجة الثانية ، يتزوج الشخص الذى يلعب هذه اللعبة ، من امرأة تلعب لعبة أخرى يطلق عليها اسم «أنا لا أسعى إلا لمساعدتك» ، حتى تسهل ممارسة اللعبة بشكل مستمر .

مثال ذلك .. يترك الزوج لزوجته أن تقرر أين يذهبان لتناول العشاء ، أو أى فيلم يذهبان لمشاهدته ، وهو يفعل هذا لظهار شهامته وللتدليل على إنصافه وعلى ديمقراطيته .

إذا ما أثبتت التجربة أن اختيار الزوجة كان ناجحاً ، استمتع بالعشاء أو بالفيلم . أما إذا حدث العكس ، فكان الطعام رديئاً أو الخدمة في المطعم سيئة ، أو كان الفيلم سخيفاً ، فهو يستغل الموقف إلى أقصى حد ، صائحاً «انظري ماذا جعلتنى أفعل» .

أو قد يلقي على عاتقها القرارات الخاصة بأسلوب تنشئة الأولاد وتربيتهم ،
بينما يقوم هو بدور المنفذ لقراراتها وكلما ظهر قصور في تربية الأولاد أو في
تصرفاتهم ، يصبح من حقه أن يمارس اللعبة . وهذا وضع مثالي للذى يمارس
هذه اللعبة ، فهو يستطيع ممارستها بشكل متكرر على مدى الأعوام ، لائماً
الزوجة على كل تصرف خاطئ لأحد الأبناء ، وعلى كل درجة منخفضة يحصل
عليها أحدهم في الامتحان .

في هذه الحالة تكون لعبة « انظر ماذا جعلتني أفعل » ، غاية في حد ذاتها ،
لكنها تفتح المجال للعبة أخرى تسمى « ألم أقل لك من قبل ؟ ! » .
اللاعب المحترف ، الذى يحل مشاكله النفسية بهذه اللعبة ، يستخدمها
أيضاً في عمله . رئيس العمل - على سبيل الديمقراطية وحسن الإدارة - يترك
لمساعديه أن يفكروا في حلول المشاكل التى تعرض لهم ، وأن يبتوا فيها . وهو
بهذا ، يتحصن في مركز منيع ، غير قابل للهجوم ، يشن منه حملات
الارهاب على مرؤوسيه . كل قرار خاطئ يستخدم ضدهم ، ويمكنه من
لومهم والتمادى في ممارسة هذه اللعبة قد يؤدي إلى نتائج سيئة تحقيق بمن
يمارسونها ، كالفصل ، والنقل ، والتزليل .
أما المرؤوس الذى يستمتع بالغبن الذى يقع عليه ، فيواصل اللعبة بحماس ،
فهو يفعل ذلك بسبب رغبة مرضية لتحقيق الذات لديه . وهو بهذا يمارس لعبة
أخرى يطلق عليها اسم « لماذا يحدث هذا دائماً ، لى ؟ ! » ، هذا إذا كان من
سريع الغضب . أما إذا كان ممن يميلون إلى الاكتئاب ، فهو يمارس لعبة « ها
نحن مرة ثانية ! » . وهاتان اللعبتان ، تعتبران من عائلة لعبة « اضربنى .. » التى
ستعرض لها بعد قليل .

الدرجة الثالثة من اللعبة :

تصل إلى هذا المستوى عندما يمارس هذه اللعبة (العصابيون) من المرضى النفسيين ، ضد أشخاص لا يتسمون بالحذر . مما يجعلهم يتطوعون بتقديم النصائح ، حيث يكونون منهمكين في ممارسة لعبة أخرى ، ستتعرض لها أيضاً ، هي لعبة «أنا لا أسعى إلا لمساعدتك» . على هذا المستوى ، تكون للعبة نتائجها الخطيرة ، والتي تصبح في بعض الحالات مميتة ! .



ولعبة «انظر ماذا جعلتني أفعل» ، تكمل بشكل محكم لعبة «أنت السبب» . والمزيج بين هاتين اللعبتين ، يعتبر أساساً تقليدياً للاتفاق الضمني على ممارسة الألعاب ، في كثير من الزيجات .

الواقعة التالية توضح هذا الاتفاق :

- يتفق الرجل مع زوجته على أن تقوم هي بإمسك حسابات الأسرة ، والاتفاق من رصيدهما المشترك .
- يبلغها البنك أن إنفاقها قد تجاوز الرصيد ، ويطلبها بتغطية النقص .
- يتدارس الزوجان سبب ما حدث ، فيكتشف أن الزوجة قامت بشراء قطعة أثاث غالية ، دون إخطاره .
- يشرع الزوج فوراً في ممارسة لعبة «أنت السبب ..» ، وتواجه الزوجة زبحرته باكية ، واعدة بعدم تكرار هذا .
- تسير الأمور على ما يرام لفترة من الزمن ، ثم يظهر فجأة مندوب إحدى

الشركات ، مطالباً بسداد أقساط متأخرة .

— لما كان الزوج يسمع عن هذا الموضوع لأول مرة ، فهو يسارع بسؤال الزوجة عن التفاصيل . هنا تبدأ الزوجة في ممارسة لعبة « انظر ماذا جعلتني أفعل » فتقول إنها كانت غلطته . لقد حذرها من تجاوز الرصيد في البنك . فوجدت أن الوسيلة الوحيدة لشراء السلعة هو الالتجاء إلى التقسيط . ومحاولة إخفاء مطالبات الأقساط التي تفشل في تدبير المال اللازم لها . تستمر هذه اللعبة لعشرات السنين ، على اعتبار أن كل واقعة ستكون الأخيرة ، وبعد مضي عدة شهور دون مشاكل ، تتجدد المشكلة .

علاج اللعبة :

خلال جلسات العلاج النفسي ، استطاع الزوج أن يحلل اللعبة بمهارة ، ودون مساعدة من الطبيب النفسي المعالج . واقترح علاجاً ناجحاً ، هو أن يتفق مع زوجته على أن يضعا رصيدهما معاً باسمه هو ، وأن تستمر الزوجة في مهمة إمساك الحساب وكتابة الشيكات ، على أن يراجع هو الفواتير قبل توقيعها ، حتى يستطيع أن يجري التنسيق اللازم بين الرصيد والانفاق . بهذه الطريقة ، استقامت أمور حياتهما ، وأصبحا يتشاركان في إدارة ميزانيتها .

والملاحظ ، أنه بعد أن توقف الزوجان عن ممارسة اللعبتين ، شعرا في أول الأمر بالضيق ، فاضطرا إلى البحث عن أنماط أخرى للاستمتاع ، تكون علنية وبناءة .

وعلاج هذه اللعبة يختلف من درجة إلى أخرى .

- بالنسبة للعبة من الدرجة الأولى ، يكون بأن يترك اللاعب لحاله .
- وبالنسبة للعبة من الدرجة الثانية ، يكون بالإصرار على إلقاء تبعة القرار على شخص ممارس اللعبة .
- أما بالنسبة للدرجة الثالثة ، فيجب أن يوكل العلاج إلى الإخصائيين .

* * *

وبشكل عام ، يكون الدافع إلى ممارسة لعبة « انظر ماذا جعلتني أفعل » هو الرغبة في التبرير .

« المدين »

إذا كانت هذه اللعبة تجرى ممارستها بشكل متصل ، أو كخطة للحياة ، في بعض المجتمعات المتحضرة ، فهي تجد طريقها أيضًا إلى المجتمعات النامية ، وإلى أدغال أفريقيا .

ففي غينيا الجديدة ، يتعاون أقارب العريس ، ويجمعون المال فيما بينهم ، لكي يشتروا له عروسًا غالية الثمن . وبهذا ، يظل مدينًا لهم لعدة سنوات تالية . نفس الشيء يتم في المجتمعات المتحضرة . يحل البيت مرتفع الثمن محل العروس الغالية ، ويحل البنك محل أقارب العريس .

والغريب أن احتفالات الزواج وأفراحه ، ودخول البيت الجديد ، كل هذا لا يتم بمناسبة انتهاء العريس من سداد أقساط الديون ، لكنه يتم عندما يوقع العريس على وثائق هذه الديون ، التي سيقضى سدادها أبهج سنوات حياته .

وهناك تنوع شائع على هذه اللعبة هو « حاول أن تسترد » ، وهي لعبة منتشرة بين حديثي الزواج ، ويجرى ترتيب هذه اللعبة بحيث يكسب اللاعب أيًا كان تطور الأحداث .

الشباب والشابة اللذان تزوجا حديثًا ، يمتلكان كل وسائل المعيشة الحديثة ،

لصوص» ، أو «كل التجار لصوص» ، «وأنا الضحية البريئة» .
٢ - إنها تدعم الوضع الاجتماعي للشباب ، عندما يطلق أحكامه العامة على نظام التشييط ، وما يتضمنه من خديعة للبسطاء ، وعندما يقول «إذا كان أسلوب الدائنين على مثل ما أظهر هذا التاجر الجشع ، فلماذا يدفع أى واحد منا دينه أصلاً؟!» .

اللعبة المضادة :

واللعبة المضادة للعبة «المدين» هي لعبة «الدائن» ، فى صورة «حاول أن تهرب من الدفع» ، وغالباً ما يمارسها صغار الملاك .
فى لعبتى «حاول أن تسترد» و «حاول أن تهرب من الدفع» ، تبدأ الممارسة عندما يتعرف الممارسون على بعضهم البعض . وعندما يتشبون من نية اللعب المتبادل ، تفيض نفوسهم بالسعادة وهم يشرعون فى اللعب ، بسبب المزايا الجانبية التى سيحققونها من تعاملهم واحتكاكهم . هذا بصرف النظر عما سيكسب فى نهاية الأمر ، وهل سيحصل الدائن على ماله أم ينجح المدين فى التهرب من الدفع .

ألعاب المال هذه يمكن أن يكون لها عواقب وخيمة - وإذا بدا مثل هذا الوصف لعواقب اللعبة مضحكاً وسخيفاً فى نظر البعض ، فليس مرجع ذلك إلى سخف الألعاب التى نتحدث عنها ، ولكن إلى سخف الدوافع التى تقف وراء مجموعة من التصرفات ، اعتاد الناس على أخذها مأخذ الجد .

«أخيراً .. أمسكت بك يا ابن الكلاب !»

لتوضيح طبيعة هذه اللعبة ، نستعرض على سبيل المثال حالة الشخص الذى يحتاج يوماً إلى إصلاح بعض الأعمال الصحية فى حمام بيته .
يحضر السباك ، ويفحص الوضع جيداً ، ويجلس أمام صاحب البيت الذى يراجع معه المصاريف وأثمان الخامات وأجر الإصلاح . تتم المراجعة بدقة ، ويتم الاتفاق على المبلغ المطلوب ، وليكن عشرة جنيهات ، قبل البدء فى أى عمل .

عندما ينتهى العمل ، يتقدم السباك طالباً أجره ، مضيفاً إلى الرقم السابق الاتفاق عليه مبلغاً زهيداً ، وليكن عشرة قروش ، ثمناً لخامة اكتشف حاجة العمل إليها أثناء عملية الإصلاح .

بمجرد أن يذكر السباك القروش التى أضافها إلى الحساب ، تثور ثائرة صاحب البيت ، وينتهز هذه الفرصة الذهبية ليكيل الاتهامات للسباك ، حول أخلاقه وتصرفاته وطمعه ، ويرفض أن يدفع مليماً واحداً من أصل الحساب ، إلا بعد أن يتنازل السباك عن هذه القروش التى أضافها إلى اتفاقها السابق . وفى آخر الأمر ، يضطر السباك إلى التسليم .

فى هذا الموقف ، يمارس صاحب البيت والسباك لعبة «أخيراً .. أمسكت بك يا ابن الكلاب !» .

فى جلسة الاتفاق على الأجر ، وخلال المناقشة التى جرت ، والمفاوضات التى تمت حول التكلفة تعرف كل منهما على إمكانيات الآخر ، وعلى إمكان الشروع فى ممارسة اللعبة .

بدأ السباك الحركة الأولى من اللعبة ، فقام بخطوته الاستفزازية مطالباً بالقروش الزائدة . ولما كان صاحب البيت قد اتفق على كل شىء بالتحديد ، قبل بدء العمل ، أصبح من حقه أن يدين السباك ، وأن يشن عليه هجوماً عادلاً ، وغضباً مبرراً . وبدلاً من أن يجرى صاحب البيت الحوار مع السباك على مستوى (البالغ) فى كل منهما ، فيقنعه بأن المبلغ المضاف لا يستحق جهد المطالبة به ، إذا قيس بحجم المقاوله كلها . أو أن المطالبة بمبلغ إضافى فيه إخلال بالاتفاق السابق .. بدلاً من هذا، نراه يتقمص صورة البريء الذى أثير وتلقى لكمة ظالمة ، يشن هجومه العنيف على السباك ، متناولاً بالنقد شخصه وأسلوب عمله ، وأخلاقه وتربيته !

* * *

على المستوى الاجتماعى الظاهر ، تبدو المناقشة وكأنها على مستوى (بالغ) - بالغ) ، مناقشة عادية حول اتفاق مالى . لكن إذا بحثنا فى المستوى السيكلوجى المستور ، نراها علاقة (والد - طفل) : صاحب البيت مستنداً إلى وضعه الاجتماعى بالنسبة للسباك ، يسخر هذا الحدث العارض للتخلص من غضبه المكبوت ، وربما الذى طال كبته لعدة سنوات ، والذى تشاء الظروف أن ينصب على رأس هذا السباك . نفس ما كانت تفعله أمه معه وهو صغير .

صاحب البيت يدرك منذ البداية أنه سيمارس لعبة «أخيراً .. أمسكت بك يا ابن الكلاب !» ، ويفيض قلبه بسعادة مستورة بمجرد إدراكه للاستفزاز الذي قام به السباك . ويكتشف أنه كان منذ طفولته يبحث عن مثل هذه المواقف ، حتى يستمتع بممارسة لعبته بلا توقف .

وفيما بعد ، عندما يستعيد صاحب البيت هذه الواقعة ، ينسى في كثير من الأحوال سبب الاستفزاز الذي قاد إلى ممارسة اللعبة ، لكنه يتذكر جيداً وبالتفصيل ، مراحل المعركة التي قاد إليها ذلك الاستفزاز ، وتفاصيل استمتاعه بها .

ومثل هذه اللعبة يمكن أن تتواصل بلا نهاية ، إذا ما كان السباك يلعب هو الآخر ، تنويعاً من تنويعات لعبة «لماذا يحدث هذا دائماً لي ؟» .

* * *

في جميع الأحوال ، يكون هدف هذه اللعبة هو التبرير (تبرير الغضب) . والعلاقة في شكلها أو مستواها الاجتماعي تبدو علاقة (بالغ - بالغ) ، مثل :

صاحب البيت : انظر .. لقد ارتكبت خطأ في حق .

السباك : أما وقد نهيتني ، فأني اعترف بالخطأ .

غير أن العلاقة في واقعها السيكلوجي المستور تكون علاقة (والد - طفل)

مثل :

صاحب البيت (والد) : لقد كنت أراقبك ، آملاً أن تقع في خطأ ما .

السباك (طفل) : لقد أمسكت بي هذه المرة .

صاحب البيت (والد) : نعم ، وسأجعلك تشعر بكل قوة غضبي ...

«اضربنى ! ..»

الغريب أن الذين يمارسون هذه اللعبة ، تبدو تصرفاتهم الاجتماعية وكأنهم يرفعون لافتة تقول «أرجوك .. لا تضربنى» .
ولما كان إغراء ضربهم ، مادياً أو معنوياً ، مما لا يمكن مقاومته . فما أن تتحقق النتيجة الطبيعية لهذا الإغراء ، ويتم الضرب ، حتى يصبح الواحد منهم بشكل يثير الشفقة « لكن اللافتة التى أحملها تقول بوضوح : لا تضربنى ! » .
ثم يستطرد ممارساً لعبة أخرى فيقول « لماذا يحدث هذا دائماً لى ؟ » . وهذه اللعبة الأخيرة تستمد عناصرها من الزهو المقلوب ، الذى يعنى (سوء حظى أقوى من سوء حظك) .

إذا ما عمد الناس إلى الامتناع عن ضرب الشخص الذى يمارس لعبة «اضربنى !» ، بدافع من طيبة القلب ، أو لكونهم يلعبون لعبة «أنا أحاول مساعدتك فقط» ، أو تحت ضغط التقاليد الاجتماعية ، أو حرصاً على الالتزام بالقانون ، إذا حدث هذا ، يتزايد سلوك الشخص استفزازاً يوماً بعد يوم ، حتى يتخطى الحدود المحتملة ، فتضعف أمام ذلك كل الموانع السابقة وهكذا ، يجبر ممارس اللعبة من حوله على الاستجابة لطلبه .

يشيع هذا الطور من اللعبة بين الأشخاص المنبوذين ، والمطرودين من وظائفهم ، والمخدوعين فى الحب .

واللعبة المناظرة عند النساء هي «المهجورة» ، التي تسعى دائماً إلى من
يخفف آلامها . واللاعب من هذا الطراز قد تقع في يدها ثروة غير متوقعة . فتراها
تجتذب الشباب أصحاب المشاريع الذين يسعون إلى مساعدتها على تبديد هذه
الثروة ! .

الفصل الخامس

ألعاب الحياة الزوجية

ألعاب الحياة الزوجية

بالطبع يبدو فصل ألعاب الحياة الزوجية عن الألعاب الجنسية نوعاً من الفصل المتعسف . لكننا آثرنا أن نورد الألعاب الجنسية فيما بعد ، على أن نقتصر هنا على طرح الألعاب الآتية :

- المأزق .
- المحكمة .
- المرأة الباردة .
- المتزعجة .
- انظر كم أحاول يجد .
- حبيتي ..

المأزق

تعتبر هذه اللعبة نموذجًا جيدًا لخاصية نجدها متكررة في الألعاب ، وهي وظيفتها كعائق للتآلف بين ممارس اللعبة ومن هم حوله .

لكي نفهم هذه اللعبة ، علينا أن نتابع تسلسل السيناريو التالي :

- ١ - تقترح الزوجة على زوجها أن يذهبا إلى السينما ، فيوافق الزوج .
- (٢ - أ) تقع الزوجة في زلة لسان (لا شعورية) ، عندما تذكر بطريقة طبيعية وخلال الحديث أن المنزل يحتاج إلى عملية طلاء كاملة . عملية طلاء حوائط المنزل عملية مكلفة ، وقد أخبر الزوج زوجته قبل ذلك بأيام أن حالتها المالية ليست على ما يرام ، وطلب منها ألا تفتح أبوابًا جديدة للانفاق خلال الشهور التالية ، على الأقل حتى بداية السنة الجديدة . لقد أساءت الزوجة بهذا الاقتراح اختيار اللحظة المناسبة ، واستحقت ردًا وقحًا من الزوج .
- (٢ - ب) أو قد يقود الزوج الحديث بحيث يؤدي إلى أن تطرح الزوجة اقتراحها ، ثم يستمر التتابع كما في (٢ - أ) .

٣ - في الحالتين تدافع الزوجة عن نفسها ، وتقول إن رد الزوج الذي لا يتسم باللطف ، لابد راجع إلى حالة نفسية سيئة يمر بها الزوج . وأنها بناء على هذا لا ترى مبررًا للذهاب معه إلى السينما ، وأن الأفضل - إذا ما كان مصرًا - أن يذهب بمفرده . فيجيب الزوج بعصبية « إذا كان هذا هو ما تريدين .. فسأفعله ! » .

٤ - يذهب الزوج إلى السينما ، تاركاً الزوجة في البيت ، تداوى جروح مشاعرها .

* * *

هناك نوعان من الحيل في هذه اللعبة :
أولاً : تعلم الزوجة جيداً - من خبراتها السابقة - أن عليها ألا تأخذ استياء الزوج وضيقه مأخذ الجذ . فهو بما أبداه من استياء وضيق ، يسعى في حقيقة الأمر إلى أن تبدى الزوجة بعض التقدير لجهده الشاق في العمل وسعيه لتوفير مطالب حياتها . إذا أظهرت هذا التقدير ، يصبح بإمكانها أن يمضيا معاً إلى السينما .

لكن الزوجة - مع علمها بذلك - ترفض الدخول في اللعبة ، فيشعر الزوج بالخذلان الشديد . لهذا ، فهو يغادر البيت وحيداً ، مشحوناً بالاستياء وخيبة الأمل ، بينما تجلس هي في البيت ، مهانة ظاهرياً ، تكافح لإخفاء شعور دفين بالانتصار !

ثانياً : يعلم الزوج جيداً من سوابق تعامله مع الزوجة ، أنه من المفروض ألا يأخذ اقتراحها بطلاء حوائط البيت مأخذ الجذ . وأن كل ما تطلبه من وراء مثل هذا الاقتراح ، هو بعض التدليل ، والوعود المعسولة فقط ، يمضيان بعدها في سعادة إلى السينما لكن الزوج يرفض الاشتراك في لعبة الزوجة ، عالمًا أن تصرفه هذا لا يتسم بالأمانة . فهو يعلم أنها تطالب بالتدليل ، لكنه يتظاهر بعدم المعرفة متعمداً .

في هذه الحالة يغادر الزوج بيته متظاهراً بالضيق ، وإن كان يشعر بالابتهاج في أعماقه ، بينما تبقى الزوجة في بيتها ، مع شعور بالحيرة والامتناع .

* * *

فى كل من الحالتين السابقتين ، يبدو موقف المنتصر منها - للوهلة الأولى - غير مستوجب للوم ، فكل ما فعله هو أن أخذ كلام الطرف الآخر مأخذاً حرفياً . ويعلم الطرفان جيداً أن فى هذا نوع من الغش والخداع .. لكن طالما أنها قالتها . فقد وضعت نفسها فى « المأزق »

مكسب اللعبة :

وأوضح المكاسب فى هذه اللعبة ، هو ما يسمى بالمكسب السيكلوجى الخارجى (أى محاولة تجنب خبرة يراها ممارس اللعبة سيئة ومخيفة أو غير سارة ، فيعتمد إلى ممارسة اللعبة)

فى حالتنا هذه ، يجد كل من الزوجين فى الذهاب إلى السينما منبهاً جنسياً . فمن المفروض أنه بشكل أو بآخر ، سيتم الاتصال الجنىسى بينهما بعد عودتهما من السينما وعلى ذلك ، فالذى يريد منها تجنب هذه النتيجة ، بما فيها من تآلف ، يبدأ ممارسة اللعبة كما فى (٢ - أ) أو فى (٢ - ب) .

علاج اللعبة :

وعلاج هذه الحالة من لعبة « المأزق » يكون سهلاً من جانب الزوجة . كل ما هو مطلوب منها هو أن تغير رأيها ، وتأخذ زوجها من زراعه مبتسمة ، ثم تمضى إلى السينما (أى بالانتقال من موقف الطفل إلى موقف البالغ) .

وقد يكون الأمر أكثر صعوبة بالنسبة للزوج ، فالزوجة هى التى أخذت المبادرة . إلا أنه يستطيع أن يتجاوز الموقف بأكمله ، فيلاطفها حتى تقبل الخروج معه . والأفضل فى هذه الحالة أن يعاملها كبالغ وليس كطفل عبوس .

عائلة لعبة المأزق :

ولعبة « المأزق » تنتشر بشكل مختلف بعض الشيء كلعبة عائلية ، يدخل فيها

الأطفال . فى هذه الحالة يوضع الطفل الصغير فى (المأزق) ، بحيث يصبح كل ما يفعله خاطئاً ! .

ثم هناك الأشكال اليومية من لعبة «المأزق» ، تشارك فيها العائلة بأكملها ، وغالباً ما تؤثر على نمو صغار الأطفال . وتكثر ممارستها بين الآباء الذين يتصرفون من موقف (الوالد) فى كثير من الفضول والتدخل المعيب يطلب الابن - أو الابنة - من الوالدين المشاركة فى أعمال المنزل . وعندما يستجيب أى منها لهذا النداء ، يواظب الوالدان على اكتشاف الأخطاء فى كل ما يفعله الابن (أو الابنة) . وهو تطبيق عائلى للقول المأثور «ملعون أنت إذا فعلت » وملعون إذا لم تفعل» .

عند دراسة أسباب إصابة الأطفال بالربو ، تظهر فى بعض الأحيان لعبة «المأزق» ، كعامل من عوامل الإصابة بالمرض . وهناك تطبيق آخر لهذه اللعبة .

يسأل الصغير أمه «أمى .. هل تحيينى؟» . فتجيب الأم «وما هو الحب؟» . هذه الاستجابة تترك الطفل الصغير بلا معين . هو يريد أن يتحدث مع أمه ، والأم تصعد الحوار إلى المستوى الفلسفى ، حيث يفتقد الابن القدرة على التعامل . مثل هذا الموقف ، يمكن أن يؤدي إلى اضطراب تنفس الطفل . وإذا تكرر هذا الموقف من الممكن أن يتسبب فى إصابة الطفل بالربو . ومن ألعاب الحياة الزوجية القريبة من لعبة «المأزق» ، لعبة تسمى «لفة الغداء» .

الزوج الموظف ، القادر على تناول طعام الغداء فى مطعم جيد ، يصرّ على أن يصنع لنفسه بعض الشطائر كل صباح ، يأخذها معه إلى عمله فى كيس من الورق . وهو لا يتكلف شيئاً فى صنع هذه الشطائر لأنه يجهزها معتمداً على ما تخلف من طعام العشاء . بل إنه يحرص على أن تحتفظ له زوجته بالأكياس

الورقية القديمة الخاصة بالمشتريات لكي يضع فيها شطائره .
هذا التصرف من الزوج يعطيه السيطرة الكاملة على مالية الأسرة ، فأى
زوجة هذه ، التى تجرؤ على أن تشتري لنفسها ثوباً غالياً من الحرير ، بينما يقوم
زوجها بهذه التضحية اليومية ؟! .
البعض ينظر إلى هذه اللعبة ، ليس كلعبة خبيثة يسيطر بها الزوج على
زوجته ، بل كلعبة طيبة ، لأنها تشجع على الاقتصاد فى الاستهلاك والإنفاق .

« المحكمة »

تكثر ممارسة هذه اللعبة في جلسات الاستشارة النفسية العائلية ، وبين جماعات العلاج النفسى الجماعى . وفى كثير من الأحيان يتزلق الطبيب النفسى إلى المشاركة فى اللعبة دون أن يتبته لذلك .

لعبة « المحكمة » يمكن أن يلعبها أى عدد من الأشخاص . لكنها فى أغلب الأحيان لعبة ثلاثية الأدوار : الاتهام ، والدفاع ، والقاضى . ويلعب هذه الأدوار الزوج والزوجة والطبيب النفسى .

يبدأ الزوج شاكياً « دعنى أقص عليكم ما فعلته فلانة (اسم الزوجة) بالأمس ، بدأت هذه القصة عندما ... الخ » ، فتجيب الزوجة مدافعة « أستطيع الآن أن أسرد عليكم الوقائع الحقيقية التى سارت عليها هذه القصة ... ، وبالإضافة إلى ذلك فهو قد عمد قبل هذا مباشرة ... وعلى كل حال فقد قمنا بهذا معاً ... » .

يضيف الزوج بفروسية « أنا سعيد الآن ، لقد أتيح لكم أن تسمعوا وجهتى النظر ، فغاية ما أسعى إليه هو أن تتحقق العدالة فى الحكم » . عند هذه النقطة يتدخل الطبيب المعالج فيضيف قائلاً بحكمته المعهودة « يبدو لى أنه إذا ما أدخلنا فى الاعتبار ... الخ » . أما إذا كان هناك بعض الجمهور أو بعض أعضاء الجماعة ، فقد يتوجه الطبيب إليهم قائلاً « هذا عظيم .. دعنا الآن نستمع إلى آراء الذين معنا » .

علاج اللعبة :

علاج هذه اللعبة يقتضى من الطبيب المعالج بعض المناورات . فهو يبدأ بأن يقول للزوج « رأي أنك على حق تماماً » ، فإذا أبدى الزوج ارتياحاً ، وكشف عن شعور بالانتصار ، يسأله الطبيب « ما هو إحساسك بقولى ؟ » ، يجب الزوج « عظيم ! » ، فيقول الطبيب « وما رأيك » ، إذا قلت لك إننى فى الحقيقة أعتقد أنك أنت المخطئ » . إذا كان الزوج أميناً ، سيقول معترفاً « أعلم هذا منذ البداية » . أما إذا لم يكن أميناً ، فسيبدى بعض ردود الفعل ، التى تكشف أن ممارسة اللعبة على أشدها . ويكون على الطبيب المعالج أن يواصل بعد ذلك مراحل العلاج . والعنصر الأساسى فى اللعبة ، هو صياح الزوج ممثل (اللاتهام) مطالباً الانتصار له فى الظاهر ، بينما هو يشعر فى أعماقه بخبطه .

يعمد الطبيب المعالج بعد ذلك إلى جمع القدر الكافى من المعلومات العلاجية حول الحالة التى يتعرض لها ، حتى تتضح له أبعاد الموقف ، ثم يتقل إلى إيقاف اللعبة بمناورة ، تقتضى الرشاقة فى فن العلاج .

وجوهر هذه الخطوة هو الانتقال إلى التحديد والمواجهة ، وعدم التستر خلف الواجهة الموضوعية الزائفة لإخفاء الحقائق . يطلب الطبيب المعالج من المشاركين فى اللعبة أن يخاطبوا بعضهم باستخدام الضمير (أنت) ، أو (أنا) . وبدلاً من استخدام تعبيرات عامة مثل « دعنا ننظر فى أمر الذى تتصرف على النحو كذا... » ، يجرى استخدام التعبير المباشر مثل « دعنا ننظر فى تصرفك الذى كان... » . وبهذا ، يتوقف الزوج والزوجة عن ممارسة لعبة « المحكمة » فى جلسات العلاج الجماعى .

عائلة اللعبة :

وفى بعض الأحيان ، يتقل الزوجان بعد ذلك إلى ممارسة لعبة

«حييتي» . التي ستحدث عنها بالتفصيل فيما بعد ، ويعتبر هذا خطوة إلى الأمام في العلاج .

وفي أحيان أخرى ، يعمد الزوجان إلى ممارسة لعبة «والأكثر من هذا» . وهذا أيضًا يساعد على تطوير العلاج

في لعبة «والأكثر من هذا» . يتقدم (الالتهام) بالالتهامات واحدًا بعد الآخر ، ويجيب (الدفاع) عن كل منها بقوله «أستطيع أن أفسر هذا» ، إلا أن (الالتهام) لا يلتفت إلى الشرح الذي يقدمه الدفاع . فبمجرد أن يتوقف (الدفاع) عن الكلام ، ولو للحظة واحدة ، يندفع (الالتهام) إلى سرد تهمة جديدة ، بادئًا الحديث دائمًا بقوله «والأكثر من هذا...» . وهذه اللعبة تجري على مستوى (والد - طفل) .

ولعبة «الأكثر من هذا...» ، تجري بشكل أكثر تكثيفًا ، لو أن (الدفاع) كان من المرضى النفسيين (العصابيين) . هؤلاء يأخذون الأمور أخذًا حرفيًا ، يسهل عليهم إحباط (الالتهام) كلما لجأ إلى التعبير عن نفسه بتعبيرات فكاهية واستعارية . هنا تكون الاستعارة هي الفخ الخطير الذي يجب على ممارس لعبة «والأكثر من هذا» أن يتجنبه .

« المرأة الباردة »

الأرض الخصبة لهذه اللعبة في معظم الأحيان ، الحياة الزوجية . يحاول الزوج أن يتقرب من زوجته ، فيقابل بالاعراض . وعندما يكرر محاولاته ، تصبح فيه الزوجة ، قائلة إن الرجال جميعاً وحوش ، وأنه لا يحبها في الحقيقة لشخصها ، وأن كل ما يهمه منها هو الجنس .

يتوقف الزوج عن محاولاته لبعض الوقت ، ثم يحاول من جديد ، ملاقياً نفس النتيجة . أخيراً ، يصرف النظر ، ولا يقوم بأي محاولات أخرى . تمضي الأسابيع والشهور ، فتزايد الجفوة بينهما ، وربما أصبحت الزوجة في كثير من الأحيان نسياً منسياً بالنسبة للزوج .

هنا ، تبدأ مرحلة جديدة من اللعبة . تسير الزوجة في حجرة النوم نصف عارية ، أو تنسى (البشكير) عندما تأخذ حماماً ، فيتحتم على الزوج أن يحضره لها في الحمام . وإذا كانت الزوجة تميل إلى القسوة في ممارسة اللعبة ، أو كانت ممن يكثر من شرب الخمر ، عمدت إلى مداعبة بعض الرجال ، خلال الحفلات الاجتماعية ، لكي تثير غيرة الزوج .

في نهاية الأمر ، يستجيب الزوج لضروب الإثارة هذه ، ويحرب حظه مرة ثانية . ومن جديد تقابله الزوجة بالصدود ، بل إنها تلجأ في بعض الأحيان إلى ممارسة لعبة «الصراخ» ، التي ستحدث عنها فيما بعد . وخلال صراخها ، تستعرض من جوانب حياتها ، وتجرى المقارنات مع الحياة الزوجية للأقارب

والأصدقاء وينتهى هذا الصراخ عادة بصوت أحد الأبواب وهو يصفق في
عنف

هذه المرة ، يصل الزوج إلى قرار . لقد تأكد الآن أنه قد وقع مع زوجته
معاهدة بتحريم الاتصال الجنسي . من الآن وصاعداً ، يتجاهل الزوج كل
مناورات الزوجة من طراز (البشكير) ، فتحاول الزوجة أن تصعد محاولات
الإثارة . لكنه يثبت على موقفه ، متعظاً بخبرته السابقة

وذاات ليلة ، تشرع الزوجة في ملاعبته وتقبيله بلا مواربة ، ومع هذا لا
يستجيب الزوج ، فتواصل الزوجة ملاعباتها الصريحة ، فما تلبث النوازع
الطبيعية أن تفعل فعلها بعد فترة طويلة من الحرمان ، ويتأكد الزوج الآن أن
الوضع قد اختلف .

محاولات التقرب الأولى التي يقوم بها الزوج لا تقابلها الزوجة بالصدود .
وهكذا يصبح أكثر شجاعة . ولكن ، عند النقطة الحرجة بالضبط ، تنفر
الزوجة مبتعدة عنه وهي تقول «أرايت ؟!.. ألم أقل لك ؟.. كل الرجال
وحوش . غاية ما كنت أسعى إليه هو أن نتبادل العواطف الرقيقة الحاملة ، أما
أنت فكل ما يعينك هو الجنس !» . ولعبة «الصراخ» المرتبطة بلعبة «المرأة
الباردة» تتجه مباشرة في هذه المرحلة إلى الشكوى من الحالة المالية ، والمشاكل
الاقتصادية .

وينجب ملاحظة أنه بالرغم من شكوى الزوج ، فهو يكون عادة كزوجته ،
في حالة خوف من التقارب الجنسي ، وأنه كان قد اختار زوجته بعناية ، حتى
يقلل من مخاطر إرهاق قدرته الجنسية المهترئة ، وبحيث يمكنه في النهاية إلقاء اللوم
على الزوجة .

علاج اللعبة :

نظراً لخطورة هذه اللعبة ، فاحتمالات علاجها تتسم أيضاً بنفس الخطورة .
انتقام الزوج بالدخول في مغامرة إنشاء علاقات نسائية خارج الحياة الزوجية ،
يعتبر تهوراً له عواقبه الوخيمة ، خاصة وإذا كان أوان مثل هذه المناورة قد
فات ومن ناحية أخرى يكون بإمكان الزوجة أن تلجأ إلى القضاء أو تشهر
بالزوج في أوساط العائلة . ممارسة لعبة «أخيراً» أمسكت بك يا ابن
الكلاب ! » .

وإذا ما خضع الزوج للعلاج النفسي ، ورفضت الزوجة ذلك ، فإن
حصول الزوجة على مكاسب من هذه اللعبة يصبح أقل احتمالاً . فالزوج بعد
العلاج يصبح أكثر قوة وثقة بالنفس ، بحيث يتمكن من قيادة العلاقة بينه وبين
زوجته في مسار صحي

أما إذا كانت الزوجة تمارس اللعبة بقسوة وعنف ، فإن تحسن حالة الزوج
نتيجة لدخوله العلاج قد تقود إلى الطلاق .

والحل الأمثل - إذا كان هذا ممكناً - أن يشارك الزوجان في جماعة من
جماعات العلاج النفسي الجماعي ، حيث تتم تعرية أهداف ومكاسب هذه
اللعبة . وهذه الخطوة تصلح كتأهيل للعلاج النفسي الفردي المكثف .

عائلة اللعبة :

ومن عائلة هذه اللعبة ، مقلوبها : «الرجل البارد» ، وهي أقل شيوعاً من
اللعبة الأصلية ، ولكنها تتخذ نفس الخطوات ، مع بعض الاختلافات في
التفاصيل . وتعتمد النتيجة النهائية على نوع النص الذي يؤدي وفقه الأطراف
المشاركة أدوارهم .

وخط النهاية للعبة «المرأة الباردة» ، هو ظهور لعبة «الصراخ» فما أن تبدأ

هذه اللعبة الجديدة ، حتى يصبح التقارب الجنسي في خبر كان . حيث يستعير الطرفان بالمتعة المستمدة من لعبة « الصراخ » عن متعتها باللقاء الجنسي . وهذا هو السر في أن أهم خطوة في سبيل القضاء على لعبة « المرأة الباردة » ، هو إحباط لعبة « الصراخ » وحرمان اللاعبين من مكاسبها ، بحيث تصبح الزوجة في حالة عدم إشباع جنسى . تجعلها في نهاية الأمر أكثر اذعاناً ورضوخاً .

تحليل اللعبة .

هذه اللعبة تتم على المستوى الاجتماعي الظاهر من موقف (والد- طفل) كالتالى :

الزوجة (والد) : أعطيك الإذن بأن تقبلنى .

الزوج (طفل) : كم يسرنى أن أفعل ذلك .

الزوجة (والد) : والآن انظر ! . كم أنت شهوانى قدر !! .

أما الصيغة السيكولوجية الخفية للعبة ، فتتم من موقف (طفل- والد) كالتالى :

الزوجة (طفل) : حاول أن تغوينى أو تثيرنى جنسياً .

الزوج (والد) : سأفعل إذا حاولت منى .

الزوجة (طفل) : انظر .. أنت الذى بدأت الأمر ..

« المتزعجة »

هذه اللعبة تقوم بها ربة البيت دائمة الانزعاج والقلق ، والتي تضع نفسها .. في وضع يتطلب منها أن تكون خبيرة في عشرات الأعمال المختلفة . إنها تريد أن تكون المرأة الكاملة ، ربة البيت ، والعشيقة ، والمربية ، والطاهية ، الخائكة ، والمرضة .. إلى آخر القائمة .

والطبيعي أن هذا الحشد من الوظائف يكون عادة مجهداً ، لتعدد وتنقضه . ومع مرور الأعوام ، يتضاعف إحساسها بالإجهاد ، الذي ينعكس في ترديدها الدائم نصيحة « كم أنا متعبة ! » .

إذا كانت ربة البيت هذه قادرة على تنظيم خطواتها ، بما يتيح لها تأدية معظم هذه الأعمال ، وكانت تستنبط متعتها من حب وخدمة زوجها وأولادها ، فستمضي في حياتها الزوجية السعيدة ، حتى تتضاعف متعتها وسعادتها بذهاب أصغر الأبناء إلى الجامعة .

أما إذا كانت ، من ناحية ، غير قادرة على استنباط متعة كافية من حب وخدمة عائلتها ، ومن ناحية أخرى كان (الوالد) فيها قد اختار زوجها بحيث ينتقدها دائماً ويحاسبها على أفعالها ، فستحاول في البداية أن تلعب « لو لم يكن من أجل خاطرك » ، أو لعبة « الوصمة » التي ستعرض لها فيما يلي . والحقيقة أن الزوجات يلجأن عادة إلى هاتين اللعبتين كلما ساءت أمور حياتهن . ولكن ، في

حالتنا هذه ، تشعر الزوجة بعد حين أنها لا تفيان بالغرض ، ويكون عليها أن تتجه إلى لعبة «المنزعجة» .

خطوات اللعبة :

مظاهر هذه اللعبة بسيطة . تقبل الزوجة أى عمل يطلب منها أو يعرض لها ، بل ربما تسأل المزيد من الأعمال والتكليفات . وهى تتقبل فى صبر نقد زوجها لها ، وتسرع إلى تلبية كافة مطالب أولادها . إذا ما كان عليها أن تسلي ضيوفها على العشاء ، شعرت أن واجبها يتجاوز الظهور بمظهر المضيفة اللبقة حلوة الحديث ، إلى ضرورة الظهور بمظهر ربة البيت المدبرة ، ومصممة الأزياء الفنانة ، والطاهية الخاذقة ، والمرأة الجذابة ، والدبلوماسية الحصيفة . وهى بالإضافة إلى كل ذلك تتبرع فى صباح اليوم التالى بطهى كعكة خاصة لفطار ، واصطحاب الصغار إلى طبيب الأسنان .

وكما أحست ببعض القلق والانزعاج من المسئوليات والأعمال التى تنتظرها ، صممت على أن تجعل يومها أكثر إزعاجاً ، متصدية للمزيد من المسئوليات . وما أن تصل إلى ما بعد الظهر ، حتى تنهار تماماً ، ولا تنجز شيئاً مما وعدت به ، فيخيب أمل الزوج والأولاد والضيوف فيها ، ويتضاعف تأنيبها لنفسها ، وتزايد تعاسها .

عندما يتكرر هذا الموقف عدة مرات ، تصبح حياتها الزوجية فى خطر ، فترتبك أحوال الأولاد ، وتفقد الكثير من وزنها ، وتروح وتجيء فى بيتها بشعرها المهوش ووجهها الشاحب ، وحذائها المترب . وما أن يمضى بعض الزمن ، حتى تظهر فى عيادة الطبيب على استعداد للدخول المستشفى .

علاج اللعبة :

العلاج يكون بسيطاً إن كان وضع الزوجة لم يتجاوز الشكوى «كم أنا

متعة ! . فمن الممكن مساعدتها على تنظيم وقتها ، حتى يتمكنها أن تنق بالأعمال التي تتكفل بها على مدى الأسبوع . وفي حدود المعقول ويكون عليها أن ترفض القيام بعملين في آن واحد . عندما تقيم حفل عشاء مثلاً ، يكون عليها أن تختار بين دور (المتعهد) الذي يشتري حاجيات الحفل ، وبين (الطاهي) الذي يعد الطعام ، وبين (الحرسون) الذي يقدم الشراب والطعام ، وبين (المضيفة) التي تستقبل الضيوف وتجاذبهم أطراف الحديث

أما إذا كانت الزوجة تمارس لعبة «المتزعجة» ، فسيكون من الصعب اقناعها بهذا المنطق ، خاصة وأنها كانت قد اختارت زوجها بعناية ، بحيث يلعب في حياتها دور الرجل العاقل . الذي يواظب على نقد زوجته ، طالما أنها لا تصل أبداً إلى نفس مستوى الكفاءة التي يرى بها أمه . والزوجة في هذه الحالة تتزوج أحلام الزوج عن أمه كما يراها (الوالد) الذي بداخله ، التي تتشابه في نفس الوقت مع أحلامها عن صورة أمها وجدتها .

عندما تصل إلى الزوج المناسب ، يصبح بإمكان (الطفل) فيها أن يمارس لعبة «المتزعجة» ، وتعتمد على هذه اللعبة في تحقيق ما تسعى إليه من توازن نفسي . وهكذا ، يصبح من الصعب عليها أن تقلع عن ممارسة اللعبة . عندما يتأزم الوضع ، بسبب الإجازات المدرسية للأولاد مثلاً ، يجري استدعاء الطبيب المعالج ، لتتحول «المتزعجة» إلى لعبة ثلاثية . واستدعاء الطبيب يكون ، إما لأن الزوج يريد أن يجري صيانة شاملة للزوجة ، وإما لأن الزوجة تريده كحليف في مواجهة الزوج : وما يتم بعد ذلك يتوقف على مدى مهارة الطبيب النفسي المعالج ويقظته .

حالة الاكتئاب التي تعاني منها الزوجة عادة ما يسهل تخفيفها كخطوة أولى . إلا أن الخطوات الحاسمة تحل عندما يحاول الطبيب المعالج أن يدفع الزوجة إلى التوقف عن ممارسة لعبة «المتزعجة» ، لتحل محلها لعبة «الطب النفسي» ،

وهى لعبة سيأتى ذكرها فيما بعد . هذه الخطوة من الطبيب غالباً ما تقابل بمقاومة متزايدة من الزوجين . وفى بعض الأحيان ، يتمكن الزوجان من إخفاء هذه المقاومة بمهارة ، إلى أن يفاجأ الطبيب يوماً بتفجر هذه المقاومة . رغم أنه كان يتوقعها . عندما تكشف هذه المقاومة عن نفسها ، يمكن للطبيب النفسى المختص بتحليل الألعاب أن يواصل باقى مراحل العلاج .

من الضرورى التأكيد على أن المذنب الحقيقى فى هذه اللعبة هو (الوالد) داخل الزوجة ، سواء استمد عناصره من أمها أو جدتها ، ويكون دور الزوج أقل أهمية وفعالية . ولا يقتصر دور الطبيب على مناهضة (الوالد) داخل الزوجة ، أو مقاومة الزوج الذى يحلوه أن يستثمر استمرار اللعبة ، بل يتعدى ذلك إلى دراسة الظروف الاجتماعية للأسرة ، التى تشجع الزوجة على الشكوى وتقودها إلى ممارسة اللعبة .

ومن المصاعب التى يواجهها المعالج عند تناوله للحالات التى تمارس هذه اللعبة ، ميل الزوج إلى تجنب المشاركة الشخصية فى إجراءات العلاج ، لأنه فى واقع الأمر يكون ضالماً فى لعبة «المتزعجة» بأكثر مما يبدى . وخلال العلاج ، نراه يرسل إلى الطبيب المعالج الرسائل غير المباشرة ، عن طريق انفجاراته العصبية المتكررة ، التى يعلم مسبقاً أنها ستصل إلى الطبيب عبر الزوجة .

هنا ، نصل إلى الدرجة الثالثة من لعبة «المتزعجة» ، حيث يتم صراع حياة أو موت ، من أجل الطلاق ، وعند هذا المستوى ، يكون الطبيب المعالج وحيداً ، لا يسانده سوى (البالغ) فى الزوجة . هذا (البالغ) فى الزوجة لا يقتصر على الدخول فى عراك مميت مع (الطفل) و (البالغ) و (الوالد) فى الزوج ، لكنه يشتبك أيضاً مع (الطفل) و (الوالد) فى الزوجة شخصياً .

« انظر ، كم أحاول بجد »

هذه لعبة ثلاثية الأدوار ، يقوم بها الزوج والزوجة والطبيب النفسى . الزوج يسعى إلى الطلاق ، رغم اعلانه الصارخ بعكس هذا ، بينما تكون الزوجة مخلصه في عزمها على مواصلة الحياة الزوجية . يأتى الزوج إلى الطبيب النفسى محتجاً في أول الأمر ، لكنه يتكلم كثيراً وبإسهاب ، حتى يظهر أمام الزوجة بمظهر المتعاون الراغب في حل المشاكل واستمرار الحياة الزوجية ، في هذه الحالة يمارس الزوج عادة لعبة «الطب النفسى» ، أو لعبة «المحكمة» . ومع مرور الوقت يكتشف الطبيب في الزوج ، إما تدمراً متزايداً ، أو إذعاناً كاذباً ، أو شغفاً بالمناقشة العدوانية معه . أما في البيت ، فيبدى مزيداً من التفهم والخضوع للزوجة إلا أنه في النهاية ، يتصرف بشكل يتناقض مع هذا كله ، فبعد زيارة أو عدة زيارات لطبيب (ووفقاً لمهارة الطبيب) ، يرفض الذهاب إلى جلسات العلاج النفسى ، ويفضل عليها تمضية الوقت في أى تسلية أخرى ، مما يدفع الزوجة إلى قبول الطلاق .

الزوج الآن لا يستحق اللوم ، فهو قد أظهر حسن نيته وتعاونيه بالذهاب مع الزوجة إلى الطبيب النفسى ، كما أن الزوجة هى التى طلبت الطلاق . لقد أصبح في موقف ممتاز ، يسمح له بأن يقول للقاضى أو الصديق أو القريب « انظر ، كم حاولت بجد » .

علاج اللعبة :

علاج هذه اللعبة يحتاج إلى خطة دقيقة ، تبدأ بمقابلة الطبيب النفسى للزوجين معاً ، فإذا كان الزوج هو الذى يمارس اللعبة ، يقتصر الطبيب فى الجلسات التالية على علاج الزوجة ، مع إهماله لأمر الزوج ، على اعتبار أنه أقل خضوعاً للعلاج النفسى من الزوجة . ورغم أن الزوج بهذه الطريقة يبقى قادراً على الطلاق ، لكنه - على الأقل - لن يستطيع أن يدعى أنه حاول جدّياً منع الطلاق .

كما يمكن للزوجة أن تطلب هى الطلاق ، إذا كان هذا ضرورياً لصالح الطرفين ، إلا أن موقفها سيكون أفضل من موقف الزوج ، حيث أنها حاولت فعلاً الحفاظ على حياتهما المشتركة .

الحكمة فى هذه الخطة ، أن الزوج الذى سيعانى من إحساس باليأس نتيجة لحرمانه من ممارسة اللعبة ، سيمضى باحثاً عن علاج لحالته فى مكان آخر ، ولكن بدوافع حقيقية هذه المرة .

وتجرى هذه اللعبة فى شكلها اليومى كلعبة ثنائية بين الصغير وأحد أبويه . وينطلق الصغير فى ممارسته لهذه اللعبة من موقفين «أنا ضعيف بلا عون ..» ، أو «لا يمكن أن يلومنى أحد» . هذا الصغير يحاول ، لكنه يفشل ، فإذا كان ينطلق من موقف «أنا ضعيف بلا عون ..» يكون على الأب أن يشاركه ممارسة اللعبة . وإذا كان ينطلق من موقف «لا يمكن أن يلومنى أحد» لا يكون لدى الأب سبب معقول لعتابه ، وعلى الأبوين إذا ما اكتشفا ممارسة الابن أو الابنة لهذه اللعبة ، أن يبحثا بأمانة ، أيا منهما لقن الابن أو الابنة هذه اللعبة ، وما هو الذى يفعلانه مما يسمح لهذه اللعبة أن يطول أمدّها .

وهناك تنويع مثير لهذه اللعبة . يتسم في أغلب الأحيان بالشر والنية الخبيثة . هو لعبة « انظر ، كم كنت أحاول بجد » وهذا التنويع يعتبر لعبة قاسية من الدرجة الثانية أو الثالثة .

في المثال التالي نستعرض حالة رجل دعوب في عمله مصاب بقرحة المعدة

الدرجة الأولى :

يعلن الرجل أمام زوجته والأصدقاء أنه أصيب بقرحة المعدة . وهو يحرص على إعلامهم بأنه مازال يواصل العمل بنفس المعدل الذي كان يلتزمه ، وهو بهذا يبتز اعجابهم . فالشخص الذي يعاني من الألم ، أو من الظروف السيئة ، يكون من حقه أن يمارس قدرًا من المباهاة ، كتعويض عن معاناته . ويتوقع أن يتلقى مجاملة ضمنية تحمل معنى « نعم .. كلنا معجبون بتضحيتك ونكرانك لذاتك » .

الدرجة الثانية :

يعرف الرجل أنه مصاب بالقرحة ، ولكنه يحتفظ بالخبر لنفسه ، ولا يخطر به الزوجة أو الأصدقاء ، ويواصل العمل والقلق بطريقة أكثر تكثيفًا مما سبق . وفي أحد الأيام ، يسقط في مكتبه . وعند اخطار الزوجة بحالته . تتلقى في نفس الوقت رسالته الضمنية « انظري ، كم كنت أحاول بجد » . وهنا ، يصبح على الزوجة أن تبالغ في تقديره بأكثر مما فعلت في أي يوم من الأيام . وأن تكون آسفة على جميع الأعمال الوضيعة التي فعلتها معه في الماضي . باختصار ، يصبح من المفترض الآن أن تغرقه في حبها ، فكل الطرق السابقة التي لجأ إليها حتى يستميل الزوجة ويحظى بحبها قد فشلت . ولحظ الزوج السيئ ، تكون جميع مظاهر الود والاعجاب التي تبديها

الزوجة في هذه المرحلة بدافع الإحساس بالذنب ، أكثر من كونها بدافع الحب . هذا بالإضافة إلى أن الزوجة تشعر في أعماقها بالاسمياء منه ، لأنه قد استخدم ضدها ، عنصر إرغام قوى لا يتصف بالعدل . كما أن إصراره على إخفاء خبر مرضه منذ البداية ، قد اكسبه تميزاً غير عادل أو أمين عليها .
وواقع الأمر ، أن خاتماً هدية يكون أداة أكثر في التقرب إلى الزوجة من معدة مصابة . وهو يدرك هذا ، إلا أنه يدرك في نفس الوقت أنه إذا كان بإمكانها أن تلقى في وجهه بالخاتم الهدية ، فهي لن تستطيع أن تهجره بعد إصابته بقرحة المعدة . والزوجة - من جانبها - تشعر أن مفاجأته لها بالمرض خديعة تدخلها إلى الفخ ، أكثر منها وسيلة لكسبها والتقرب منها .
وغالباً ما يتم اكتشاف هذه اللعبة ، بمجرد أن يسمع المريض أن هناك احتمالاً كبيراً لأن تسوء حالته ، ولأن يستفحل المرض . وحتى إذا كانت لديه نية مواصلة اللعبة ، فالوضع بأكمله سيلتزم في عقله ، ويصبح بإمكان طبيب نفسى حريص أن يشفيه من دوافع هذه اللعبة .

الدرجة الثالثة :

وفيها يكون الانتحار المفاجئ للزوج نتيجة لمرضه الخطير ، مظهرًا أشد شراً وحقداً .

القرحة تتطور إلى سرطان . وذات يوم ، تدخل الزوجة - التي لم تكن لديها فكرة عن مرضه - إلى الحمام ، لتجد زوجها مطروحاً على الأرض ، وقد لفظ أنفاسه الأخيرة ، تاركاً رسالته الخالدة إليها « انظري ، كم كنت أحاول بحمد » .

« حبيبتى .. »

يتم اكتشاف هذه اللعبة فى أوضح أشكالها خلال المراحل الأولى من جلسات العلاج النفسى الجماعى ، خاصة عندما يميل الطرفان إلى اتخاذ موقف دفاعى ، كما يمكن أيضاً تتبع اللعبة فى اللقاءات الاجتماعية .

الزوج يبدى باتزان بعض الملاحظات المهينة عن زوجته ، فى شكل حكاية طويلها يختمها بقوله « أليس هذا صحيحاً .. يا حبيبتى ؟ » . عادة ما تميل الزوجة إلى التأمين على أقوال الزوج ، لسببين :

أولاً : لأن الحكاية التى رواها الزوج تكون بالفعل صحيحة فى جوهرها ورغم أنه جعلها تبدو أكثر إهانة ببعض التفاصيل الفرعية التى أضافها للحكاية الأصلية . فاعتراضها على هذه التفاصيل مع اعترافها بالجوهر ، سيجعلها تبدو سخيفة أمام الآخرين .

ثانياً : لأنه سيدو غريباً أن ترفض كلام الرجل الذى يناديها أمام الناس بقوله « يا حبيبتى » .

والدافع السيكولوجى لموافقتها - على أى حال - هو احساسها بالاكئاب . فهى قد تزوجته بالذات ، دون غيره . من الرجال ، لأنها عرفت قدرته على تقديم خدمة خاصة لها . فهو باستعراضه لنواقصها ، يعفيها من أن تضطر إلى القيام بهذه المهمة بنفسها خاصة وأن والدها قد تعود على أن يودى لها هذه الخدمة عندما كانت صغيرة .

وهذه اللعبة تلى لعبة «المحكمة» ، من حيث الشيوع في الحياة الزوجية .
وبقدر تأزم الموقف ، وبقدر اقتراب الزوج في حكايته من التفاصيل الدقيقة
لحياتها الزوجية ، تكون مرارة نداء «يا حبيبتي» في أذن الزوجة ، تلك
المرارة التي لا تبدد إلا عندما تتضح لها طبيعة اللعبة .

علاج اللعبة :

الملاحظة الدقيقة تظهر لنا وجه الشبه بين هذه اللعبة ، ولعبة «المكّار» ،
التي سنتعرض لها فيما بعد بالتفصيل . فالحركة المميزة في هذه اللعبة ، هي التي
تحصل فيها الزوجة على الغفران من زوجها ، بحديثه عن نواقصها التي تميل إلى
تجاهلها واغماض العين عنها .

من واقع هذا التشابه ، يكون أسلوب العلاج وإيقاف اللعبة في حالة
«حبيبتي» موازيًا لأسلوب العلاج في لعبة «المكّار» . وفيه تقول الزوجة تعقيبا
على حكاية الزوج «يمكنك أن تحكى قصصك المهنية عني ، لكن أرجوك ألا
تدعوني حبيبتك !» . هذا العلاج يحمل نفس مخاطر العلاج الموازي في لعبة
«المكّار» ، إلا أن خطوة الزوجة الأيسر عواقبا والأكثر تحضرا تكون
باستجابتها قائلة «بالضبط .. يا روحى !» .

ومن أساليب وقف اللعبة ، أن تعقب الزوجة على حكاية الزوج ، بحكاية
أخرى عن نواقص الزوج ، بحيث تنهى حكايتها قائلة له «أليس هذا أيضا
صحيحا .. يا حبيبى ؟» . وهي بهذا توجه إليه رسالة ضمنية تقول «وأنت
أيضا يا عزيزى لك نفس الوجه القبيح !» .

وهناك نوع آخر من لعبة «حبيبتي» يوصف بأنه النوع الصامت ، حيث
لا يتم نطق ألفاظ التحجب صراحة ، لكن المستمع الحصيف يمكنه أن يشعر
بها واضحة في خفايا حديث الزوجين .

الفصل السادس

الغائب الحفلات

ألعاب الحفلات

الغرض الأساسي من الحفلات هو تمضية الوقت بشكل لطيف ، ولكن مع تعمق التعارف يبدأ ظهور الألعاب . «المكّار» وضحيته يتعرفان على بعضهما ، وعلى إمكانية ممارسة اللعبة . والألعاب التي تدرج تحت فصيلة ألعاب الحفلات هي :

* « أليس هذا فظيلاً ؟ ! » .

* « الوصمة » .

* « المكّار » .

* « لماذا لا ... ، نعم ولكن ... » .

« أليس هذا فظيماً ؟ ! »

تشيع هذه اللعبة بين الناس على أربعة أشكال : كتسلية من موقف (الوالد) ، وتسلية من موقف (البالغ) ، وتسلية من موقف (الطفل) .. ثم أخيراً كلعبة .

وهي كتسلية لا تحقق لممارسها كسباً أو عائداً دفيناً ، كما في حالة اللعبة .

أولاً : « هذه الأيام » :

بهذا يسمى نمط التسلية من موقف (الوالد) وتشيع هذه التسلية بين نوع معين من نساء الطبقة المتوسطة ، يتميزن بالدخل المحدود . تقول المرأة لصاحباتها « لا عجب إذا لم نجد من نثق فيه هذه الأيام .. كنت أبحث عن شيء في الدولاب ، ويمكنكن تصور ما وجدت في الدرج .. إلى آخر هذا الحديث » .

والمرأة التي تمارس هذه التسلية لديها إجابة شافية على معظم التساؤلات الجارية في المجتمع : عن التدليل الزائد (الآباء أصبحوا في منتهى الضعف « هذه الأيام ») ، وعن الطلاق (الزوجات لم يعد لديهن ما يشغلهن « هذه الأيام ») ، وعن الجريمة (الأغراب الذين يحومون حول البيوت « هذه الأيام ») ، وعن ارتفاع الأسعار (الخلل الاقتصادي الذي وصلنا إليه « هذه الأيام ») .

ثانيًا : « الجراحة » :

بهذا يسمى نمط التسلية من موقف (البالغ) . هذا النوع من التسلية يتسم بتدفق بحور من الدماء ! .

غالبًا ما تتم هذه التسلية في حجرات الانتظار داخل عيادات الأطباء ، وتبلغ قمة دمويتها في عيادات الجراحين .

يبدأ أحد الحاضرين بسرد تفاصيل جراحة من الجراحات ، وكلما كانت التفاصيل أكثر إيلاّمًا كلما كانت أقرب إلى النجاح ، فمن خصائص هذه التسلية الاهتمام البالغ بالتفاصيل الدقيقة المخيفة . وما أن ينتهى الأول من حكايته ، حتى تتوالى الحكايات من باقى الموجودين فى حجرة انتظار الجراح ، عن بتر أعضاء ، وفتح رأس ، وعمليات قيصرية .. إلى آخر القائمة .

ثالثًا : « فترة الراحة » :

بهذا يسمى نمط التسلية من موقف (الطفل) . وتحمل هذه التسلية شعار « انظر ماذا يفعلون بنا الآن ! » . وهى تسلية تجرى فى المؤسسات التى يسود فيها الظلم . وهى تسلية أركانها ثلاثة : المتحدث والمستمع و «هم» ، والضمير ينسحب على المؤسسة أو الدولة .

رابعًا : « أليس هذا فظيعة ؟ ! » :

بهذا تسمى اللعبة ، وهى تتحقق بشكل ظاهر لدى مدمنى اجراء الجراحات . وتعاملاتهم تكشف بوضوح خصائص هذه اللعبة .

الذين يلعبون « أليس هذا فظيعة ؟ » ، يغلب أن يكونوا من الزبائن الدائمين للأطباء ، الذين يبحثون بنشاط عن فرصة اجراء جراحة لهم حتى فى وجه معارضة الأطباء . وهم يستنبطون متعتهم من المحاولة ذاتها ، ومن

الجراحة ، ومن الإقامة الممتدة في المستشفى .

وهذه اللعبة تستمد مزاياها السيكلوجية الداخلية من تحقيق الرغبة في تشويه الجسد أما المزايا السيكلوجية الخارجية (أى التى تتصل بالناس) فتأتى من تجنب أى شكل من أشكال الألفة ، وتجنب جميع المسئوليات ، بالاستسلام الكامل للجراح

« أليس هذا فظيلاً ؟ ! » ، لا تصبح لعبة عندما يكشف ممارسها عن شعور بالمرارة . ولكن عندما يضمرا استمتاعه الذى يستمده من سوء حظه .

* * *

والذين يعانون من سوء الحظ يمكن تصنيفهم في ثلاث فئات :

- ١ - الذين لا يهتمون بالمعاناة ، ولا يريدونها ، وهؤلاء قد يستثمرون العطف الذى يقدم إليهم طواعية ، وقد لا يستثمرونه . وهذا وضع أقرب إلى أن يكون طبيعياً ، ويقتضى الرفق فى المعاملة .
- ٢ - الذين لا يهتمون بالمعاناة ، ولكنهم يتقبلونها بامتنان ، بسبب احتمالات الاستمتاع بالعطف الذى يتلقونه نتيجة لها .. وهنا ، تكون اللعبة فى المقام الثانى (أى أن مكسب الذى يمارسها يعتبر مكسباً ثانوياً) .
- ٣ - الذين يبحثون عن المعاناة ، مثل مدمنى الجراحة الذين ينتقلون من جراح إلى آخر ، حتى يعثروا فى النهاية على الجراح الذى يقبل إجراء العملية لهم . وفى هذه الحالة تحتل اللعبة المقام الأول .

« الوصمة »

تعتبر هذه اللعبة مصدرًا لنسبة عالية من المخاصمات الخفيفة في حياتنا اليومية . وتم ممارستها من موقف (الطفل) المكتئب ، الذى يقول لسان حاله «أنا لا أصلح لشيء» . ولتغطية هذا الموقف تم ممارسة اللعبة من موقف (الوالد) ، الذى يقول لسان حاله «إنهم لا يصلحون لشيء» . وتصبح مشكلة الذى يمارس هذه اللعبة في معاملاته مع الآخرين أن يثبت الافتراض الأخير .

ولهذا فمارس لعبة «الوصمة» لا يشعر بالارتياح مع شخص يتعرف به لأول مرة ، إلا حين يكتشف هذا الشخص وصمته . ويمكن أن تصبح هذه اللعبة ، في شكلها القاسى ، لعبة سياسية دكتاتورية ، تلعبها الشخصيات السلطوية ، بهذا قد تصبح لها اصدااء تاريخية جادة . كما أن الثقة بالذات التى تحققها هذه اللعبة لممارسها تتسم بالسلبية ، لأنه يعتمد على اكتشاف وصمات الآخرين ، وليس وصمته هو .

ومنطلقات هذه الممارسة تمتد على نطاق واسع ، من أكثر المنطلقات تفاهة وغرابة «إنه يرتدى طرازاً قديماً من السترات» ، وأكثرها سخرية «بعد كل هذا العمر لم يصل رصيده إلى عشرة آلاف جنيه» ، أو شراً مثل «لا يستطيع أن يثبت نقاء سلالة» ، إلى أكثرها ترفعاً «لم يقرأ فلسفة سارتر» ، أو خصوصية

«إنه فاقد القدرة الجنسية» ، أو سفسطة «ليتني أعرف ما الذى يسعى إلى إثباته» .

ومن وجهة نظر الآليات السيكلوجية ، تقوم هذه اللعبة عادة على عدم الأمان الجنسى ، وهدفها هو استعادة الثقة . ومن وجهة نظر تحليل التعاملات ، تقوم اللعبة على التطفل والفضول المرضى والتلذذ بمراقبة الآخرين ، يحدث هذا أحياناً تحت شعار اهتمام خيرى من موقف (الوالد) و (البالغ) يغطى استمتاع (الطفل) .

المكسب السيكلوجى الداخلى هو التحلل من الاكتئاب ، أما المكسب السيكلوجى الخارجى فهو تجنب التآلف الذى قد يقود إلى كشف ممارس اللعبة عن وصمته . وممارس اللعبة يشعر بعدالة موقفه عندما ينتقد أصحاب الطرز القديمة أو الذى لم يقرأ فلسفة سارتر أو من يكون فاقداً القدرة الجنسية . هذا بالإضافة إلى أن التطفل على الآخرين يوفر تحركاً اجتماعياً داخلياً له فوائده البيولوجية .

« المكّار »

تتبع حركات هذه اللعبة النسق التالى :

الضيف (حركة أولى) : يقلب ممارس لعبة « المكّار » قدح الشاى على رداء المضيف .

المضيف (حركة أولى) : يستجيب المضيف تلقائيا بالغضب ، ولكنه يشعر (غالبا بشكل غامض) أنه إذا ما أظهر غضبه ، سيكسب الضيف المعركة . وعلى هذا يتماسك المضيف مخفيا مشاعره ، مما يعطيه إحساسا وهميا بالانتصار .

الضيف (حركة ثانية) : يقول الضيف « أنا آسف » .

المضيف (حركة ثانية) : يغمغم المضيف بالعفو ، أو يعلنه بصوت مرتفع ، داعما إحساسه الذاتى بالانتصار .

الضيف (حركة ثالثة) : يتابع الضيف بعد ذلك القيام بإتلاف أشياء أخرى فى بيت المضيف ، يكسر شيئا أو يسكب شيئا ، خالقا الاضطراب من كل نوع . فبعد أن تحرق سيجارته مفرش المائدة ، يمزق رجل المقعد الذى ينقله الستار الرقيق الخاص بالشرفة . (الطفل) فى الضيف ، قد عمه السرور ، وحقق أقصى متعته بالأفعال التى قام بها ، ثم هو قد حظى بالغفران فى كل حالة . أما المضيف فقد قدم عرضا ممتازا ، فى قدرته على تحمل معاناة ضبط النفس . وبهذا يكون كل منهما قد استفاد من هذه المناسبة غير السعيدة . وفى

غاب الأحياء . لا يسعى المضيف إلى إنهاء هذه الصداقة . أو العلاقة .

مكسب اللعبة :

كما في جميع الألعاب ، اللاعب الذى يبدأ الحركة الأولى ، هو الذى يكسب بصرف النظر عن المسار الذى تمضى فيه اللعبة .

إذا أظهر المضيف غضبه . يشعر ممارس اللعبة (أى الضيف) بعدالة موقفه إذا ما قام برد اللطمة . وإذا أمسك المضيف بأعصابه . يمكن للضيف أن يستمر فى نشاطه مستمتعا .

العائد الأساسى من هذه اللعبة ، أو مكسبها ، ليس هو التخريب الذى يقوم به الضيف والذى هو فى حد ذاته مكسب إضافى ، إنما هو حصول ممارس اللعبة ، أو الضيف . على العفو والغفران فى نهاية الأمر .

علاج اللعبة :

علاج هذه اللعبة يكون بعدم تقديم الغفران أو العفو . بعد أن يقول ممارس اللعبة فى أعقاب إحدى عملياته التخريبية « أنا آسف » ، على المضيف ، بدلا من أن يغمغم بالعفو ، أن يقول للضيف بحسم « اسمع .. يمكنك الليلة أن تحطم أثاث بيتى ، وتمزق ستائرى .. ولكن أرجوك ألا تردد (أنا آسف) هذه ! ... » بهذا يتقل المضيف من (والد) متسامح ، إلى (بالغ) موضوعى يتحمل كافة المسئوليات الناشئة عن دعوته هذا الضيف إلى بيته .

مدى ثقل وكثافة اللعبة التى يمارسها الضيف ، يمكن أن يتم الكشف عنه فى أعقاب هذا النوع من الرد من جانب المضيف . والأغلب أن يجىء رد الفعل متفجرا ، فالذى يتدخل لإيقاف مسار هذه اللعبة ، يدخل فى مغامرة أكيدة ، غالبا ما تتضمن اندفاع الخصم إلى تحرك سريع للأخذ بالثأر . وفى أبسط الأحوال وأقلها فداحة ، يكتسب عداوة ممارس اللعبة .

* * *

الأطفال . عندما يبدأون في ممارسة لعبة « المكّار » ، يكتفون في أول الأمر بالحصول على الاستمتاع بخلق الفوضى : إلا أنهم سرعان ما يتدربون على التكيف الاجتماعى ، الذى يتيح لهم أن يحصلوا آخر الأمر على الغفران الذى هو المكسب الأساسى للعبة .

على المستوى الاجتماعى الظاهر ، تتم اللعبة من موقف (بالغ - بالغ) على الصورة التالية :

الضيف (بالغ) : طالما أننى مؤدب يجب عليك أنت أيضا أن تكون مؤدبا . .

المضيف (بالغ) : هذا حسن .. إنى أغفر لك .
أما على المستوى السيكولوجى الخفى ، فتتم من موقف (طفل - والد) كما يلى :
الضيف (طفل) : عليك أن تغفر لى الأفعال التى أقوم بها طالما أنها تبدو عرضية .

المضيف (والد) : أنت على حق ، يجب أن أعطيك نموذجا لما تكون عليه الأخلاق الطيبة .

« لماذا لا ... نعم ولكن »

هذه اللعبة تحتل مكانة خاصة في تحليل الألعاب ، لأنها كانت الظاهرة الملفتة التي نهت المختصين إلى الألعاب . لقد كانت أول لعبة يتم اقتطاعها من سياقها الاجتماعي ، ووضعها تحت مجهر البحث السيكلوجي . لهذا السبب ، تعتبر أكثر الألعاب وضوحا وهي أيضا أكثر الألعاب تداولا في الحفلات واللقاءات الاجتماعية . وكذلك في تجمعات العلاج النفسي الجماعي .

المثال التالي يوضح اللعبة :

اللاعب : يصر زوجي دائما على أن يقوم بأعمال التجارة المنزلية بنفسه ، ومع ذلك لم يحدث أن أتم عملا واحدا بشكل سليم .

امراة (١) : لماذا لا تأخذ دروسا في أعمال التجارة ؟ .

اللاعب : نعم ولكن .. ليس لديه الوقت الكافي لذلك .

امراة (٢) : لماذا لا تشتري له أدوات التجارة الحديثة التي تسهل العمل ؟ .

اللاعب : نعم ولكن .. من أين له أن يعرف كيفية استخدامها ..

امراة (٣) : لماذا لا تكلفين أحد التجارين المحترفين بهذه الأعمال ؟ .

اللاعب : نعم ولكن .. سيكلف هذا كثيرا .

امراة (٤) : لماذا لا تقبلين ما يفعله زوجك ، وبالطريقة التي يفعله بها ؟ .

اللاعب : نعم ولكن .. هذا يعنى أن كل شىء من حولنا سيتساقط

* * *

مثل هذا الحوار ، غالبا من ينتهى بلحظة صمت . هذا الصمت قد تقطعه امرأة (٥) قائلة شيئا ما مثل « هكذا الرجال بالنسبة لنا دائما . يسعون إلى إظهار تفوقهم علينا بسبب وبدون سبب »

ولعبة « لماذا لا .. نعم ولكن .. » ، يشارك فى لعبها أى عدد من الأشخاص . اللاعب يطرح مشكلة ، فيبدأ الآخرون فى تقديم الحلول .. كل حل يبدأ بقول « لماذا لا .. » ، ويرد اللاعب فى كل مرة « نعم ولكن » . الممارس الماهر لهذه اللعبة يستطيع أن يستمر فيها لأطول مدى . وحتى يستسلم جميع الموجودين مما يعنى انتصاره عليهم . وفى كثير من الأحيان . تحتاج اللعبة إلى عشرة اقتراحات أو أكثر قبل الوصول إلى لحظة الصمت المطلوبة ، والتي تعنى انتصار ممارس اللعبة

وممارس اللعبة يرفض ، فما عدا حالات نادرة ، كل الحلول والاقتراحات المطروحة عليه من الآخرين ويحاول أن يفندها . وهذا يوضح ماهذه اللعبة من أهداف خبيثة .

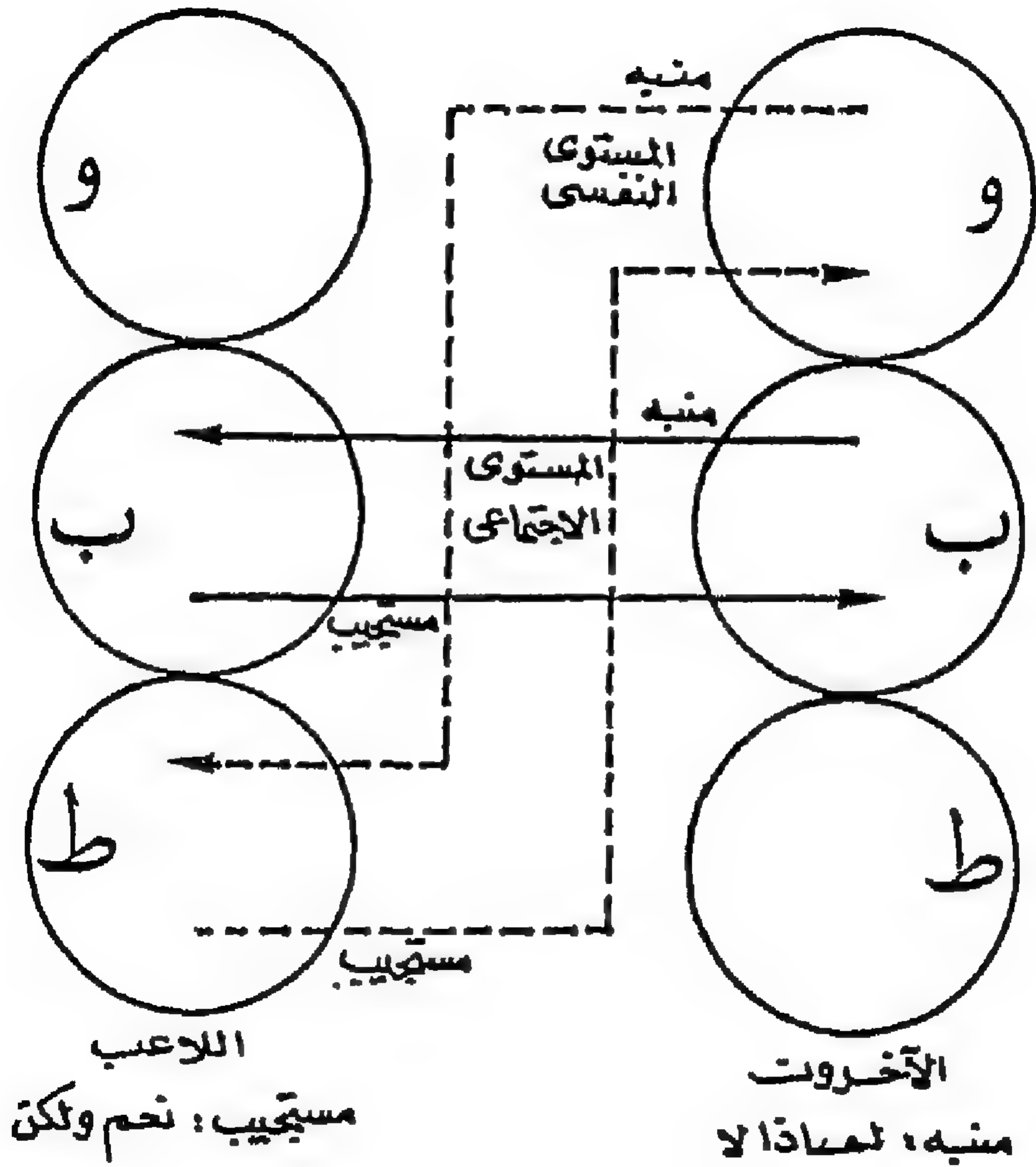
تحليل اللعبة :

هذه اللعبة لاتتم سعيًا وراء الأغراض الظاهرة لها ، « طلب (البالغ) حلا لمشكلة ، أو معلومات حول موضوع » . ولكنها تتم بهدف تأمين وامتاع (الطفل) فى اللاعب .

النص الصريح للعبة ، قد يوحي بأنها تتم من موقف (البالغ) ، ولكن المتأمل للنسيج الحى للعبة ، يمكنه ملاحظة أن الزوجة تلعبها من موقف (الطفل) القاصر عن مواجهة الموقف ، بينما تلعبها الأخريات من موقف

(الوالد) الذي لا يدخر جهداً ، في تقديم خبرته لممارسة اللعبة .

فاللعبة على المستوى الاجتماعي المعلن تتم من موقف (بالغ - بالغ) وعلى المستوى السيكولوجي الخفي تتم من موقف (طفل - والد) - وعادة ما يكون المستوى السيكولوجي للعبة خافياً على الذين يمارسونها ، فتتمضي حركاتها بطريقة لا شعورية (انظر شكل ٨) .



”لماذا لا ، نعم ولكن“
شكل (٨)

ظة التحول الشعوري للأطراف الداخلة في اللعبة (البالغ في الزوجة إلى طفل ، والبالغ في الآخرين يتحول إلى والد) ، لحظة التحول هذه . يمكن للملاحظ المدقق أن يكتشفها ، عن طريق التغير الذي يحدث في الإيماءات والحركات والطبقات الصوتية ، والمفردات المستخدمة في الحديث . من أجل كشف الوجه الخفي لهذه اللعبة - يسأل الطبيب الزوجة . الطبيب : هل طرحت إحدى الحاضرات اقتراحا لم تفكرى فيه من قبل ؟ .

الزوجة : لا .. لم يحدث ، بل واقع الأمر أننى جربت تقريبا كافة الاقتراحات التى طرحوها فاشتريت له أدوات نجارة حديثة ، ودفعته إلى أخذ دروس فى النجارة .

رد الزوجة يعطى سببين لعدم أخذ اللعبة على وجهها الظاهر . أولها ، كون اللاعب على نفس مستوى ذكاء المشاركين فى اللعبة ، ومن ثم يصبح بعيدا عن الاحتمال أن يقترح واحد منهم حلا لم يصل إليه ممارس اللعبة من قبل . وهذا لا يمنع أنه يحدث فى بعض الأحيان أن يتقدم أحد المشاركين فى اللعبة باقتراح جديد مبتكر للمشكلة ، فإذا كان ممارس اللعبة يمارسها بأمانة (وهذا ما لا يحدث فى أغلب الأحيان) ، سيجد نفسه مضطرا لقبول هذا الحل ، بمعنى أن (الطفل) العاجز فى الزوجة ، سيتخلى عن تحكمه فى الموقف ، مخليا السبيل (للبالغ) ، بعد ظهور الفكرة المبتكرة .

ومن ناحية أخرى ، يكون القبول العاجل للاقتراحات من جانب الزوجة ، يثيرا للتساؤل فيما إذا كانت تخفى عزمها بالانتقال إلى لعبة أخرى اسمها « الغبي » ، سيأتى ذكرها فيما بعد . والمثال المذكور للحوار بين الطبيب والزوجة ، يصور بوضوح الجانب الخفى الثانى للعبة . لقد حاولت الزوجة بالفعل بعض الاقتراحات التى طرحتها النساء عليها ، لكنها مازالت تعترض

على هذه الاقتراحات وترفضها فالهدف من اللعبة إذا ، ليس الحصول على اقتراحات ، بقدر ماهو الاعتراض على هذه الاقتراحات .

بينما يكون من المحتمل أن يلعب أى واحد منا هذه اللعبة ، فى ظروف مناسبة ، وكوسيلة لشغل الوقت . فالدراسة المتأنية للأشخاص الذين يفضلون هذه اللعبة ويمارسونها دائما ، تكشف عدة ملامح مثيرة للانتباه .

أولا ، قدرتهم على لعب الأدوار المختلفة للعبة ، بنفس السهولة واليسر وهذا التنقل بين الأدوار المختلفة سمة عامة من سمات الألعاب . قد يفضل اللاعب دورا حصينا على باقى الأدوار بحكم العادة لكنه يكون قادرا - إذا اقتضى الأمر - أن يتنقل من دور إلى آخر فى نفس اللعبة .

ثانيا ، لوحظ فى عيادات الطب النفسى ، أن الذين يمارسون لعبة « لماذا لا .. نعم ولكن .. » ينتسبون إلى فئة من المرضى النفسيين ، تتطلب حالتهم فى أغلب الأحيان التنويم المغناطيسى أو التنويم بالحقن ، كوسيلة للاسراع بالعلاج . فجوهر لعبتهم هو التأكد من عدم قدرة الآخرين على الوصول إلى حلول تقنعهم ، الذى يعنى بدوره رفضهم الخضوع . إلا أنهم عندما يتعاملون مع الطبيب النفسى ، يطالبون بإجراء يجعلهم فى حالة خضوع كامل . هذا يعنى أن اللعبة تمثل حلا اجتماعيا ظاهرا ، لصراع خفى حول الرغبة فى عدم الخضوع . والخوف المرضى من التحجل والمواقف المنحجلة هو الدافع غالبا إلى هذه اللعبة ، وهو مايؤكدده هذا الحوار الذى جرى بين الطبيب النفسى والزوجة أثناء العلاج .

الطبيب : لماذا تلعبين لعبة « لماذا لا .. نعم ولكن .. » ، إذا كنت تعرفين حقيقتها ؟ .

الزوجة : عندما أتحدث مع إنسان ، أظل أفكر فى الأشياء التى سأقولها . وإذا لم أنجح فى العثور على موضوع للحديث ، يصيبني التحجل . أنا لا أتحمل

فترات السكوت أنا أعرف هذا ، وزوجى يعرفه ، وطالما كاشفتى بهذه الحقيقة

الطبيب : معنى هذا أن (البالغ) عندك إذا لم يكن فى حالة نشاط ، فإنه يفتح السبيل أمام (الطفل) كى يقفز إلى السطح ، ويسبب لك الارتباك
الزوجة : الأمر كذلك فعلا عندما أوصل تقديم الاقتراحات للإنسان ما ، أو عندما أدفعه إلى أن يقدم لى اقتراحاته . أكون بخير ، وأشعر بالحماية . وكلما تمكنت من ابقاء (البالغ) داخلى فى عالم تحكم . أمكننى أن أوجل فترة الارتباك ..

مكاسب اللعبة :

أظهرت الزوجة فى حوارها هذا أنها تخاف الوقت الخالى ، غير المشغول . لأن (الطفل) داخلها يحال بينه وبين الاعلان عن نفسه وممارسة ألامعبه ، طالما أن (البالغ) يظل منشغلا بموقف اجتماعى . واللعبة تقدم شغلا مناسباً لوظيفة (البالغ) . وهذه اللعبة لا تحقق مكسبها إلا إذا أديرت بشكل مناسب . واختيار الزوجة لهذه اللعبة قد تم وفق قاعدة اقتصادية : الحصول على أكبر مكاسب داخلية وخارجية من صراع (الطفل) الذى بداخلها . وهى قادرة أن تلعب بحماس متكافئ ، إما دور (الطفل) المشاغب الذى يصعب اخضاعه ، أو (الوالد) العاقل الذى يحاول أن يتحكم فى (الطفل) عند الآخرين ، والذى يفشل فى هذا دائما . فالمبدأ الأساسى فى هذه اللعبة أن جميع الاقتراحات مرفوضة ، بمعنى أن (الوالد) لا ينجح أبدا ومنطوق اللعبة يقول « لا تجعل الفرع يستولى عليك .. (الوالد) لن ينجح أبدا ! » .

وباختصار ، بينما توفر كل حركة من حركات هذه اللعبة لممارستها التسلية ، والمباهج الصغيرة من خلال رفضه الاقتراحات فإن المكسب الحقيقى للعبة هو الصمت ، أو الصمت الضمنى ، الذى تنتهى به اللعبة عن ما يجهد الآخرون

عقولهم ، ويصيبهم التعب ، من فرط محاولاتهم للبحث عن حل معقول . هذا الصمت ، هو الدليل على أن اللاعب قد كسب المعركة ، وأن الفشل كان من نصيب الآخرين ، الذين لم يوفقوا إلى حل مقنع للمشكلة .

والطريف في هذه اللعبة ، ما يحدث في بعض الأحيان ، عندما ينقض أحد المشاركين على مكاسب بطل اللعبة ، محاولاً إفساد لحظة الصمت التي كسبها بطل اللعبة ، بالدخول في لعبة جديدة لصالحه ، وعادة ماتبدأ معركة بين الطرفين في أعقاب هذا .

ومن الخصائص الغريبة للعبة « لماذا لا ... نعم ولكن ... » ، هو أنها تمارس على وجهها الخاص والعام ، بنفس الأسلوب ، مع قلب الأدوار ، ففي الشكل العام (الاجتماعي الخارجي الظاهر) ، وعند مراقبة السيدة التي تمارس اللعبة في عيادة العلاج النفسي ، وجدوا أن (الطفل) فيها يتقدم ليلعب دور الباحث عن الحل ، عند تكتشف المجموعة المناسبة ، من مجموعات العلاج الجماعي ، المستعدة للمشاركة في البحث عن حل لمشكلتها ، وفي الشكل الخاص (الاجتماعي الداخلي) ، عندما تكون مع زوجها في البيت ، يتصدر (الوالد) فيها ، ليقدم الاقتراحات العاقلة الحكيمة للزوج .

هذا الوضع المقلوب للعبة ، يعتبر مظهراً ثانوياً لها . وعند الاستقصاء ، وجد أن الزوجة ، أثناء مرحلة تبادل العواطف الساخنة والغزل السابقة للزواج ، كانت تلعب دور (الطفل) قليل الحيلة ، الباحث عن حل لمشاكله . ولكن بعد انقضاء شهر العسل ، تحرك (الوالد) المسيطر فيها ، وتضخمت مكانته . وقد يكتشف الزوج بعض ملامح هذا الموقف مع اقتراب موعد الزواج ، لكنه يتغاضى عنها ولا يلتفت إليها ، في غمرة شوقه إلى إتمام مراحل القران بزوجة المستقبل التي اختارها .

في الحالات التي لا يتغاضى فيها الزوج عن هذه السقطات التي تكشف

ممارسة الزوجة للعبة . قد يؤدي هذا إلى الانفصال وتبدأ الفتاة . بشكل أكثر حزنا وليس أكثر حكمة . البحث عن الرفيق المستجيب للعبتها .

علاج اللعبة :

علاج هذه اللعبة يقتضى التنبه إلى أن الذين يستجيبون لحركة اللاعب الأولى في هذه اللعبة ، عند استعراضه (لمشكلته) ، هم أيضا يلعبون إحدى تنويعات لعبة « أنا لا أسعى إلا لمساعدتك » وهو الشكل المقلوب للعبة « لماذا لا نعم ولكن » في هذه اللعبة الأخيرة يوجد مريض واحد وعدة أطباء . أما اللعبة الأولى فيها طبيب واحد وعدة مرضى .

والعلاج النفسى للعبة « لماذا لا .. نعم ولكن . » ، هو عدم الاستجابة لمحاولات ممارسة اللعبة ، وعدم ممارسة لعبة « أنا لا أسعى إلا لمساعدتك » . إذا كانت الخطوة الأولى من ممارسة اللعبة على شكل « ماذا تفعل إذا .. » ، فالإجابة السليمة هي « هذه مشكلة صعبة ، ماذا تنوى أن تفعل في مواجهتها ؟ » . وإذا كانت الحركة الأولى على صورة « (فلان) لا يؤدي عمله بشكل سليم ، ماذا أفعل معه ؟ » ، تكون الإجابة ببساطة « هذا أمر سيئ ؟ ! .. » ويجب أن تكون الاستجابة في الحالتين على درجة من التأدب . بما يترك اللاعب غير قادر على مواصلة اللعبة . وعندما يتخذ الطبيب المعالج هذه الخطوة ، خطوة التعامل المقطوع ، سيبدو الاحباط على ممارسة اللعبة ، ومن هذا الموقف تتضح جذور اللعبة له .

على المستوى الاجتماعى ، وإذا كانت اللعبة ودية وغير مؤذية ، ليس هناك أى مبرر لعدم المشاركة فيها .

ولعبة « لماذا لا .. نعم ولكن .. » تكون في درجتها الثانية أكثر قسوة ، تظهر في شكل نداء حار « افعل شيئا من أجلى .. » . تمتنع الزوجة عن تأدية الأعمال المنزلية مثلا ، بحيث يصبح بإمكانها كل مساء أن تمارس اللعبة مع

رجعها بعد عودته من عمله وجميع الحلول التي يقدمها الزوج . ترفضها
الزوجة . مواصلة عبوسها واكتئابها . مثل هذه الحالة قد تؤدي إلى أن يصبح
الاكتئاب ضارا بصحة الزوجة . مما يستدعي علاجاً نفسياً سريعاً

الفصل السابع

الألعاب الجنسية

الألعاب الجنسية

بعض الألعاب تتم ممارستها بهدف اساءة استغلال الدوافع الجنسية ومحاربتها . وهذه الألعاب جميعا تتضمن انحرافا في الغريزة الجنسية ، يحل فيه الاستمتاع الناشئ عن التعاملات الحرجة التي تشكل مكسب اللعبة ، محل الاستمتاع الناشئ عن الاتصال الجنسي .

هذه الألعاب لايسهل تصويرها دائما بشكل مقنع ، لأنها تجري في إطار خصوصية العلاقات الجنسية ، ولهذا يستمد الطب النفسى معلوماته عنها بطريقة غير مباشرة ، أو عن طريق رواية أحد الداخلين في اللعبة ، وهي رواية يصعب تقييم مدى صدقها وموضوعيتها .

في معظم الحالات التي نطرحها ، تكون المرأة هي التي تمارس اللعبة فهناك أشكال قاسية من الألعاب الجنسية ، بطلها الرجل ، وغالبا ما تميل إلى الجريمة ، ومن ثم فقد أوردناها في قسم ألعاب عالم الجريمة . ومن ناحية أخرى ، غالبا ما تتدخل الألعاب الجنسية مع ألعاب الحياة الزوجية ، إلا أن ألعاب هذا القسم تنفرد بأنها من الممكن أن تتم بين غير المتزوجين أيضا والألعاب هي :

- فلتتعارك .. أنت ، وهو ! .
- الانحراف ..
- الاغتصاب .
- الجورب .
- الصراخ .

« فلنتعارك . أنت وهو ! »

هذا النوع من الألعاب قد يختلط على غير المدقق ، فهو ليس « لعبا » في كل حالة . قد يكون مناورة . مجرد مناورة . أو طقس من الطقوس . أو لعبة فعلية . وفي جميع الحالات يكون الأساس السيكلوجي أنثوى ، ولعل مرجع هذا إلى الخصائص المأساوية لهذه اللعبة وهي . كما ستلاحظ . تعتبر المعين الذي ينهل منه الأدب العالمي . الجيد منه والردىء .

كمناورة :

تكون رومانتيكية . المرأة تناور ، أو تتحدى رجلين . دافعة إياهما إلى العراك ، مع وعد ضمنى غير صريح بأنها ستكون من نصيب الفائز بعد أن ترجح كفة الفائز ، نراها تنى بوعدھا . التعامل في هذه الحالة يعتبر تعاملأ أمينا . ومن المفترض أنها ستعيش مع الرجل الفائز في سعادة وهناء بعد ذلك .

كطقس :

تكون مأساوية . التقاليد تتطلب أن يتحارب الرجال من أجلها ، حتى ولو لم تكن راغبة في هذا العراك ، وحتى لو كانت تميل مبدئيا إلى أحد المتعاركين . فإذا فاز الرجل الآخر ، تكون مرغمة على قبوله . في هذه الحالة يكون المجتمع - وليس المرأة - هو الذى يمارس لعبة « فلنتعارك . أنت وهو ! » .

إذا كانت المرأة راغبة في هذا الطقس أو التقليد ، يكون التعامل هنا أميناً .
أما إذا كانت رافضة له ، أو مستاءة منه ، فالخاتمة تعطى الحق في اختيار واسع
بين عدد من الألعاب ! .

كلعبة ..

تكون كوميدية تبدأ المرأة بأن تقيم المنافسة ، فتم المباراة بين الرجلين .
وعندما يصل العراك بينهما إلى ذروته ، تهرب هي مع رجل ثالث ! .

مكسب اللعبة :

مكسب المرأة ورفيقها الذي هربت معه في هذه اللعبة ، ينبع من الموقف
الذي يقول إن المنافسة الأمانة لا تجرى إلا بين المغفلين ، هذا من الناحية
السيكلوجية الخفية . أما المكسب الاجتماعي المعلن فتستمده المرأة ورفيقها من
القصة الكوميدية التي عاشها .

« الانحراف .. »

الانحرافات فى العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة ، كالاهتمام المرضى بالجنس ، أو السادية (التلذذ بتعذيب الغير) ، أو الماسوشية (التلذذ بتعذيب الذات) ، هى جميعا أعراض (طفل) مرتبك داخل الشخصية ، ويجرى علاجها على هذا الأساس .

ومظاهر مثل هذه التعاملات ، كما تبدو فى المواقف الجنسية الحقيقية ، يمكن تناولها من خلال تحليل الألعاب ، وهذا يؤدى إلى بعض التحكم الاجتماعى فيها . فحتى إذا بقيت الدوافع الجنسية الخبيثة على حالها دون تغيير ، فيمكن على الأقل معادلتها بالقدر الذى يسمح به المجتمع . الأشخاص الذين يعانون من الانحرافات السادية والماسوشية الحقيقية ، يميلون إلى ممارسة لعبة « الطبيب النفسى » بشكل بدائى .

الأشخاص الذين يعانون من التशوهات السادية أو الماسوشية الخفيفة ، يميلون إلى اتخاذ وضع بدائى للعبة « الصحة العقلية » التى ستحدث عنها فيما بعد . إنهم يشعرون أنهم يتمتعون بقوة جنسية هائلة ، وأن فترات العفة والزهد الطويلة ستقودهم إلى عواقب وخيمة . وبالطبع لا يكون أى من استخلاصاتهم هذه حقيقياً ، لكن هذه الاستخلاصات تشكل الأساس الذى يمكن بموجبه ممارسة لعبة أخرى تسمى « الساق الخشبية » ، التى يقول فيها لسان حال الشخص

« ماذا تتوقع من شخص مثل . على هذه الدرجة من القوة الجنسية ؟ ! »

علاج اللعبة :

يكون العلاج بخض الطرفين على اطالة فترة الملاحظة العادية . أى تجنب أى شكل من أشكال الضرب بالسوط . معنويا أم حرفيا . والاقتصر على الأنسكال العادية في الاتصال الجنسي .

إذا كان ممارس اللعبة منحرف . حقيقى . فسيقود هذا التصريف إلى تعمية العنصر الثانى من اللعبة . والذي يتم التعبير عنه بوضوح فى الأحلام غالبا . وهو أن العملية الجنسية فى حد ذاتها لا تحظى من ممارسى اللعبة إلا بأقل اهتمام . وأن استمتاعه الحقيقى ينبع من مرحلة الملاعبة السابقة والتي تتسم بتحقيق الذات . وهذا شىء لم يكن يجرؤ على الاعتراف به لنفسه . وتصبح شكواه الآن « بعد كل هذا الجهد الذى بذلته فى ضبط النفس . أما زال مطلوبا منى أن أمارس الاتصال الجنسي ؟ ! » .

عند هذه النقطة يكون الموقف مواتيا للتحليل النفسى الدقيق . بعد أن تم إبطال كل جهود المراوغة . هذا التحليل والعلاج ينسحب فقط على « العصايين جنسيا » ، ولا يمتد إلى حالات الذين يعانون من انقصاص الشخصية الضار ، أو الانحراف الاجرامى . ولا يمتد أيضا إلى أولئك الذين يحصرّون نشاطهم الجنسي على أحلام اليقظة .

« الاغتصاب »

تجرى هذه اللعبة بين رجل وامرأة . ويمكن أن نطلق على أشكائها الخفيفة . وعلى سبيل التأديب ، اسم « القبلة عن بعد » أو « المكايدة » . ويتم ممارسة هذه اللعبة على درجات مختلفة من الشدة .

« الاغتصاب » من الدرجة الأولى :

وهي الدرجة التي تحدث أن نطلق عليها « القبلة عن بعد » .. وهذه لعبة شائعة في اللقاءات الاجتماعية وتعتمد أساسا على الغزل الخفيف .

توحي المرأة بتصرفاتها ، أثناء الحفل ، إلى أنها ممن يمكن الوصول إليهن . ثم تستمد مسراتها من ملاحقة الرجال لها . وبمجرد أن تثبت تهمة الملاحقة على الرجل ، تنتهي اللعبة بالنسبة لها .

إذا كانت امرأة مؤدبة ، فهي قد تقول للرجل بصراحة تامة « إني أقدر مجاملاتك ، وأشكرك عليها » ، ثم تنصرف إلى المتباري التالي .

أما إذا كانت أقل كرما ، فهي قد تتركه ببساطة دون أى تعليق . واللاعب الماهرة تستطيع أن تطيل أمد هذه اللعبة لزمان طويل ، في اللقاءات الاجتماعية الموسعة . وذلك بالتحرك حول الرجل من حين لآخر ، بحيث يصبح عليه أن يقوم بمناورات معقدة لمتابعها ، حتى لا تبدو مناوراته مفضوحة .

« الاغتصاب » من الدرجة الثانية :

وهنا ، يمكن أن نطلق عليها اسم « المكايدة » .

المرأة في هذه الدرجة تحصل من ملاحقة الرجل لها على مجرد متعة جانبية . أما متعتها الحقيقية فتأتى من رفضها له . فهي تستدرج الرجل إلى تصرفات أكثر جدية من التي تجرى في الدرجة الأولى من اللعبة ، وتستمتع أساسا بملاحظته وقد ظهرت عليه خيبة الأمل عندما ترفضه . والرجل ، على عكس ما يبدو عند النظرة الأولى ، لا يكون ضحية حقيقية في هذا اللعبة . ففي الأغلب يكون قد بذل جهدا ملحوظا حتى يتاح له الوصول إلى هذا اللعبة . وهو في نفس الوقت يمارس لعبة « اضربنى ! » .

« الاغتصاب » من الدرجة الثالثة .

اللعبة على هذا المستوى تعتبر لعبة شريرة . وتنتهى عادة بالقتل أو الانتحار أو القضاء .

في هذه الدرجة من اللعبة . تقود المرأة رجلا إلى مراحل محسوبة من الاتصال الجسدى ، ثم تتهمة بارتكاب اعتداء إجرامى عليها ، أو أنه تسبب لها في تلف لا يمكن اصلاحه . وفي الأشكال الأكثر شرا ، قد تسمح للرجل بإكمال الاتصال الجنسى ، بحيث تستمد متعتها الجانبية من هذا الاتصال ، قبل أن تبدأ متعتها الحقيقية بممارسة اللعبة ، ومواجهته بصيحة الاغتصاب . والمواجهة قد تكون مباشرة ، كما في صرخة الاغتصاب ، وقد تتأخر المواجهة لوقت طويل ، كما في حالات الانتحار ، أو حالات القتل الذى يعقب علاقة جنسية طويلة .

وإذا اختارت المرأة أن توجه الاتهام بالاعتداء الاجرامى للرجل ، فلن تجد صعوبة في الحصول على العطف والاستجابة لدى الأوساط المختصة ،

كالصحافة والشرطة والأقارب . وان كان الوضع ينقلب في بعض الأحيان .
فيتجه الهجوم إلى المرأة ، فتفقد مبادرتها .

وفي بعض الأحيان ، يكون محيط المرأة هو الأكثر تشبثا بممارسة اللعبة .
ربما على غير ارادتها . فيضع المجتمع المرأة في وضع يضطرها إلى اطلاق
صرخة الاغتصاب . حتى تنقذ ماء وجهها وسمعتها . وينحدث هذا عادة مع
الفتيات القاصرات ، اللاتي يكن في أعماقهن راغبات في استمرار العلاقة مع
الرجل ، ولكن نتيجة لانكشاف هذه العلاقة وما أثير حولها من ضجيج ،
يجبرن على تحويل علاقة الحب إلى لعبة « الاغتصاب » من الدرجة الثالثة .
والخليط من لعبتي « الاغتصاب » . ولعبة « فلتتعارك » أنت وهو ! » ،
يتحول في لعبة ثالثة يطلق عليها اسم لعبة « البائع المتجول » ، وفيها تغرى المرأة
الرجل ، فما أن يستجيب حتى تطلق صرخة الاغتصاب وفي هذه اللحظة
يدخل الزوج المجروح ، ليلعب دوره ، مهددا الرجل بهدف ابتزاز أمواله .
ولعل أسوأ أشكال ودرجات لعبة « الاغتصاب » من الدرجة الثالثة ،
ذلك الذى يجرى بين الأغراب المصابين بالشذوذ الجنسى ، ففي خلال ساعة
تقريبا من اللقاء لأول مرة ، يصلون إلى حالة القتل . مثل هذه الأشكال
الشريرة من اللعبة ، هى التى تغذى العناوين الضخمة في الصحف ،
وصفحات الجرائم بالذات .

* * *

مقدرة الرجل على تجنب الانغماس في مثل هذه اللعبة ، أو مقدرة على
التحكم في سير حركاتها يعتمد على قدرته في التمييز بين التعبير الأصيل عن
المشاعر ، وبين حركات اللعبة . فإذا كان قادرا على التزام الضوابط

الاجتماعية ، فقد يتحقق له قدر كبير من المتعة . بالغزل الرفيق الذى يجرى
فى لعبة « القبلة عن بعد » .

ومن ناحية أخرى ، يكون من الصعب الوصول إلى تصور للمواجهة
الأمينة . عندما تبدأ « المناورة » ، كما يصعب تدارك الموقف قبل أن يستفحل
الأمر .

ولعبة « الاغتصاب » لها تنوع رجالى . نجده كثيرا فى المعاملات
التجارية .

تحليل اللعبة :

الدرجة الثالثة من لعبة « الاغتصاب » تجرى على المستوى الاجتماعى المعلن
من موقف (بالغ - بالغ) ، كالتالى :

الرجل (بالغ) : آسف إذا كنت قد تجاوزت ما تطلبينه منى ..

المرأة (بالغ) : لقد اغتصبته ! .. ويجب أن تدفع الثمن كاملا .

أما على المستوى السيكولوجى الخفى ، فتجرى من موقف (طفل - طفل)

كالتالى :

الرجل (طفل) : أرأيت ، إلى أى مدى لا أستطيع أن أقاوم ..

المرأة (طفل) : هاقد أمسكت بك .. يا ابن الكلاب ! .

« الجورب »

هذه اللعبة تعتبر من تنويعات ألعاب « الاغتصاب » فيها يكون حب الاستعراض هو أكثر الخصائص وضوحا . وتكون الرغبات الاستعراضية عند ممارسة اللعبة متصفة بالمستيرية .

تقبل المرأة التي تمارس اللعبة على مجتمع الغرباء ، وبعد قليل من الوقت ، ترفع ساقها عارضة نفسها بشكل مثير ، قائلة بعد آهة ممطوطة « يالللخسارة .. لقد ظهر قطع في جوربي الثمين »

والمفروض في مثل هذا الاستعراض أن يثير الرجال جنسيا ، ويغضب النساء الحاضرات ، وبصفة خاصة زوجات الرجال الحاضرين
أى اتهام يوجه إلى هذه المرأة نتيجة لهذه الحركة التي تبدو عفوية ، يدفعها إلى الاحتجاج بالبراءة ، أو إلى شن هجوم مضاد . ومن هنا يأتي التشابه بين هذه اللعبة ولعبة « الاغتصاب »

المرأة التي تمارس هذه اللعبة ، غالبا ماتكون قد فشلت في التكيف مع المجتمع الذي اقبلت عليه ، وتمارس فيه ألعابها وهي غالبا ما تبدأ لعبتها . قبل أن تتعرف على نوع المجتمع الذي تتعامل معه ، أو الوقت المناسب للممارسة ألعابها . ولذا فغالبا ماترفض مثل هذه المجتمعات الصغيرة وجود مثل هذه المرأة . مما يؤثر على علاقاتها البشرية .

تحليل اللعبة :

المرأة التى تلعب هذه اللعبة ، بالرغم من التفسيرات السطحية التى تطرحها ، تفشل فى فهم ذلك الذى يجرى بينها وبين الآخرين ، ومن هنا يكون منطلقها فى الحكم على الطبيعة البشرية شريراً ، ويصبح هدفها دائماً هو اثبات أن عقول الناس وافكارهم شهوانية . فى حالتها هذه يلتحم (البالغ) مع (الطفل) و (الوالد) فى كتلة واحدة تصر على تجاهل افعالها المثيرة ، والطبيعة السوية للناس الذين تلتقى بهم .
والدافع إلى هذه اللعبة يكون فى الأغلب ، الرغبة فى تحطيم الذات .

تنوعات اللعبة :

وهناك أشكال أخرى لهذه اللعبة ، من بينها اللعبة التى تقدم عليها المرأة التى تتمتع بصدر كبير مشير فهى تميل عادة إلى أن تجلس واضعة ذراعيها خلف رأسها ، حتى تبالغ فى دفع صدرها إلى الأمام . إذا نجح هذا الأسلوب ، كان بها ، وإلا فهى تعتمد إلى مزيد من لفت النظر إلى صدرها ، بأن تشير - بالقول - إلى حجم صدرها . أو بالحديث - البريء ظاهرياً - حول جراحة أجرتها فى صدرها ، أو تتحدث - أيضاً بشكل برئ ظاهرياً - عن الناموسة التى لدغتها فى صدرها .

ومضمون كل هذه المجهودات التى تقوم بها المرأة التى تمارس لعبة « الجورب » ، هو امكان الوصول إليها جنسياً . ومن الأشكال الرمزية لهذه اللعبة ، تلك الحالة التى تحرص فيها المرأة على تأكيد كونها أرملة أو مطلقة ، فى حديثها ، الذى يبدو بريئاً فى ظاهره ، ولكنه يحمل الكثير من المعانى الخبيثة فى جوهرة .

علاج اللعبة :

أثناء العلاج ، تبدى المرأة التى تمارس هذه اللعبة أقل الصبر فى دخولها إلى علاج حقيقى . وقد يتم علاج هذه اللعبة بأن يتجاهل المجتمع الذى تجرى فيه ، أمر المرأة التى تمارسها نهائياً ، رغم كل الحركات والأقوال . مثل هذا التصرف ، قد يؤدي إلى توقف اللاعبة عن المضى فى محاولاتها .

والتصدى لعلاج هذه اللعبة يحتاج إلى حرص شديد ، وألا تتسم خطوات العلاج بأقل قدر من الانتقام أو الثأر أو التشفى . لأن ظهور مثل هذه المشاعر يعنى أن اللاعبة قد كسبت جولتها .

والنساء يكن عادة أقدر من الرجال على القيام بالحركة المضادة لهذه اللعبة ، فلهذه دأبها حافزهن الشخصى لإنهائها .

« الصراخ »

هذه اللعبة ، في شكلها التقليدي ، تجري بين أب متحكم مسيطر ، وابنته الشابة ، في ظروف تكون فيها الأم ممتعة جنسيا على الأب .
يصل الأب إلى بيته بعد انتهاء ساعات عمله ، فيكتشف غلطة ما في تصرف ابنته ، ويلفت نظرها ، فتجيب بسلاطة لسان . أو تكون هي البادئة بالحركة الأولى من اللعبة ، مستعرضة سلاطة لسانها أثناء تعليقها على أمر ما ، مما يعتبره الأب نقيصة تستوجب المآخذة . على المدى يتعالى صراخها ، ويصبح الصدام بينهما أشد حدة .
والحركة الأخيرة من هذه اللعبة ، تتوقف على الذي يأخذ المبادرة من الطرفين ، وهناك ثلاثة احتمالات :

- ١ - يذهب الأب إلى حجرته ، ويصفق الباب خلفه .
 - ٢ - تذهب الابنة إلى حجرتها ، وتصفق الباب خلفها .
 - ٣ - يذهب كل منهما إلى حجرته ، ويصفق بابها .
- في جميع الأحوال ، تنتهي لعبة « الصراخ » بصوت الباب وهو يصفق .
هذه اللعبة تقدم حلا فعالا - وإن كان مقبضا - للمشاعر الجنسية التي قد تنشأ بين الأب وابنته المراهقة في بعض العائلات . فتحت ضغط الدوافع الجنسية الغريزية ، غالبا ما يكون من الصعب عليهما أن يعيشا تحت سقف

واحد ، مالم يكونا متخاصمين . وانصفاق الباب ، يؤكد لكل منهما ، ان كل منهما له حجرة نومه الخاصة .

ولعبة « الصراخ » ، بشكل عام ، تجرى بين أى شخصين يحاولان تجنب الألفة الجنسية بينهما وتعتبر لعبة « الصراخ » الحركة الأخيرة من لعبة « المرأة الباردة »

تنويعات اللعبة :

نادرا ماتجرى لعبة « الصراخ » بشكل مقلوب ، أى بين الشاب والمحارم من النساء اللاتى يعشن معه تحت سقف واحد . ومرجع هذا إلى الصلاحيات التى تعطى للشاب ، والتى تسمح لهم بالهروب من البيت فى أغلب الأمسيات ، دون اعتراض من الأسرة .

النموذج الطفولى للعبة « الصراخ » ، يتمثل فى العراك الجسدى بين الأولاد والبنات الصغار ، حيث يؤدى هذا العراك الجسدى إلى إقامة الموانع الجنسية ، كما فى حالة اللعبة بين الكبار ، إلا أن المتعاركان فى هذه الحالة يحصلان على بعض الاستمتاع الجزئية . والعراك الجسدى له العديد من الدوافع فى مختلف الأعمار .

فى أمريكا ، يعتبر العراك الجسدى بين الصغار ، شكل شبه طقسى للعبة « الصراخ » ، وهو مجاز من المشرفين على التليفزيون ، ومن السلطات التربوية ، أما فى الطبقات الإنجليزية العليا ، فيعتبر العراك الجسدى بين الصغار ، أو كان يعتبر ، نشاطا سيئا ، يجب الحرص على سرعة تحويله إلى لعبة « الصراخ » ، التى يجاد تنظيمها فى الملاعب الرياضية .

علاج اللعبة :

علاج هذه اللعبة يأتى بشكل طبيعى ، عندما تتزوج الابنة . وفى بعض الحالات قد تلجأ الابنة إلى هذا الحل فى سن مبكرة ، مندفعة إلى زيجة غير

ناضجة . وإذا كانت الأم في وضع سيكولوجي يسمح لها بالتدخل ، تكون قادرة على اتخاذ الخطوة الأولى نحو قطع اللعبة ، وذلك بتنازلها عن برودها الجنسي النسبي أو المطلق . كما يمكن لهذه اللعبة أن تنتهي ، إذا ما وجد الأب اهتماما جنسيا خارج البيت ، غير أن هذا الحل يقود إلى تعقيدات أخرى . في حالة قيام لعبة « الصراخ » بين الزوجين ، يكون قطع اللعبة وإيقافها ، بنفس الخطوات التي اتبعناها في لعبة « المرأة الباردة » .

الفصل الثامن

ألعاب عالم البحريمة

ألعاب عالم الجريمة

مع شيوع نشاطات علم النفس والخدمة الاجتماعية في المحاكم والسجون ومراكز رعاية الأحداث ، ومع تزايد حصيلة أبحاث علم الجريمة ، يجب على القائمين على هذا الجهات أن يكونوا متنبهين إلى الألعاب التي تدور في عالم الجريمة ، داخل السجون أو خارجها . سنستعرض لعبتين من ألعاب عالم الجريمة هما :

- عسكر وحرامية ..
- كيف تهرب من هنا ..

« عسكر وحرامية »

لأن أغلب المجرمين يكرهون الشرطة ، نراهم يستمدون متعتهم الكبرى من خديعة الشرطة ، أكثر من المكاسب التي يستهدفونها بنشاطهم الاجرامى . . فالجرائم على مستوى (البالغ) هى ألعاب تستهدف المكسب المادى ، الغنيمة . لكنها على مستوى (الطفل) ، تستهدف الإثارة التي يحصل عليها ممارس اللعبة ، أثناء المطاردة ، ملاحقة الشرطة له ، ومراوغته لهم . والنمط الطفولى للعبة « عسكر وحرامية » ، ليس به عسكر ولا حرامية ، إنه يأخذ شكل « الاستغاية » أو « المساكاة » . وعنصر الاستمتاع الأساسى فى هذه اللعبة هو « التعبير عن التكدر » الذى يبدية الطفل المختبئ ، فى لحظة اكتشاف مكانه .

وصغار الأطفال يكشفون طواعية هذه الحقيقة . إذا استطاع الأب أن يعثر على ابنه المختبئ بسهولة شديدة وبسرعة ، تتحقق للطفل رغبته فى « التعبير عن التكدر » ، إلا أن اللعبة تفتقد فى هذه الحالة اثارتها وطرافتها . أما إذا كان الأب فاهما لأصول اللعبة ، ماهرا فى ممارستها ، نراه يفهم بالتحديد مايجب عليه فعله ، فهو يظهر الحيرة أثناء البحث ، ويبدو وكأنه يبذل محاولات جادة للعثور على مكان الابن . إذا طالت هذه الفترة ، نلاحظ أن الابن يصدر صوتا ، أو يسقط شيئا على الأرض محدثا صوتا ، ليساعد الأب فى العثور

عليه - إنه في الواقع يجبر الأب على العثور عليه ، ولكنه حتى في هذه الحالة ، لا يتخلل عن اظهار التكدر في لحظة العثور عليه . بهذه الطريقة يحصل الابن على متعته كاملة .. الاثارة في مرحلة البحث عنه ، ثم التعبير عن التكدر والاستياء لحظة العثور عليه . أما إذا فشل الأب في العثور على الابن . وبرغم ما يحمله هذا من انتصار للابن على جهود الأب ، فإن الابن يشعر بالاستياء أكثر من شعوره بالانتصار .

كذلك عندما يحل الدور على الأب كي يختفي هو ، يدرك أنه ليس من المفروض المبالغة في اختيار الخبأ ، بحيث يصعب على الطفل العثور عليه ، كما يدرك بحكمته ، أن أصول اللعبة تقتضي منه أن يظهر الضيق عندما يتم العثور عليه . وفي هذا أيضا تأكيد للحقيقة السابقة ، وهي أن الاستمتاع الأساسي في هذه اللعبة يكون ساعة العثور على الشخص المختبئ ، وما يستتبع ذلك من تكدر واستياء وضيق .

لهذا ، لا يجب أن نعتبر لعبة « الاستغاية » نوعا من أنواع التسلية وتمضية الوقت ، إنها لعبة نفسية بكل معنى الكلمة .

* * *

على المستوى الاجتماعي الظاهر ، تعتبر اللعبة معركة حذق ومهارة ، وتحقق متعتها الكبرى عندما يبذل (البالغ) فيمن يمارسونها أفضل ما عنده . وعلى المستوى السيكولوجي الخفي ، يكون على (البالغ) في ممارسة اللعبة أن يخسر ، حتى يستطيع (الطفل) فيه أن يكسب . وعلاج هذا اللعبة يكون بالامتناع عن إمساك المختبئ .

* * *

ومن الملاحظ أنه عندما تجرى اللعبة بين الأطفال الأكبر سنا ، يعتبر

اختيار النخب الصعب الذي لا يمكن العثور عليه ، انتقاصاً للروح الرياضية ، وافساداً لجوهر اللعبة . وهو يعتبر نوعاً من استئصال لعنصر (الطفل) في اللعبة ، وتحويل الأمر بأكمله إلى نوع من الإجراءات الماهرة التي يقوم بها (البالغ) . اللعب هنا لا يكون من أجل متعة اللعبة في حد ذاتها ، ويصبح أشبه بنشاط صاحب كازينو القمار ، أو نشاط المجرم المحترف ، الذي يسعى إلى الكسب المادي ، وليس إلى الاستمتاع باللعب .

ويبدو أن هناك نمطان متميزان من معتادى الإجرام ، أولئك الذين يدخلون عالم الجريمة أساساً من أجل الكسب المادي ، وأولئك الذين يدخلونه أساساً من أجل اللعب . وهذا لا يمنع من وجود مجموعة ضخمة تتردد بين النمطين . النمط الأول يضم « الفائز حتماً » ، ذلك الذي ينجح في جمع المال نتيجة لنشاطه الإجرامي ، وموقف (الطفل) داخله لا يريد للشرطة أن تعثر عليه . وهذا النمط - وفقاً للتقارير - يعتبر نموذجاً نادراً ، يصعب على الشرطة أن تصل إليه ، أو تمس مصالحه . والنمط الثاني يضم « الخاسر حتماً » ، ذلك الذي يلعب لعبة « عسكر وحرامية » . وهذا ، غالباً ما تكون أحواله المالية سيئة ، أما الذين يخرجون عن قاعدة الافلاس هذه ، فيكون مرجع ذلك إلى الحظ ، أكثر من أي شيء آخر . وحتى هؤلاء المحظوظين ، غالباً ما ينتهون - على المدى البعيد - إلى أن يستجيبوا لمطالب (الطفل) فيهم ، الذي يطالبهم ، مصرّاً ، بالوقوع في يد الشرطة .

* * *

ممارس لعبة « عسكر وحرامية » ، يشبه في بعض جوانبه ممارس لعبة « المدمن » . فهو قادر على تغيير الدور الذي يلعبه ، من شرطي إلى لص ، أو من لص إلى شرطي . وفي بعض الأحيان ، نراه يلعب الشرطي (الوالد)

نهارا ، واللص (الطفل) ليلا . والمثل الشائع يقول : هناك شرطى داخل كل لص ، ولص داخل الكثير من رجال الشرطة .
المجرم الذى يشقى من ممارسة هذه اللعبة ، قد يتحول إلى دور المنقذ ، فيعمل فى حقل الخدمة الاجتماعية أو الدينية . إلا أن دور المنقذ فى هذه اللعبة ، يتضاءل كثيرا إذا قيس بدور المنقذ فى لعبة (المدمن) . وعادة يكون دور اللاعب (كلص) هو قدره ، وتكون داخله الدوافع الخفية التى تتيح للشرطة أن تمسك به . ومحاوراته ومداوراته مع الشرطة ، تكون عنيفة فى بعض الأحيان ، سهلة يسيرة فى أحيان أخرى .

* * *

نفس الوضع ينسحب على المقامرين . على المستوى الاجتماعى الظاهر للجميع ، يكون الهدف الأول فى حياة المقامر المحترف هو المقامرة . أما على المستوى السيكولوجى ، فإننا نجد نوعين من المقامرين المحترفين : أفراد النوع الأول يمضون أوقاتهم فى اللعب ، اللعب مع القدر ، وتكون رغبة (البالغ) فى الكسب عندهم ، أقل من الصياح القوى الصادر من (الطفل) داخلهم والذى يطالبهم بالخسارة . أما أفراد النوع الثانى ، فهم أولئك الذين يديرون بيوت القمار غالبا ، ويعيشون من إيراد هذا العمل ، فيحققون أرباحا كبيرة ، من إتاحة فرصة المقامرة للمقامرين . وهم فى حد ذاتهم لا يقامرون ، ويحاولون بقدر الامكان أن يتجنبوا اللعب . إلا أنه تحت ظروف خاصة ، يمارسون المقامرة - من حين لآخر - ويستمتعون بها . تماما كما يمنح المجرم المحترف فى بعض الأحيان إلى ممارسة لعبة « عسكر وحرامية » .

* * *

وهذا ، يلقى الضوء على سر تخلف الدراسات الاجتماعية والسيكولوجية فى

عالم الجريمة ، .. وعدم نمو هذه الدراسات أو تقدمها بشكل عام .
يرجع السرفى ذلك إلى أن الدارسين والباحثين لا ينتبهون إلى أنهم يتعاملون
مع نوعين مختلفين من الناس ، يصعب وضعها داخل نفس الإطار ، أو
اخضاعها لنفس الأفكار والنظريات

ونفس الشىء ينسحب على دراسة المقامرین
ولا يمكن الوصول إلى حل مباشر لهذه المشكلة ، دون الاعتماد على علم
تحليل التعاملات وتحليل الألعاب . عن هذا الطريق ، يمكننا كشف غوامض
الموضوع ، بالتفريق بين ما هو ظاهر وما هو مستتر تحت المستوى الاجتماعى ، بين
ممارس اللعبة والمحترف .

لكى نفهم هذا بشكل أوضح ، نعطى بعض الأمثلة .
بعض اللصوص يؤدون عملهم ، بدون جهد ضائع ، وبكفاءة كاملة .
والبعض الآخر الذى يمارس لعبة « عسكر وحرامية » ، يترك غالبا بطاقته فى
مكان الجريمة ، على شكل عمل تخريبى لامبرر له مثل إفساد ثوب ثمين ، أو
تخطيم آنية غالية .

سارق البنك المحترف - وفقا للتقارير - يتخذ كافة الاحتياطات ليتجنب
العنف ، وسارق البنك الذى يمارس « عسكر وحرامية » ، ينغمس فى البحث
عن مبرر للتعبير عن غضبه . ومثل كل محترف ، يحب سارق البنك المحترف
لعمله أن يكون على أكبر درجة من النظافة والدقة ، تسمح بهما الظروف . أما
السارق الذى يمارس اللعبة ، نراه يحرص على إثارة الغبار حول عمله . المجرم
الحقيقى لا يقدم على عمل ما ، إلا إذا تأكد من أن ضمانات الأمن كاملة ، أما
المجرم اللاعب ، فيعمل كل ما من شأنه أن يجعله فى آخر الأمر يقف أمام
القانون مكبل اليدين .

المجرم المحترف يدرك تماما - بطريقته الخاصة - خصائص وطبيعة لعبة

« عسكر وحرامية » ، فإذا أحس بأن أحد أعضاء عصابته يبدى ميلا إلى اللعبة ، فإنه سرعان ما يتخذ الإجراءات العنيفة لاستئصال هذا الانحراف من عمله . ولعل السبب في أن أغلب المجرمين المحترفين لا يقعون في أيدي الشرطة ، هو أنهم لا يمارسون لعبة « عسكر وحرامية » . ونتيجة لهذا ، قلما يخضعون للدراسة الاجتماعية أو السيكولوجية ، ويندر أن يتاح للطب النفسي أن يدرس حالتهم . ونفس الشيء ينسحب على المقامرين . ومن هنا ، فإن أغلب معلوماتنا عن المجرمين والمقامرين نستمدّها من ممارسي لعبة « عسكر وحرامية » ، أكثر ما نستمدّها من المجرمين المحترفين .

تنوعات اللعبة :

يتزايد عدد ممارسي لعبة « عسكر وحرامية » ، بانتشار المصابين بجنون السرقة (وهم غير لصوص المحال العامة من المحترفين) . هذا بالإضافة إلى أن نسبة عالية من الناس تمارس اللعبة بالخيال . وهذا هو ما تعتمد عليه الكثير من المجالات الرخيصة . ويقوم هذا الخيال على حلم (الجريمة الكاملة) ، والتي تعنى ممارسة لعبة « عسكر وحرامية » في أعنف وأصعب أشكالها ، متضمنة محاولة تضليل الشرطة تضليلا كاملا .

ولعبة « عسكر وحرامية » لها تنوعات عديدة ، مثل لعبة « المحاسب واللص » ، والتي يمارسها المختلسون ، بنفس القواعد والمكاسب والأهداف . كذلك لعبة « مأمور الجمرک واللص » ، والتي يمارسها المهربون... إلى آخر ذلك .

ومن الأشكال المثيرة للألعاب ، ذلك التنوع الاجرامى للعبة « المحكمة » فبرغم الاحتياطات الكبيرة التي يتخذها المجرم المحترف ، يحدث - بين الحين والآخر - أن يتم القبض على أحدهم ، ليجد نفسه ماثلا أمام المحكمة . وهو هنا يعتبر المحكمة مجرد اجراء من الاجراءات وليس لعبة ، وهو يسير في

الخطوات وفقا لتعليمات محامين . وإذا كان المحامي نفسه من النمط « الفائز حتما » . تصبح « المحكمة » لعبة أساسية ، يجرىها المحامي مع المحلفين ، ويكون هدفه منها الانتصار عليهم وكسب القضية . الأمر الذي تعتبره قطاعات واسعة من المجتمع عملا مشروعا ومستحبا

علاج اللعبة :

وعلاج هذه اللعبة يجب أن يكون على يد علماء الجريمة المؤهلين ، وليس على يد الطبيب النفسى . فى هذه الحالة لا تدخل السلطات القضائية أو الشرطة كعنصر من عناصر العلاج ، لأنها تمثل أدوارا فى اللعبة ، وفقا للقوانين التى تحكم المجتمع .

بعض الباحثين والعاملين فى حقل الجريمة ، يتفكّهون حول تصرف بعض المجرمين ، بقولهم إن أولئك المجرمين يتصرفون وكأنهم يستمتعون بالمطاردة ، ويرغبون فى أن يتم الإمساك بهم فى النهاية . أو قد يقرأون مايكتب حول الألعاب ويوافقون عليه ، ولكن من منطلق مختلف عن المنطلق الحقيقى . إنهم يبدون أقل الميل لاعتبار ظاهرة الألعاب ، ظاهرة أكاديمية ، يمكن أن يكون لها تأثيرها الفعلى على عملهم (الجاد) .

وهذه اللعبة من الصعب الكشف عن عناصرها ، من خلال المقاييس والممارسات . التقليدية للبحث النفسى . فالباحث يجد نفسه مضطرا إلى القفز فوق النقاط شديدة الغموض التى تعترض طريقه ، بعد أن يعجز عن معالجتها بأدواته الراهنة ، أو يجد صعوبة فى تغيير الأدوات التى يعمل بها .

سيظل علم الجريمة يدور فى حلقة مفرغة من البحوث السطحية والجانبية ، مالم ينظر إلى لعبة « عسكر وحرامية » ، نظرة جديدة ، ليس على سبيل أنها فكرة مثيرة ، بل باعتبارها الحل الحقيقى الذى يمكن أن نصل عن طريقه إلى فهم كامل لكثير من مشاكل علم الجريمة .

« كيف تهرب من هنا .. »

تؤكد الشواهد التاريخية أن المسجون الذى يشغل وقته بنشاط ما ، أو بنوع من أنواع التسلية أو الألعاب ، هو الذى يتمتع بحالة أفضل من غيره . ويدرك رجال الشرطة السياسية هذه الحقيقة ، وعندما يهدفون إلى القضاء على سجين ما ، يتركونه دون عمل أو نشاط من أى نوع ، وفى حالة عزلة اجتماعية كاملة .

« النشاط » المفضل فى حالات السجن الانفرادى هو القراءة والكتابة . أما « التسلية » المفضلة فهى الهروب من السجن .

أما « اللعبة » المفضلة فهى ممارسة « كيف تهرب من هنا .. » ، التى قد نعثر على من يمارسها فى المستشفيات العامة أيضا .

السجين الذى يرغب حقا فى الخروج إلى عالم الحرية ، يستطيع بتجاوبه مع سلطات السجن ، أن يحصل على الافراج فى أقرب فرصة . أما ممارسة لعبة « كيف تهرب من هنا .. » فيكون من نصيب المرضى ، الذين لا يرغب (الطفل) داخلهم فى الخروج من السجن أو المستشفى .. نراهم يحرصون على السلوك الطيب ، لكن ما أن تصل النقطة الحرجة ، حتى يعمدون إلى تخريب وضعهم ، بحيث ينشأ المبرر القوى لعدم خروجهم .

يقتضى السلوك الحميد ، كإجراء وليس كلعبة ، ان يتكاتف (الوالد) مع

(البالغ) مع (الطفل) لتحقيق هدف الافراج . أما في لعبة « كيف تهرب من هنا ... » ، فليترمز كل من (الوالد) و (البالغ) بالخطى المرسومة ، التي تستهدف الخروج من السجن ، ثم تحمل اللحظة الحرجة ، عندما يتدخل (الطفل) لإفساد كل شيء . والسبب في ذلك هو أن (الطفل) داخل السجن يكون خائفاً من خوض المغامرة ، مغامرة الخروج إلى عالم الحرية الذي لا يثق فيه .

وفي المستشفيات أو عيادات العلاج النفسي ، يلح كثير من المرضى الذين يمارسون اللعبة على طلب السماح لهم بالخروج من المستشفى ، ويظهرون تحسناً في حالتهم وامثالاً كاملاً للعلاج . وما أن يصبحوا على وشك الخروج ، حتى تفاجأ المستشفى بانتكاسهم الكامل ، وعودتهم إلى الحالة التي دخلوا بها المستشفى .

ولعبة « كيف تهرب من هنا ... » تحتاج إلى علاج نفسي فعال ، حتى يتوقف الشخص عن ممارستها .

تنويعات اللعبة :

هناك بعض التنويعات لهذه اللعبة ، منها « عليك أن تسمع » . في هذا التنوع يطالب الشخص ، عضو المؤسسة الاصلاحية ، أو المريض بالمستشفى ، بحقه في الشكوى . وتكون الشكوى عادة حول ظواهر وهمية غير حقيقية . ويكون الهدف الحقيقي لممارسة اللعبة في هذه الحالة ، هو أن يتأكد من قدرته على أن يفرض على السلطة الانصات لكلامه . فإذا ارتكبت السلطة غلطة البحث في شكواه ، والنظر فيها بشكل جدى لإثبات عدم سلامتها ، ساءت حالته النفسية . وإذا استجابت السلطة لطلبه ، تزايدت الطلبات وتضاعدت . أما إذا اكتفت السلطة بمجرد الاستماع ، بصبر وأناة مع إبداء نوع من الاهتمام ، يكون ممارسة اللعبة قد حققت هدفه ، ويصبح بعد

ذلك متعاوناً مع السلطة ، ولا يعود إلى الشكوى .
على المدير أو رئيس العمل أن يميز جيداً بين ممارس لعبة « عليك أن
تسمع » ، وبين أصحاب المطالب الحقيقية من العاملين ، والتي تحتاج إلى
تصرف عملي فيها .

الفصل التاسع

ألعاب حجرة الاستشارة

ألعاب حجرة الاستشارة

على محلل الألعاب المحترف أن يستثمر مايجرى في حجرة الاستشارة النفسية من ألعاب نفسية ، أثناء العملية العلاجية . ذلك لأن علاقته بهذه الألعاب تكون مباشرة . وهناك ثلاثة أنواع من هذه الألعاب ، وفقا لتباين الممارس الأساسى فيها :

(١) ألعاب يمارسها المعالجون النفسيون والذين يتولون بحث الحالات مثل لعبتى « أنا لا أسعى إلا لمساعدتك » ولعبة « الطب النفسى » .

(٢) ألعاب يمارسها المرضى الخاضعون للعلاج الجماعى ، والذين تدربوا عليها تدريباً عاليا يضعهم فى مصاف المحترفين ، كما فى لعبة « بيت النباتات »

(٣) ألعاب يمارسها المرضى العاديون ، مثل لعبة « العاجز » ، ولعبة « الساق الخشبية » .

والألعاب التى نطرحها فى هذا القسم هى :

- بيت النباتات .
- أنا لا أسعى إلا لمساعدتك .
- العاجز .
- الفلاحة .
- الطب النفسى .
- الغبى .
- الساق الخشبية .

« بيت النباتات »

في مجال البحث العلمي ، وليكن على سبيل المثال علم النفس التجريبي ،
يشيع بين المبتدئين عند الالتقاء ببعضهم البعض ، استخدام الاصطلاحات
العلمية في الحديث اليومي العادي . فيقول أحدهم للآخر « أنت تستعرض
نوازحك العدوانية .. » ، أو « انظر إلى أي مدى تتحقق لديك الآلية ، في
نظام الدفاع النفسي الآلي » .. إلى آخر هذه التعبيرات .

وهذا في حد ذاته تسلية غير ضارة ، وأحد مظاهر الخبرة الأكاديمية ، أو
فائض الدراسة . والاصلاء من بين شباب العلماء يمكنهم أن يستنبطوا من هذا
الحوار المتبادل متعة وتسلية .

وهذا يختلف عن جوهر لعبة « بيت النباتات » . فهناك ميل شديد بين
المستجدين في الدراسات النفسية إلى المبالغة في احترام ما يطلقون عليه أسم
(المشاعر الفريدة والأصيلة) التي يمرون بها . قبل أن يصف الواحد منهم هذه
المشاعر ، يبدأ بالإعلان عن قرب حلوها . بعد هذا الإعلان ، يبدأ في وصف
هذه المشاعر ، ويستعرضها أمام زملائه ، كما لو كانت زهرة ثمينة نادرة ،
نمت في (الصوبا) أو (بيت النباتات) ، يجب أن نتلقاها بحرص ورهبة .
ومن ناحية أخرى ، يتلقى الزملاء هذه الكلمات باهتمام شديد وتوقير ،
وينهمكون في الحديث عنها ، كأنهم خبراء نبات في حديقة لدراسات النبات

العلمية . وهم يثيرون التساؤلات الهامة حول هذه الزهرة النادرة ، وهل تستحق أن تعرض في « المتحف العام للمشاعر البشرية » ! ..
عندما يحاول الطبيب النفسي المتمرس أن يقاطع هذه الطقوس المقدسة .
سائلا بعض الأسئلة العلمية ، يقابل منه هذا بالاحتجاج والرفض ، وكأنه قد
مد أصابعه الفضة الباردة ، ليمزق الأوراق الهشة لهذه الزهرة التي لا تتكرر .
والطبيب النفسي يشعر - عن حق - أن فهم هذه الزهرة ومعرفة تركيبها
وتشريحها وطبيعتها ، يقتضى تقطيع أوصال هذه الزهرة .
هذه اللعبة يمكن أن تعوق تقدم العلاج النفسي . وعلى الطبيب النفسي
أن يعتمد في علاجه لهذه اللعبة ، على نفس السخرية والتهكم الواردين في
وصف اللعبة .

* * *

إذا سمحنا لمثل هذه اللعبة أن تستمر ، فقد تتواصل ممارستها بلا تغيير لعدة
سنوات ، يشعر بعدها المريض أنه أصبح يتمتع (بخبرة علاجية) ، وأنه
أصبح يعرف كيف (يعبر عن نواذعه العدوانية) ، وأنه قد تعلم (مواجهة
مشاعره) بطريقة تضعه في موقع أفضل من زملائه الذين لم يصادفهم نفس
التوفيق . وإذا كانت ممارسة هذه اللعبة تتضمن بعض المزايا ، إلا أن ممارستها
تعوق جهد التوصل إلى نتائج علاجية أفضل .

والمضحك ، أن هذه التعبيرات ، التي لاتصدر إلا من مبتدئ الدراسة ،
لاتوجه إلى الزملاء من ممارسي اللعبة ، بل يتم استعراضها أمام الأساتذة
والوسط الثقافي المحيط بهم ، والذي يشجع مثل هذه الخدلة .

ومن المناسب في مثل هذه الحالات توجيه بعض الملاحظات التي تتضمن
التشكيك في جدوى هذا النوع من الحوار . فقد تفيد هذه الملاحظات في
انتزاع المريض بنجاح من تأثيرات (الوالد) الزائفة ، وتخفيف حدة التركيز

على الذات في تعامل المرضى مع بعضهم البعض .. وبدلاً من أن يزرعوا مشاعرهم وينموها في (بيت النباتات) الدافئ ، يكون عليهم أن يكتفوا بترك مشاعرهم لكي تنمو بشكل طبيعي ، وعلى أن يتم تشجيع هذه المشاعر ، فقط عند ما تكون قد نضجت تماماً .

أكثر مزايا هذه اللعبة وضوحاً ، هي المزايا السيكلوجية العامة أو الخارجية ، فاللعبة توفر للمارسها تجنب الألفة عن طريق عرض المشاعر بالطريقة التي تضمن عدم استجابة الآخرين لها .

« أنا لا أسعى إلا لمساعدتك »

تجرى هذه اللعبة في أى مجال من مجالات العمل ، ولا تقتصر على أفراد جماعات العلاج النفسى ، أو العاملين في حقل الخدمة العامة . إلا أنها تشيع بشكل ملحوظ بين العاملين في حقل الخدمة الاجتماعية ، حيث تظهر اللعبة في أكثر أشكالها وضوحا .

وقد تم اكتشاف هذه اللعبة على يد دكتور إريك بيرن في ظروف خاصة جدا .

كان يراقب مجموعة من الرجال تلعب (البوكر) ، وفي أحد الأدوار انسحب الجميع ماعدا باحث سيكولوجى ، ورجل من رجال الأعمال . كانت أوراق رجل الأعمال عالية ، فرفع رهانه ، ولما كانت أوراق الباحث السيكولوجى قوية جدا ، وتصعب هزيمتها ، فقد رفع بدوره الرهان . أخذ رجل الأعمال يتطلع إلى خصمه حائرا ، فعلق الباحث مازحا « لاتحير.. أنا لا أسعى إلا لمساعدتك » . تردد رجل الأعمال قليلا ، ثم اعتمد زيادة الرهان التى أعلنها الباحث . كشف الباحث أوراقه الراجعة ، بينما ألقى الآخر أوراقه على المنضدة في اشمئزاز ، وتعالى ضحك الحاضرين على التعليق الذى قاله الباحث ، فقال رجل الأعمال بأسى « لقد ساعدتنى حقا !... » .

رمى الباحث دكتور بيرن بنظرة ذات مغزى ، تعنى أن النكتة جاءت على

حساب مهنة البحث النفسى وبدأت تتضح معالم هذه اللعبة .

* * *

تتم اللعبة بالتتابع التالى :

يقدم أحد المسئولين فى عمل ما ، أو أحد المعالجين فى عيادة أو مستشفى ، النصيحة لممرض أو عميل أو مريض . بعد قليل يعود المريض (مثلا) ليبلغ المعالج أن النصيحة لم تفد فى تحسين حالته . يغصّ المعالج بفشله ، ويحاول مستسلا - أن يقدم نصيحة أخرى .

إذا كان المعالج دقيق الملاحظة لنفسه ، فسيكتشف داخله وخزء إحباط ، إلا أنه سيواصل محاولاته مع المريض . وهو غالبا ما لا يشعر بالحاجة إلى مناقشة وفحص دوافعه الذاتية فى مثل هذا الموقف ، لأنه يعلم أنه يفعل مثل ما يفعل غيره من الزملاء المدربين ، وأنه فى عمله يتبع الاجراءات (السليمة) ، وأنه سيضمن مساندة كاملة من رؤسائه .

إذا تم هذا الموقف فى مواجهة مريض أكثر قسوة ، كأن يكون مشبعا بنوازع العدوان ، فسيجد المعالج أن تجنب الشعور بالقصور سيصبح أكثر صعوبة . هنا تبدأ متاعب المعالج ، ويبدأ التدهور البطيء للموقف .

فى أسوأ الحالات يواجه المعالج غضب مريض مصاب بجنون الاضطهاد ، يتدفع ذات يوم إلى حجرته صائحا فى غضب « انظر ، ماذا جعلتنى أفعل .. » . يتضاعف احساس المعالج بالاحباط ويصل إلى الجملة المنطوقة أو الضمنية « ولكن .. أنا لم أكن أسعى إلا لمساعدتك » . وحيرة المعالج نتيجة لإحساسه بانعدام الوفاء ، تسبب له قدرا واضحا من المعاناة . وهذا يشير إلى الدوافع المركبة الكامنة خلف سلوكه . فهذه الحيرة هى مكسب لعبة « أنا لا أسعى إلا لمساعدتك » ، وعائدها الأساسى .

* * *

ويجب التمييز بين الذين يساعدون حقيقة ، وبين الذين يمارسون اللعبة .
يجب أن نميز بين من يقولون «أعتقد أن بإمكاننا أن نفعل شيئاً بهذا الخصوص» ، أو «أنا أعرف مايجب فعله في هذه الحالة» ، أو «لقد تخصصت في حل هذه المشكلة» ، أو «سأتكفل بمساعدتك مقابل أجر قدره ...» ، وبين الذين يمارسون اللعبة ، فيقول كل منهم «أنا لا أسعى إلا لمساعدتك» .

الحالات الأربع الأول ، تمثل عروضاً من (البالغ) لوضع المؤهلات والخبرات الحرفية في خدمة العميل أو المريض . أما في حالة اللعبة ، فتكون الدوافع خفية ، وتكون هذه الدوافع أكثر أهمية من المهارات الحرفية ، في تحديد العائد أو المكسب .

من أهم دوافع اللعبة ، تأكيد وجهة النظر القائلة بأن الناس يتصرفون بنكران الجميل ، لهذا فهم مخبيون للآمال . وهذا يعنى أن الهدف الأساسى لمحترف اللعبة الذى يقدم المساعدة هو أن يصل فى النهاية إلى اثبات خيبة أمله فى الناس ووصفهم بالجحود ونكران الجميل . صورة النجاح فى المهمة تشكل انذاراً موجهاً إلى (الوالد) عند المحترف ، وهذا الإنذار يكون بمثابة دعوة إلى التخريب . النجاح فى المهمة يعتبر تهديداً للموقف بأكمله .

* * *

من المهم أن يتأكد ممارس اللعبة من أن مساعدته لن تكون مقبولة آخر الأمر ، بصرف النظر عن حماسه فى تقديم المساعدة . والعميل أو المريض يستجيب للعبة «أنا لاأسعى إلا لمساعدتك» ، بلعبة أخرى يمارسها تسمى «انظر ، كم أحاول بجد» ، أو «مع كل ما تفعل ، لن تنجح فى مساعدتى» . وممارس اللعبة الذى يتسم بالمرونة يستطيع أن يركن إلى نوع من التوفيق ، منطلقاً من شعار «لأبأس على الناس من أن تكون مساعدتى لهم

ناجحة . شرط أن تستغرق هذه العملية وقتاً طويلاً .
وبالطبع نجد على الجانب الآخر من اللعبة العنيفة ، الحالات السوية بين
المحامين الناجحين الذين يساعدون عملاءهم فعلاً ، من غير تدخل للمشاعر
الشخصية .

وبعض مدارس الخدمة الاجتماعية تكون بمثابة أكاديميات أولية ،
لتدريب اللاعبين المحترفين على ممارسة لعبة « أنا لا أسعى إلا لمساعدتك » ،
ويكون من الصعب على زملائهم مقاومة اشراكهم في اللعبة .

تنوعات اللعبة :

يساعد على تصور الأفكار السابقة بشكل أوضح ، الوصف الذي سنورده
عند استعراضنا للعبة المكمل لهذه اللعبة ، وهي لعبة « العاجز » .
ولعبة « أنا لا أسعى إلا لمساعدتك » تشيع بتنوعاتها المختلفة في حياتنا
اليومية . وتجرى ممارستها في الأسرة مع الأقارب والأصدقاء على صورة
« أستطيع أن اشتريها لك بسعر الجملة » ، وبين البالغين الذين يقومون بأعمال
الخدمة الاجتماعية للأطفال ، وهي من الألعاب المستحبة بين الآباء
والأمهات . واللعبة المكمل التي يلجأ إليها الأطفال في هذه الحالة هي لعبة
« انظر ماذا جعلتني أفعل » . ومن الناحية الاجتماعية يمكن أن نعتبرها تنوعاً
للعبة « المكار » ، التي ستحدث عنها فيما يلي .

علاج اللعبة :

في مجال علاج هذه اللعبة . أو محاولة إيقافها ، تكون لدى المحترف أو
المختص عدة حيل ، يلجأ إلى أي منها عندما يدعى إلى المشاركة في هذه
اللعبة . واختيار الأسلوب المناسب لإيقاف اللعبة وقطع حركاتها يتوقف على
نوع العلاقة بين الطبيب والمريض . كما يتوقف بشكل خاص على طبيعة موقف

العلاج . أو يقول إنه أهمل العلاج ، بعد أن تبين عدم جدواه .
في الحالتين ب ، ج يكون على الطبيب أن يقرر إذا ما كان المريض
مستعدا لعملية تحليل الألعاب في هذه المرحلة ، أما أنه يحتاج إلى علاج
خاص ، قبل أن يمر بالعلاج النفسى .

تحليل اللعبة :

الهدف الحقيقى من هذه اللعبة ، هو التخلص من الإحساس بالذنب .
تم اللعبة على المستوى الاجتماعى المعلن من موقف (طفل - والد)
كالتالى :

الأول (طفل) : ماذا أفعل الآن ؟ .

الثانى (والد) : هذا هو مايجب أن تفعله .

أما على المستوى السيكولوجى الخفى ، فتتم من موقف (والد - طفل)
كالتالى :

الأول (والد) انظر كم أنا ماهر .

الثانى (طفل) : سأقنعك بعدم مهارتك !

بعضهم يتعامل مع خمس أو ست مؤسسات في وقت واحد ، ولذا فهم يعتبرون من فئة «الحالات الصعبة» .

كانت الآنسة (س) بحكم دراستها ، قد تدربت على تحليل الألعاب . وساعدها في اكتشاف أن المسئولين في هذه المؤسسة كانوا يمارسون لعبة « أنا لا أسعى إلا لمساعدتك » ، بشكل دائم فتساءلت عن نوع استجابة العملاء لهذه اللعبة . ورغبة منها في اختبار هذه الاستجابة ، عمدت إلى سؤال عملائها الذين تحتك بهم ، من أسبوع لآخر ، عن عدد فرص التوظيف التي عرضت لهم . فكتشفت أنه رغم الفرض النظري ، الذي يقول إنهم يبحثون عن وظائف لهم بإلحاح من يوم لآخر ، كانوا في واقع الأمر ، يعطون أقل الجهد لهذا الغرض . كما كانوا في أحيان أخرى يتكلمون عن جهودهم هذه بشيء من التهكم والسخرية .

قال أحدهم - على سبيل المثال - إنه يرسل طلبات التوظيف كل يوم على الأقل من واقع إعلانات الوظائف الحالية التي يقرأها في الصحف . وعندما سألته (س) « ومانوع العمل الذي تبحث عنه ؟ » ، قال « بائع في محل تجاري » . سألته (س) وهل هذا هو النوع الوحيد من العمل الذي ترسل طلباتك باحثا عن فرصة العمل » ، فرد بالإيجاب . الملفت في الموضوع أن هذا الرجل كان (يتهته) في حديثه ، فاختر بالتحديد الوظيفة التي لا يمكن أن تصلح له ! .

في ذلك الوقت ، اكتشف رؤساء الآنسة (س) ماتقوم به من استفسارات ، فقاموا بلفت نظرها ، وطلبوا منها عدم العودة إلى هذا «الضغط الذي ليس في محله» ، والذي تمارسه على عملاء المؤسسة .

إلا أن (س) قررت ، رغم هذا ، أن تواصل محاولاتها لتوظيف بعضهم . واختارت من بينهم أصحابهم بدنيا ، والذين ليس لديهم أي مبرر

للاقتصار في حياتهم على إعانة البطالة . فتكلمت مع هذه المجموعة حول لعبتي «أنا لا أسعى إلا لمساعدتك» ، و«العاجز» . وعندما أحست أنهم قد تفهموا الموضوع ، أكدت لهم أنه إذا لم يستقروا في عمل ما ، فستضطر إلى قطع إعانة البطالة عنهم ، وتحويلهم إلى مؤسسة أخرى . وكانت النتيجة أن ارتبط أغلبهم بوظائف على التو ، وكان من بينهم من لم يرتبط بعمل لعدة سنوات . إلا أن هذا لم يمنع سخطهم على تصرفها ، فأرسل بعضهم خطابات إلى رؤسائها ، يشكون من تصرفها . استدعاها رئيسها ، ولامها بشكل أكثر قسوة ، وأفهمها أنه بالرغم من أنها نجحت في تدبير وظائف لعمالها ، وأنهم أصبحوا يمارسون عملا يوميا ، إلا أن ما حدث لا يمكن اعتباره «توظيفا حقيقيا» ! .

وتتابع الصراع بعد ذلك بين الآنسة (س) وقيادة المؤسسة ، إلى أن قال لها رئيسها إن وضعها في المؤسسة قد أصبح مزعزعا ، يعرضها للفصل في أى لحظة . فحاولت الآنسة (س) ، متجنية مغامرة فقد وظيفتها ، أن تشرح بحرص ولباقة فكرتها عن موقف المؤسسة والعاملين فيها من معنى «التوظيف الحقيقى» ، لكنها فشلت ، ووصفت جهودها بأنها نوع من ممارسة «الضغط غير اللائق» على عمالها ، وأن كون هؤلاء العملاء أصبحوا يعولون أسرهم من عملهم لأول مرة منذ سنوات طويلة ، يحسب عليها وليس لها .

أصبحن الآنسة (س) الآن مهددة بالفصل ، ولما كانت تحتاج إلى وظيفتها في المؤسسة ، فقد حاول بعض اصدقائها من مجال الدراسات النفسية مساعدتها ، فأرسل مدير وحدة العلاج النفسى خطابا إلى رئيسها ، قائلا إنه سمع بالدراسات التى تقوم بها مع عمالها ، ويستأذن فى أن يسمح لها بمناقشة نتائج دراستها فى مؤتمر يعقد بوحدة العلاج النفسى . فرفض الرئيس منحها الإذن بذلك .

تحليل اللعبة :

في هذه القصة ، وضعت المؤسسة قواعد لعبة « العاجز » ، لتكمل بها قواعد لعبة « أنا لا أسعى إلا لمساعدتك » . وكأن اتفاقا تكتيكيا قد تم بين المؤسسة وعمالها على النحو التالي :

المؤسسة : سأحاول أن أساعدك (بشرط ألا يتحسن وضعك) .

العميل : سأبحث عن عمل (بشرط ألا أرتبط به) .

فإذا أخل أحد العملاء بالاتفاقية ، فسمح لحالته بأن تتحسن فعلا ، ستفقد المؤسسة عميلا ، وسيخسر العميل إعانة البطالة ، فيشعر الطرفان أنها قد عوقبا . وعندما يمزق أحد العاملين في المؤسسة بنود هذه الاتفاقية ، كما في حالة الآنسة (س) ، ويوجد عملاً فعلياً للعميل تشعر المؤسسة أنها عوقبت عن طريق شكوى العملاء التي قد تتوجه إلى سلطات أعلى ، بينما يشعر العميل أنه خسر إعانة البطالة .

وطالما التزم الطرفان بالقواعد الضمنية ، حصل كل منهما على مايريده . يقبض العميل إعانته ، ويتعلم على الفور ماتطلبه منه المؤسسة في مقابل هذا ، وهو « أن يتظاهر بسعيه لحل المشكلة » ، ولكن دون أن يصل فعلا إلى حل حقيقي . وهو بذلك ، يسمح للمؤسسة أن تجمع المادة الضرورية لتقديمها إلى مؤتمرات العاملين ، التي تبحث في البطالة ووسائل التوظيف ، من واقع خبراتها مع العملاء . لكن موقف الآنسة (س) كان مختلفا ، فهي تريد « ان تحل المشكلة فعلا » ، بدلا من « التظاهر بالعمل لحلها » . وهي قد اقترحت مؤتمرا يناقش أوضاع « العاملين » ، بدلا من مناقشة أوضاع « العملاء » . وهذا هو ما أزعج كافة الأطراف المشاركة في الألعاب .

من هذا تتضح ملاحظتان : الأولى هي أن « العاجز » كلعبة ، وليس كحالة ناتجة عن العجز البدني أو العقلي أو الاقتصادي ، تمارسها نسبة معينة

من عملاء مؤسسات الخدمة الاجتماعية . والثانية . أنها لا تحقق إلا بوجود العاملين في المؤسسة الذين يمارسون لعبة « أنا لا أسعى إلا لمساعدتك » .

تنويعات اللعبة :

من نظائر هذه اللعبة ، لعبتي « المسرحون » و « العيادة » ، ولعبة « المسرحون » الذين عادوا من الحرب وأمهوا خدمتهم العسكرية ، تحمل نفس العلاقات الرمزية للعبة « العاجز » . وتجري هذه المرة ، بين إدارة المسرحين بالجيش أو غير ذلك من المؤسسات الشبيهة ، وبين عدد من المسرحين المحترفين ، الذين يطمعون في مقاسمة ضحايا الحرب العاجزين حقوقهم الشرعية .

أما لعبة « العيادة » ، فتمارسها نسبة معينة من المترددين على العيادات الخارجية للمستشفيات العامة ، وفي هذه الحالة لا يحصل ممارس اللعبة على تعويضات أو اعانات مالية ، ولكنه يحصل على بعض المزايا الأخرى .

علاج اللعبة :

يكون علاج هذه اللعبة بسحب مكاسيها . وهنا ، لا يأتي الخطر من المريض نفسه ، كما في أغلب الألعاب ، ولكن من الجهات المسئولة التي تقدم المساندة الثقافية لمن يمارسون اللعبة ، وبمعنى أدق ، تلك الجهات التي تمارس لعبة « أنا لا أسعى إلا لمساعدتك » . وهذا يمكن أن يتوفر في الأساتذة والجمهور المثقف ومؤسسات الخدمة والرعاية الحكومية ، والاتحادات والنقابات التي تعمل على حماية الفئات المختلفة .

« الفلاحة »

النموذج النمطي لهذه اللعبة يتضمن واقعة فريدة . بطلتها فلاحة بلغارية مصابة بداء التهاب المفاصل وقد باعت بقرتها الوحيدة ، ليتوفر لها المال اللازم للسفر إلى العاصمة صوفيا ، وزيارة العيادة الجامعية بها . اختبر الطبيب الأستاذ حالتها ، فوجد أنه بصدد حالة مثيرة من الناحية الطبية ، تستوجب تقديمها في عرض علاجي أمام طلبته في الجامعة . لم يكتف الأستاذ بتحديد طبيعة المرض ، وأعراضه ، وكيفية تشخيصه ، بل حدد لها العلاج الكامل الذي يؤدي إلى الشفاء . نتيجة لهذا الاهتمام غير العادي من جانب الأستاذ ، افعمت فلاحتنا بعرفان الجميل والامتنان . وقبل أن تغادر العيادة ، سلمها الأستاذ (الروشته) ، وشرح لها في تفصيل دقيق طريقة إتمام العلاج . هنا ، تملكها الإعجاب المتزايد بالأستاذ ، لعلمه ومعرفته وإخلاصه لعمله ، فصاحت « يا الله .. كم أنت عظيم أيها الأستاذ ... » .

على أي حال ، عندما عادت الفلاحة إلى قريتها ، لم تبذل أي جهد لتنفيذ العلاج الذي أشار به الأستاذ . لقد عادت إلى قريتها دون أن تشتري الدواء ، مع علمها بعدم وجود صيدلية في القرية ، وحتى إذا وجدت الصيدلية ، فهي ليست مستعدة لأن تفقد الوثيقة الثمينة التي تعترض وجودها في حوزتها (الروشته) بالإضافة إلى أنها - لظروفها المالية - لا تستطيع الالتزام

يباقى العلاج ، من نظام غذائى خاص ، إلى علاج بالمياه المعدنية ، إلى غير هذا من المسائل المكافئة .

استمرت حياة الفلاحة كما كانت من قبل ، تعرج فى مشيتها ، إلا أنها الآن أكثر سعادة من أى وقت مضى ، فبإمكانها أن تحكى لكل من يصادفها ، عن العلاج العظيم الذى وصفه لها الأستاذ الكبير فى صوفيا ، الذى تكن له كل تقدير وعرفان بالجميل ، وتذكره فى صلاتها كل مساء قبل النوم .

تمر عدة سنوات ، ويكون الأستاذ فى طريقه لعيادة عميل ثرى خارج صوفيا ، فيتوقف عند قرية فلاحتنا . تندفع الفلاحة نحو الطبيب ، تذكره بالعلاج العظيم الذى وصفه لها ، فيتذكرها ، ويتقبل اعترافها بفضله شاكرا . وتتضاعف سعادته عندما تخبره بأن تشخيصه والعلاج الذى وصفه كان فعالا للغاية . وكان الأستاذ على درجة من الانفعال ، لم تتح له أن يلاحظ مشية الفلاحة ، التى كانت على نفس القدر من السوء الذى كانت عليه منذ سنوات .

* * *

وتجربى ممارسة لعبة « الفلاحة » اجتماعيا بشكلين ، أحدهما برىء والآخر مخادع . وفى الحالتين تتم من منطلق « يا لله كم أنت عظيم يا استاذ » . فى الشكل البرىء ، يكون الأستاذ عظيما فعلا . من صنّاع الخير ، أو من رجال العلم ، أو من كبار كتّاب القصة . تتدافع إلى لقائه النساء الساذجات ، يقطعن المسافات الطويلة ، بأمل لقائه ، والجلوس عند قدميه ، فى حالة من الاعجاب الشديد . وهن يسعين دائما إلى تزيين وتجميل نواقصه بشكل رومانتيكى . والنساء الأكثر ثقافة ، يعجبن به ويقدرنه ، ويحاولن إنشاء علاقات

معه ، أو الزواج منه إذا أمكن ، رغم أنهم يكن واعيات بنقط ضعفه . وهن يلجأن إلى تسخير نقط الضعف هذه لتحقيق مآربهن . أساس اللعبة عند هذين النوعين من النساء ، هو تزيين النواقص ثم استغلالها .

وفي الشكل المخادع من اللعبة ، قد يكون الأستاذ عظيمًا وقد لا يكون ، ويقع بين يدي امرأة لعوب ، تعجز عن تقدير مزاياه الفعلية ، ولكنها تلعب معه « يا لله .. كم أنت عظيم أيها الأستاذ » ، كنوع من النفاق ، والمديح الكاذب ، بهدف تحقيق أغراضها . وسواء كانت منبهة به ، أو ساخرة منه ، فهي في الحالتين لا تهتم بشخصه ، قدر اهتمامها بالمكاسب التي تتحقق لها من صحبته .

* * *

وتجري لعبة « الفلاحة » في مجالات العلاج النفسي والبدني ، بشكلين بهما بعض أوجه الشبه من الشكلين السابقين ، من منطلق « يا لله .. كم أنت عظيم يا أستاذ » .

في الشكل البريء ، تمضي المريضة متطورة إلى الأفضل ، طالما كانت تمارس اللعبة ، وتؤمن بها . وهذا يفرض على الطبيب المعالج أن يكون حسن التعامل مع الناس في حياته الخاصة والعامة ، حتى تستمد المريضة من هذا التفوق دليلا على « عظمة الأستاذ » .

وفي الشكل المخادع ، تقبل المريضة على الطبيب ، وقد اعتزمت أن تدفعه إلى أن يتقبل ممارسة لعبتها « يا لله .. كم أنت عظيم يا أستاذ » ، ومن ثم يفكر فيها باعتبارها إنسانة (ذكية ومتفهمة للأمور بشكل غير عادي) . ومتى تم لها ذلك ، تقوم بما يجعله يبدو أحققا ، ثم تنصرف بناء على هذه الحماقة التي بدرت منه إلى طبيب آخر لمارس معه نفس التتابع . فإذا تنبه الطبيب إلى لعبتها ، وفشلت في خداعه ، ربما أصبح قادرا على مساعدتها في التخلص من

ممارسة اللعبة . وأسهل طريقة تتيح للمريضة أن تستمر في ممارسة لعبتها ، هي أن تحتفظ بحالتها دون تحسن ملموس .

إذا كانت المريضة أكثر خبثا ، فقد تتخذ خطوات أكثر إيجابية ، حتى تجعل الطبيب يبدو أكثر حمقا . وفي إحدى الحالات كانت المرأة تلعب « يا الله . كم أنت عظيم يا استاذ » مع طبيبها النفسى ، دون تحسن في حالتها ، ودون أن تبدى أى استعداد لتخفيف تمسكها باللعبة . وعندما استنفذت مراحل لعبتها مع الطبيب ، تركته دون سابق انذار ، لم تنس أن تؤكد شكرها الشديد على ما بذله نحوها من جهد . ثم ذهبت إلى قسيس العائلة تطلب معونته ، ومارست معه نفس اللعبة . وبعد عدة أسابيع بدأت تحاول غوايته ، ممارسة لعبة « الاغتصاب » من الدرجة الثانية ، تركته منصرفة إلى بيتها ، لكي تجتمع بجاراتها ، وتحكى لهن هامة كيف أنها تكدرت جدا ، لأن رجلا لطيفا مثل قسيس العائلة ، يمكن في لحظة ضعف أى يحاول مغازلة امرأة بريئة غير جذابة مثلها . ثم تقول إنها قد عفت عنه ، من أجل زوجته التى تصادقها ، وحتى لا ... إلى آخر هذا الكلام . هذه المرأة كسبت مع الطبيب بعدم تحسن حالتها ، ومع القسيس بإغوائه . وفي الحالتين ترفض أن تعترف لنفسها بالدوافع الخفية لتصرفاتها .

إلا أنها وصلت في نهاية الأمر إلى طبيب نفسى ، قدمها إلى مجموعة علاج نفسى جماعى ، فأصبح من الصعب عليها أن تقوم بمناوراتها السابقة ، وحرمها من ممارسة « يا الله .. كم أنت عظيم يا استاذ » و « الاغتصاب » ، حتى لا تشغل بهما وقت العلاج . هنا فقط ، بدأت تمتحن سلوكها بشكل أدق ، وأقلعت عن لعبتها بمساعدة المجموعة العلاجية .

علاج اللعبة :

عند علاج هذه اللعبة ، يجب على الطبيب أن يتثبت في بداية الأمر من

نوع اللعبة التي تمارسها المريضة إذا كانت من النوع البريء . يتركها تمارس لعبتها لبعض الوقت ، إلى أن ينتهى من دعم (البالغ) فيها بشكل سليم ، حتى يتجنب مخاطر إيقاف اللعبة بشكل باثر فإذا لم تكن اللعبة بريئة ، وجب على الطبيب أن يسارع بإيقافها عند أول فرصة متاحة ، بعد أن يكون قد أعد مريضته ، حتى تتمكن من فهم مايجرى معها الخطوة التالية يرفض فيها الطبيب تقديم أى نصائح للمريضة ، رغم كل وسائل الاحتجاج التي قد تبديها . وتتوقف الخطوات التالية من العلاج على نتائج الخطوة السابقة . وبشكل عام يكون هدف الطبيب في حالة اللعبة غير البريئة ، هو الفصل بين (البالغ) و (الطفل) المناق داخل المريضة ، حتى يتمكن من اجراء تحليل اللعبة .

« الطب النفسى »

يجب أن نفرق بين الطب النفسى كإجراء علاجى ، وبين « الطب النفسى » كلعبة .

ويعتمد الطب النفسى فى علاج المرضى على عدة أساليب ، مثل العلاج بالصدمة ، والتنويم ، والعقاقير والتحليل النفسى ، والتقويم النفسى العلاجى ، والعلاج الجماعى بالإضافة إلى بعض الأساليب الأخرى الأقل استخداما ، جميع هذه الأساليب ، تتسلل إليها لعبة « الطب النفسى » . ويسعى الطبيب ممارس هذه اللعبة إلى أن يلوح بشهاداته ، رافعا شعار « أنا المعالج الشافى » ، فهو يرى أن شهاداته تثبت أنه الشافى . فى الأحوال العادية ، يمكن أن تنظر إلى هذه اللعبة باعتبارها من الألعاب البناءة ، التى تعمق نوازع الكرم والرغبة فى تقديم الخدمات . وإذا كان ممارس اللعبة على درجة مناسبة من الإعداد الفنى الحرفى فى تخصصه ، يمكنه أن يحقق من ممارسة اللعبة ، الكثير من النتائج الطيبة .

إلا أن الممارسة المنحرفة لهذه اللعبة ، قد تضر بمصلحة المريض . فهناك قول مأثور يشيع بين طلبة الطب ، يقول « أنا أعالجهم ، لكن الله هو الذى يشفيهم » ، وهو قول يجعل العملية العلاجية أقرب إلى الاعتدال . إلا أن العاملين فى حقل العلاج النفسى من غير الأطباء ، قلما يؤمنون بمثل هذا القول

المأثور . ويكون شعارهم هو « أنا الشافي » لأن هذه الشهادة تقول إنني الشافي » . وهذا الموقف يتسبب في بعض الأضرار ولتلافي هذه الأضرار يجب أن يتحول شعارهم « سأحاول تطبيق كل المعارف التي استوعبتها عن إجراءات العلاج النفسي » على أمل أن تكون ذات نفع لك » ومثل هذا الموقف المعدل يحمي الطبيب من الدخول في الألعاب المبنية على فكرة « طالما أنني الشافي . إذا لم تتحسن حالتك فهذه غلطتك أنت » ، أو التي يلعبها المريض ويقول « طالما أنك الشافي ، فحالتى ستتحسن لأجل خاطرك » ، وهو جوهر لعبة « الفلاحة » .

هذا الموضوع ، يدركه بوضوح كل صاحب ضمير يقظ في مجال العلاج النفسي ، وبخاصة من مارسوا العمل في العيادات النفسية ذات السمعة الطيبة .



ومن ناحية أخرى ، تشيع لعبة « الطب النفسي » بشكل أوسع ، بين المرضى الذين أدمنوا التردد على الفاشلين من المعالجين النفسيين ، الذين لا يتسمون باللياقة أو الكفاءة . وبعض هؤلاء المرضى يبذلون جهدا كبيرا في انتقاء أقل المحللين النفسيين من حيث المستوى والكفاءة ، مبررين تصرفهم هذا ، بأنهم يبحثون بدقة عن المحلل النفسي القادر على علاجهم . وهم من خلال هذه المحاولات يتعلمون أكثر فأكثر ، كيف يمارسون لعبة « الطب النفسي » بحذق وإجادة .

نتيجة لهذا تسوء حالة المريض ، وتعامله المزدوج يتضمن موقفين :

(البالغ) الذى يقول ، أنا قادم لكى أشفى من مرضى .

و(الطفل) الذى يقول ، لن تستطيع شفاى ، لكنك ستعلمنى كيف

أكون أكثر مرضا (أو بمعنى آخر ، أكثر مهارة في ممارسة لعبة « الطب النفسى ») .

تنويعات اللعبة :

كذلك يجرى أداء لعبة « الصحة العقلية » بنفس الطريقة . في هذه اللعبة يقول (البالغ) فى المريض ، « كل شىء سيتحسن ، إذا ما أنا طبقت مبادئ الصحة العقلية التى قرأت وسمعت عنها » ، وقد يتعلم المريض قواعد لعبة « الطب النفسى » من طبيب ما ، ثم يتعلم « الصحة العقلية » من طبيب آخر . فى إحدى الحالات التى ينطبق عليها الوصف السابق ، عندما قام الطبيب بمناقشة الموضوع مع المريضة بصراحة كاملة ، وافقت على عدم ممارسة لعبة « الصحة العقلية » ، لكنها طلبت السماح لها ، بمواصلة ممارستها للعبة « الطب النفسى » ، لما توفره لها من إحساس بالراحة . وافق الطبيب . فاستمرت فى ممارسة اللعبة لعدة شهور مع جلسات علاجية تستعيد فيها أحلامها وتشرحها ، وتتكلم عن تفسيراتها مرة كل أسبوع . فى النهاية - وربما بدافع العرفان بالجميل - طلبت أن تعرف بالضبط ماهى حقيقة أمرها . وهكذا ، أصبحت مهتمة بمساندة الطبيب فى إتمام العلاج ، فحققت نتائج طيبة .

ومن تنويعات لعبة « الطب النفسى » ، لعبة أخرى تعرف باسم « عالم الآثار » . وتعتمد هذه اللعبة على الاجترار لأحداث الطفولة . وكذلك لعبة « التعبير عن النفس » ، التى تشيع فى كثير من جلسات العلاج النفسى الجماعى ، والتى ترفع شعار « كل المشاعر طيبة .. » ، وكلما وصف المريض مشاعره بطريقة أكثر إباحية ، كلما قوبل بالمزيد من التصفيق والاستحسان . ومجموعات العلاج المدربة تكون قادرة على اكتشاف مثل هذه اللعبة بسرعة . ومجموعات العلاج النفسى الجماعى تكون فى كثير من الأحيان على درجة عالية من التدريب على اكتشاف ألعاب « الطب النفسى » ، ويمكن لأفراد

هذه الجماعات أن يحددوا لكل مريض ، في أقل وقت ، نوع اللعبة التي يمارسها سواء كانت « الطب النفسي » أو « تحليل التعاملات » ، والتي يسعى إلى ممارستها لكي يتجنب الاستجابة لإجراءات العلاج الجماعي .

وقد حدث أن انتقلت امرأة من مجموعة للتعبير عن الذات في مدينة ما ، إلى مجموعة أخرى أكثر خبرة وتدريباً في مدينة أخرى ، فشرعت تحكى عن قصة علاقة آثمة فاحشة في طفولتها ، متطلعة إلى عيون الآخرين . وبدلاً من أن تقابل بالانبهار الذي تعودته في مدينتها كلما حكّت مثل هذه القصة ، لقيت عدم الاهتمام بقصتها من المجموعة الجديدة ، مما أثار غضبها . وقد أدهش هذه المرأة اكتشافها أن المجموعة الجديدة ، كانت أكثر اهتماماً بغضبها ، من اهتمامها بالفاحشة التي روتها . فأعلنت بصوت غاضب ، رأيها فيهم ، والذي يمثل في منطقها منتهى الإهانة ، والذي يفيد أنهم ليسوا من « الفرويديين » ! .

وحدثاً تم الكشف عن تنوع جديد للعبة « الطب النفسي » ، يطلق عليه اسم « قل لي هذا .. » ، وهو شيء أقرب إلى برامج مسابقات (عشرون سؤالاً) . يحكى المريض عن حلم أو واقعة حدثت له ، ويحاول باقى المجموعة - في حضور الطبيب المعالج غالباً - أن يفسروا الحلم أو الواقعة عن طريق توجيه الأسئلة المناسبة . وكلما أجاب المريض عن سؤال ، وجهت إليه مجموعة أسئلة جديدة ، حتى يتوقف المريض عند سؤال معين فلا يجيب .

هنا ، يفجع صاحب السؤال ، ويوجه للمريض نظرة ذات مغزى ، تقول رغم الصمت .. آه .. إذا استطعت الإجابة عن (هذا) السؤال ، ستتحسن حالتك بكل تأكيد ، وهكذا أكون قد أدت الواجب الذى (يخصنى) .. » .

ويمكننا أن نلتمس في هذه اللعبة قرابة بعيدة مع لعبة « لماذا لا .. نعم ولكن .. » .

بعض المجموعات العلاجية تقوم نشاطها أساساً على مثل هذه اللعبة ، وقد

يمتد هذا النشاط لعدة سنوات ، دون أقل تقدم . ولعبة « قل لى هذا ... » ، تقدم فرصا أوسع للمريض يمارس فيها ألعابه . وهو إما أن يستمتع بممارسة هذه اللعبة ، رغم أنه فى داخله يؤمن بعدم جدواها ، أو يقاومها بأن يجيب عن جميع الأسئلة المطروحة عليه ، فتغضب المجموعة ، إذ أن تصرفه هذا يحمل معنى قوله لهم « لقد أجبت على جميع أسئلتكم ، ولكنكم فشلتُم فى علاجى .. فأى أناس أنتم ؟! ... » .

ولعبة « قل لى هذا ... » تجرى ممارستها أيضا فى الفصول الدراسية بالمدارس . وهنا ، يدرك التلاميذ أن الإجابة على السؤال الذى يطرحه المدرس لا يجب أن تكون كاملة وقاطعة وسليمة تماما ، بل لابد من الالتجاء إلى التخمين الذى يتيح تعدد الإجابات ، مع مدى قربها أو بعدها عن الإجابة الصحيحة الكاملة ، وأنه بهذه الطريقة تكون سعادة المدرس أوفر .

« الغبي »

تجرى لعبة « الغبي » ، في أخف أشكالها على صورة « فلنضحك معا ، على غلاظتي وغبائي » . أما المرضى الذين يعانون من اضطراب حقيقي ، فلعبونها بطريقة متشائمة على صورة « أنا غبي » ، هذه هي حقيقة أمرى .. فهلا فعلت لي شيئا .. » . وفي الحالتين تتم اللعبة من منطلق الالكئاب . ويجب التفريق بين لعبتي « الغبي » و « المكّار » ، والتي تكون دوافعها أكثر عدوانا ، وحيث تكون الغلاظة أو الجلافة وسيلة للحصول على الغفران .

الموقف الحرج في لعبة « الغبي » ، نصل إليه عندما يطلب المريض من الطرف الآخر في اللعبة أن يصفه قولا وتصريحا بالغباء ، وإن يتصرف معه على هذا الأساس . وهنا يتفق تصرف المريض مع تصرف الذي يمارس لعبة « المكّار » ، لكن بدون طلب الغفران . والعكس هو الصحيح ، فالغفران يسبب لممارس لعبة « الغبي » قلقا وضيقا ، لما فيه من تهديد بتوقف اللعبة . يوجد في هذه اللعبة مكسب خارجي ملحوظ ، فكلما قصّر ممارس اللعبة في تعليمه أو في فهمه للأمور ، كلما استطاع أن يواصل اللعبة بشكل أفضل . إنه بهذا يقنع نفسه أن تعلمه في المدرسة ، أو اكتسابه خبرة جديدة في العمل ، ليس أمرا حتميا ، لقد تعلم - منذ صغره - أن الجميع يصبحون أكثر سعادة ، طالما بقي هو على حالة من الغباء . والغريب أنه في الحالات التي يضطر فيها أن يظهر على حقيقته ، يفاجئ الجميع بأنه ليس غبيا بالمرّة .

علاج اللعبة :

علاج الحالات الخفيفة من ممارسى هذه اللعبة يكون بسيطا ويتم بالامتناع عن ممارسة اللعبة ، وبعدم السخرية من غلاظته وغبائه . وممارس لعبة « الغبي » الذى يشفى من ممارسة اللعبة نتيجة لمثل هذا التصرف من الطرف الآخر ، يصبح - فى أغلب الأحيان - من أخلص أصدقاء الطرف الآخر ، على مدى الحياة .

وفى الحالات الأشد ، يصعب على الطرف الآخر أن يكتشف خديعة المريض ، عندما يطلب منه المريض أن يسخر من غبائه . ويصعب أن يمتنع الطرف الآخر عن المشاركة فى السخرية . فالمريض يعطى إحساسا بأنه يستنكر أى امتناع عن السخرية . وهو يفعل ذلك لأن الامتناع معناه التهديد بتوقف ممارسة اللعبة .

وعندما يصل المريض إلى جالة الاكتئاب ، نراه يصب هجومة على كل الذين سخرُوا من غبائه بشكل مكشوف . هنا فقط ، يدرك الممتنعون أنهم كانوا يتخذون أسلم المواقف . والذى يمتنع عن الاستجابة للمريض ، ويتجاهل نداءه الملح بالسخرية منه ، قد يصبح الشخص الوحيد الذى يلجأ إليه المريض عندما يشفى من ممارسة لعبته ، لينشئ معه صداقة حقيقية بينما ينظر إلى (الأصدقاء) القدامى ، الذين شاركوا فى السخرية من غبائه ، باعتبارهم من ألد الأعداء !

وتصور امكان علاج المريض ، بإقناعه أنه ليس غبيا بالمرة ، يعتبر تصورا خاطئا . قد يكون المريض بالفعل على شىء من الذكاء ، وقد يدرك هو هذه الحقيقة ، لكن حالته النفسية تدفعه دفعا إلى ممارسة اللعبة . وعادة ماتكون لدى ممارس لعبة « الغبي » بعض جوانب التفوق ، بأن يكون مثلا صاحب بصيرة سيكلوجية . وليس ضارا أن يحاول البعض ابداء تقديرهم لجوانب

تفوقه . ولكن الأمر هنا يختلف عن المحاولة الفجة . التى تستهدف (تأمينه) ، بإفهامه أنه ليس غيبا بالمرّة . فمثل هذه المحاولة تؤدى إلى سعادة المريض ، عند تحقّقه من أن الآخرين لا يقلّون عنه غباء ! . والمعالج الذى يعتمد إلى « تأمين » المريض كخطوة علاجية ، لا يمكن أن يوصف بالذكاء ، بل يكون عادة ممارسا للعبة « أنا لا أسعى إلا لمساعدتك » .

وكذلك . لا يكون إيقاف لعبة « الغبي » ، بأن تستبدل بلعبة أخرى جديدة ، إنما يكون بالامتناع عن المشاركة فى اللعبة . أما علاج اللعبة فى شكلها الخبيث ، فيكون أكثر تعقيدا . لأن المريض ، فى هذه الحالة ، لا يكتفى باستدرار الضحك والاستهزاء به ، لكنه يحرص على إشعار الآخرين بالضيق والغضب . وهو عادة ما يستثمر هذا الموقف ليعرض تحدّيه قائلا « إذا كان الأمر كذلك .. فافعل شيئا فى حالتى » محققا مكسبه فى الحالتين .

إذا عجز الآخرون عن فعل أى شيء فذلك لأنهم يشعرون حياله بالضيق ، وإذا عجزوا عن فعل أى شيء ، فهذا يعنى إحساسهم بالغضب . ويميل الآخرون فى مثل هذه الحالة إلى ممارسة لعبة « لماذا لا .. نعم ، ولكن .. » ، التى يحصلون فيها على نفس مكاسب اللعبة وبشكل أخف . والحل الحقيقى لمارس اللعبة بهذا الشكل ، لا يمكن أن يتم دون دراسة عميقة للآليات السيكولوجية لهذه اللعبة .

« الساق الخشبية »

يقول منطوق لعبة « الساق الخشبية » ، ماذا تتوقع من رجل يسير على ساق خشبية ؟!.. وعندما توضع اللعبة على هذه الصورة ، يصبح الحل الوحيد هو وضع الشخص في مقعد متحرك ، على أن يقوده بنفسه ، وبدون مساعدة . ونحن نرى في حياتنا اليومية الكثير من أصحاب العاهات الفعلية ، والذين يتجاوزونها ، طامحين إلى ممارسة كافة أوجه النشاط البشرى الطبيعية . لقد كان من بين ضحايا الحرب العالمية الثانية جنديا فقد إحدى ساقيه ، وكانت له بالفعل ساقا خشبية . لكنه اعتاد أن يقدم عرضا مثيرا للرقص العنيف ، يتفوق فيه على الأصحاء . كما أن هناك الكثيرين ممن فقدوا بصرهم ، وصمموا على النجاح في كثير من المهن ، كالمحامية أو النشاط السياسى أو العزف الموسيقى .

وأكثر أشكال اللعبة مأساوية يتحقق في تنوع من تنوعات هذه اللعبة ، يطلق عليه اسم « ادعاء الجنون » ، وممارسى هذه اللعبة يقول لسان حاله : ماذا تتوقعون من شخص على هذه الدرجة من الاضطراب العاطفى ؟!.. ماذا تتوقعون غير قتله للناس ؟!.. ويكون مطلوبا من المحكمين أو المحلفين أن يقولوا : بالتأكيد لا شئ ، يبدو أنه من الصعب أن نمنعك من هذا ... ولعبة « ادعاء الجنون » كلعبة قانونية ، تشيع في أوساط المثقفين الأمريكيين . وهى

تختلف طبعا عن المبدأ المقبول عالميا ، والذي يقول بعدم مسئولية المصاب بأمراض نفسية حادة عن تصرفاته .

وفي حالة لعبة « الساق الخشبية » ، يحسن ألا نتدخل ، طالما أن الشخص يبدى قبولا لعاهته ، سواء كانت حقيقية أم وهمية . أما إذا تقدم للعلاج النفسي ، لابد أن نبدأ في التساؤل عما إذا كان يستخدم عاهته على حساب فرص التقدم في حياته ، أم أنه يحاول الارتفاع فوق مستوى عاهته أو قصوره .

وفي بلد مثل أمريكا ، يكون على الطبيب أن يقوم بعمله في مواجهة ، رأى عام متفلسف واسع . فحتى أقارب المريض ، وأقرب الناس إليه ، الذين يداومون الشكوى من المضايقات التي يصادفونها نتيجة لعاهته ، حتى هؤلاء نراهم ينقلبون على الطبيب إذا تحسنت حالة المريض . وهذا التناقض يفهمه جيدا محلل الألعاب ، لكن هذا الفهم لا يخفف ما يصادفه من مضايقات . أما في حالة الأطباء الذين يمارسون هم لعبة « أنا لا أسعى إلا لمساعدتك » ، فنراهم يظهرون انزعاجا عندما تتوقف اللعبة ، وتحسن حالة المريض . وفي بعض الأحيان يعمدون إلى اتخاذ إجراءات لا يمكن تصديقها ، لإعاقه العلاج .

وقد سبق أن صورنا أطراف هذه اللعبة ، عند حديثنا عن الأنسة (س) ، والعميل المصاب بقصور في النطق ، في لعبة « العاجز » . لقد لجأ هذا الرجل إلى لعبة « الساق الخشبية » ، بشكلها التقليدي . كان في مكانه العثور على وظيفة تناسب عاهته ، إلا أن الوظيفة الوحيدة التي سعى إليها بحماس هي وظيفة بائع ، يكون الكلام عنصرا أساسيا فيها .. هو كمواطن حر ، يكون من حقه أن يبحث عن العمل الذي يعجبه ، لكن تعمدته اختيار وظيفة البائع رغم اعتلال نطقه ، تثير الشك في براءة دوافعه .

أما إذا وقع المريض - لسوء حظه - في طيب نفسي يمارس نفس اللعبة ،
وبنفس ادعاء العجز ، فالعلاج يصبح هنا مستحيلا .
ومن الحالات التي يسهل علاجها ، حالة المريض الذي يعاني « ادعاء
ايدولوجي » ، مثل قوله : ماذا تتوقع من رجل يعيش في مجتمع مثل
مجتمعنا ؟ . وقد مزج أحد المرضى بين هذه الحالة ، وحالة « ادعاء المرض
الجسدي النفسي » ، فيقول لسان حاله : ماذا تتوقع من رجل تظهر عليه
أعراض المرض الجسدي النفسي ؟ . وهو في تروده على عيادات العلاج
النفسي ، يجد من الأطباء من يقرونه على أحد الادعائين ، وربما مع رفض
الادعاء الآخر . وهو يستغل عدم عثوره على الطبيب الذي يقبل الادعائين
معا ، في تنمية القلق الذي يشعر به ، بحيث يخرج آخر الأمر بالحقيقة التي
يسعى إليها وهي أن : العلاج النفسي لا يساعد الناس .
من بين الادعاءات التي يطرحها المرضى لتبرير سلوكهم العارض ،
الإصابة بالبرد ، أو الصداع ، أو مواجهة ضغوط الحياة اليومية المعاصرة .
والمريض المتعلم لا يجد صعوبة في الوصول إلى السلطات التي تحميه ، وتتيح له
مواصلة لعبته . وهو قد يقول : « أنا أدمن الخمر لأنني أيرلندي يعيش في
أمريكا » ، أو يقول : « لم يكن يحدث لي هذا لو أنني أعيش في تاهيتي » .
وهناك بعض الادعاءات الأقل بساطة في تكوينها مثل : ماذا تتوقع من
رجل : (١) نشأ في عائلة مفككة ، (٢) مريض بالاختلال العصبي ،
(٣) يخضع للتحليل النفسي ، (٤) يعاني من مرض يسمونه إدمان الخمر .
وعلى رأس هذه الادعاءات المتحدقة قول المريض : إذا لم أواصل ممارسة
اللعبة ، سيصبح من المستحيل الوصول إلى تحليل دوافعها ، ومن ثم يصبح
علاجي مستحيلا ! .

والوجه الآخر للعبة « الساق الخشبية » يسمى لعبة « الريكشو » ، وهي

العربة التى تستخدم فى نقل الأشخاص باليابان وتعتمد اللعبة على فرض اشتراطات مستحيلة لتبرير مواصلة المرض ويقول لسان حال المريض « لو أننى وجدت عربة ريكشو (أو فتاة شقراء تتكلم اللغة الهيروغليفية ، أو نسيج مصنوع من سيقان النمل) ، لو أننى وجدت هذا فى مدينتى ، لما وصلت حالتى إلى ما هى عليه » .

علاج اللعبة :

وقف لعبة « الساق الخشبية » ليس صعبا ، إذا استطاع الطبيب أن يميز بوضوح بين (الوالد) و (البالغ) فيه هو شخصا ، وإذا كانت الأهداف العلاجية واضحة للطرفين . وهناك احتمالان للعلاج من موقف (الوالد) ، إما بتقمص دور الأب الطيب ، أو الأب العنيف الحشن . الطبيب من موقف الأب الطيب ، قد يقبل ادعاء المرض ، خاصة إذا كانت ادعاءات المريض تتفق مع وجهة نظره الشخصية ، أو تتفق مع نظرية يعتنقها تقول إن المرضى غير مسئولين عن تصرفاتهم حتى يتم علاجهم . أما الطبيب من موقف الأب الحشن ، فهو يرفض ادعاء المريض ، ويدخل معه فى سباق عزيمة وقوة إرادة . وممارس لعبة « الساق الخشبية » ، يعرف كيف يستنبط أقصى متعة ، فى كل من الحالتين .

أما إذا اتخذ الطبيب موقف (البالغ) ، فسيصبح بإمكانه إحباط هاتين الفرصتين . إذا قال المريض « ماذا تتوقع من شخص مصاب بمرض عصبى ؟ » ، أو أى ادعاء آخر ، يكون جوابه « أنا لا أتوقع شيئا ، المهم هو ماتتوقعه أنت شخصا ؟ » . وهدفه من هذا أن يحصل من المريض على إجابة محددة عن هذا السؤال . وهو يتيح فرصة للمريض ، تسمح له بالوصول إلى الإجابة المطلوبة ، وهى تمتد من ستة أسابيع إلى ستة أشهر ، وفقا لمدى فعالية الإعداد الذى خضع له المريض .

الفصل العاشر

الألعاب الطيبة

الألعاب الطبية

الطبيب النفسى ، بحكم طبيعة الجمهور الذى يلجأ إليه ، لا يتعامل - لسوء الحظ - إلا مع الأشخاص الذين قادتهم ممارسة ألعابهم إلى أوضاع معينة . وهذا يعنى أن الألعاب التى تتوفر للبحث العلمى المعملى هى فى مجملها من الألعاب (الرديئة) بشكل أو بآخر . ولما كانت الألعاب ، بحكم تعريفها ، تتضمن تعاملات خفية غير معلنة ، فإنها لابد أن تتضمن عنصرا من عناصر الاستغلال لذين السببين يصعب عمليا ونظريا البحث فى الألعاب الطبية .

يمكن أن نطلق تعبير اللعبة « الطبية » على اللعبة التى تفوق مزاياها الاجتماعية بالنسبة للطرف الآخر مافى دوافعها من تعقيدات . فاللعبة الطبية تحقق وضعاً طيباً بالنسبة للطرف الآخر ، وإمتاعاً لممارسها . لهذا ، يبقى عدد الألعاب الطبية التى تم حصرها علمياً ، محدوداً فى العدد وفى حجم الدراسات التى جرت عليه . والألعاب الطبية التى سنطرحها هى :

- الفارس .
- تسعدنى خدمتك .
- سيسرهم أنهم كانوا يعرفوننى .

« الفارس »

لعبة « الفارس » ، باعتبارها لعبة طيبة ، يكون ماتقدمه من عطاء اجتماعي ، اثقل وزنا من تعقيدات دوافعها .

هذه اللعبة يقوم بها الرجال الذين لا يعيشون تحت ضغوط جنسية ، رجال في مقتبل العمر يرتبطون بزواج ناجح ، أو حتى علاقة نسائية ناجحة ، أو رجال كبار في السن يعيشون في ظل علاقة نسائية وحيدة مشبعة في وقار ، أو يعيشون في حالة عزوية باختيارهم .

عند مقابلة الرجل للأنثى المناسبة ، يبدأ في استغلال كل فرصة للتعلق على خصائصها الطيبة وصفاتها الحميدة . وهو لا يتجاوز بتاتا الحدود اللائقة ، والمناسبة لوضعها في المجتمع ، والمتفقة مع مقتضيات الذوق السليم . إلا أنه داخل هذه الحدود ، يكون مسموحا له أن يطلق أقصى طاقات ابتكاره ، وحماسة ، وأصالته . والرجل بهذا الجهد لا يسعى إلى إغواء الأنثى موضوع نشاطه ، لكنه يسعى إلى استعراض قدراته في فن المجاملة .

المكسب الاجتماعي الداخلي ، يكمن في السعادة التي تنعم بها الأنثى نتيجة لمهاراته الفنية البريئة واستجابتها التي تعبر عن تقديرها لمهارته . وفي بعض الظروف المناسبة ، عندما يكون الطرفان واعيان بطبيعة اللعبة ، قد تمتد مع تصاعد سعادتهما ، إلى حد الإفراط . وممارسة اللعبة المحنك ، يعلم بالطبع متى

يتوقف ، فلا يستمر متجاوزا النقطة التى تفقد فيها اللعبة طرافتها أو التى يتدهور فيها مستوى المجاملات التى يقوم بها . والشعراء غالبا ما يشاركون فى لعبة « الفارس » لمكسبها الاجتماعى الخارجى ، حيث يتمتعهم تقدير النقاد الثقاة والجمهور .

تحتاج المرأة فى تأدية دورها فى هذه اللعبة إلى قدر من الحذقة ، إلا أنها تكون على قدر كبير من الغباء إذا رفضت أن تلعبها . واللعبة المكتملة لهذه اللعبة ، تعتبر أحد تنويعات لعبة « بالله .. كم أنت عظيم أيها الأستاذ » ، وبهذا يكون اسم هذه اللعبة « بالله .. كم أنا معجبة بأقوالك وأفعالك يا أستاذ .. » . وإذا لم يتوفر لدى المرأة الفهم المناسب فقد تستجيب للعبة « الفارس » ، بلعبة « بالله .. كم أنت عظيم أيها الأستاذ » . وهذه استجابة خاطئة ، فالذى يقدمه ممارس اللعبة ليكون موضع الإعجاب ، ليس شخصه ، ولكن أقواله وأفعاله وإنتاجه .

والاستجابة المتوحشة لهذه اللعبة ، تأتى من المرأة المتجهمة ، على شكل لعبة « الاغتصاب » من الدرجة الثانية . وإذا كانت المرأة على درجة عالية من الغباء ، فهى تستجيب لهذه اللعبة بلعبة « الاغتصاب » من الدرجة الأولى ، مسخرة بمجاملات ممارس اللعبة فى تغذية غرورها متناسية أن ممارس اللعبة يتوقع منها إبداء التقرير لجهوده الخلاقة . وفى جميع الأحوال ، تفسد اللعبة إذا ماتصورت المرأة بمجاملات الرجل على أنها محاولة للاغواء ، وليست استعراضا لمواهبه .

تحليل اللعبة :

هدف هذه اللعبة هو الإعجاب المتبادل . وعلى المستوى الاجتماعى المكشوف تجرى اللعبة من موقف (بالغ - بالغ) ، على صورة :
الرجل (بالغ) : انظرى مدى قدرتى على إمدادك بالمشاعر الطيبة ..

المرأة (بالغ) ، حقا .. لقد أسعدتني .
وعلى المستوى السيكلوجي الحقى تكون العلاقة من موقف (طفل - طفل)
على صورة :
الرجل (طفل) : انظرى ، أى تعبيرات بليغة أستطيع أن أصيغ .
المرأة (طفل) : حقا .. أنت خلاق .

« تسعدنى خدمتك »

لاعب هذه اللعبة ، يكون فى خدمة الآخرين بصفة مستمرة ، مع وجود بعض الدوافع الخفية لديه .

قد يكون بهذا مكفرا عن بعض الآثام التى ارتكبها فى الماضى ، أو لتغطية بعض الآثام التى يرتكبها فى الحاضر ، مكونا الصداقات ، ليستغلها مستقبلا ، أو باحثا عن مكانة له بين الناس . وأيا كانت دوافعه ، فلا بد أن نحفظ له فضل تصرفاته وسلوكه مع الناس . فبعض الناس يغطون آثام الماضى ، بأن يكونوا أكثر إثما فى الحاضر ، ويستغلون الناس بالتخويف والإرهاب ، وليس بالتصرف الكريم .

بعض الناس ينصب اهتمامهم على المناسبة أكثر من اهتمامهم بفعل الخير فى حد ذاته . فترى الواحد منهم يقول لصاحبه « إن ماقدمته أنا ، يتجاوز بكثير ماقدمته أنت (من مال أو فن أو هبة أو تبرع) » . وإذا أردت أن تناقش دوافع هؤلاء ، فلا بد أن تسجل لهم فضل التنافس على الأعمال البناءة ، فى الوقت الذى يتنافس فيه غيرهم على الشر والتخريب .

وجميع الذين يمارسون لعبة « تسعدنى خدمتك » ، لهم أصدقاء وأعداء ، وكل من الجانبيين له ما يبرر موقفه . الأعداء يهاجمون الدوافع ويقللون من شأن العطايا ، والأصدقاء يضحمون فضل العطايا ، ويهملون شأن الدوافع ، وقلما نجد

فى مثل هذه الحالة ، ذلك الموقف الذى يتسم بالموضوعية . وحتى الذين يدعون أنهم يتوسطون فى أحكامهم . عاجلا ما يظهرون ميلا إلى أحد الجانبين
هذه اللعبة ، كمنافسة استغلالية ، تعتبر الأساس لقسط كبير من النشاط
المعروف باسم « العلاقات العامة » وخاصة فى بلد كأمريكا . والعملاء ، يسعدهم
عادة الدخول فى هذه اللعبة . ولعلها أكثر الألعاب التجارية إيجابية .
ومن تنوعات هذه اللعبة ، لعبة أخرى تجرى بين ثلاثة أطراف ، وتعتبر من
ألعاب الأسرة أو الألعاب العائلية ، حيث يتنافس الأب والأم حول أيهما أكثر
حظوة عند الابن أو الابنة . وهنا أيضا ، يجدر بنا أن نسجل ما فى ممارسة لعبة
« تسعدنى خدمتك » من جوانب إيجابية . تقلل من شأن دوافعها الخفية ،
فالمنافسة حول حب الأولاد تتخذ فى كثير من الأحيان ، صورا أكثر إيلا ما
للأطراف المعنية .

« سيسرهم أنهم كانوا يعرفوننى .. »

فى هذه اللعبة يبذل الشخص كل جهد للنجاح ، وتحقيق الانجازات الكبيرة ، ليس لمجرد النجاح ولمجرد إثبات القدرة على تحقيق الانجازات ، ولكن ليستطيع أن يردد ممارس اللعبة بينه وبين نفسه بعد ذلك « سيسرهم أنهم كانوا يعرفوننى .. » . والضمير هنا يعود إلى أصدقائه القدامى وزملاء الدراسة ، والهدف هو أن يثبت لهم أنهم كانوا على حق فى معاملته بود واحترام ، وأن رأيهم فيه كان صائبا . ولكى ينجح فى تأمين مكاسبه من هذه اللعبة ، عليه أن يلتزم فى وسائله وانجازاته بالشرف .

وهذا هو بالتحديد مايجعل هذه اللعبة تفضل تنوعا لها باسم « سأريهم ! » . وهذا التنوع من اللعبة ، يتفرغ إلى اتجاهين ، واحد من النوع الهدام ، وفيه (يريهم) ممارس اللعبة بأن يتسبب لهم فى أضرار بالغة . وهو يسعى إلى الصعود إلى مكانة عالية ، ليس بدافع اعترازه بهذه المكانة ، أو استمتاعه بالعائد المالى الذى يتحقق منها ، ولكن لأن هذه المكانة العالية التى وصل إليها تتيح له القوة اللازمة للانتقام من أعدائه القدامى .

أما الاتجاه الآخر الذى يتفرع من لعبة « سأريهم ! » ، فهو من النوع البناء . يعمل ممارس اللعبة بكل جهد ومشقة ساعيا إلى أن يحقق مكانة محترمة عالية ، ليس من أجل تحسين وضعه المهنى (وإن كانت هذه غاية ثانية من غاياته) ، ولا

ليتسبب في إيذاء من ناصبوه العداة قديما ، ولكن ليعث في نفوسهم أحاسيس
الحسد ، والأسف لعدم معاملته معاملة أفضل ، فيما سبق من الزمان .

ولا يمكن دائما النظر إلى هاتين اللعبتين باعتبارهما من الألعاب الخفية ، فمن
الممكن أن نعتبرهما نواتج ثانوية للنجاح ، أكثر منها ألعاب . ولا يتحولان إلى
لعبتين ، إلا عندما يصبح اهتمام اللاعب بتأثيره على أصدقائه أو أعدائه القدامى ،
أكبر من اهتمامه بالنجاح نفسه .

الفصل الحادى عشر

العباب يمارسها الأطفال

ألعاب يمارسها الأطفال

شخصية الطفل ، ووظائفه العاطفية ، هي نتاج تعاملاته مع الأشخاص المهمين في حياته . فهو يمكن أن يشب واثقا من نفسه أو خائفا ، إيجابيا أو سلبيا ، متوازنا في عواطفه أو مضطربا ... يكون هذا أو ذاك وفقا لما يجري بينه وبين والديه ، وباقي أفراد أسرته ، والقربين منها ، من تعاملات وعلاقات متبادلة . ومن الثابت أن ماضي الطفل وحاضره ، يصنعان مستقبله . وأنماط الشعور والتفكير والسلوك التي زرعت فيه خلال سنوات تشكله الأولى ، تظل باقية معه ، ممتدة من طفولته إلى مراهقته إلى بلوغه . ومن الممكن أن تبقى معه ، وتنعكس على تربيته لأبنائه .

ويحدد دكتور تشابمان ، في كتابه « ألعاب يمارسها الأطفال » ، سبعة عناصر أساسية ، يجب أن ننتبه إليها في تعاملاتنا مع الطفل ، وتعاملاتنا في وجوده ، حتى لا نترلق إلى أخطاء تؤثر تأثيرا ضارا ودائما على الصحة النفسية للطفل وهي : الوعي والادراك ، وتكوين صورة الذات ، والتعبير عن المشاعر ، ووضوح الهوية ، والضيق أو القلق ، وإشباع الحاجات ، والميل نحو الموقف الصحي .

الادراك الواعي :

كلما جرت تعاملات الشخص مع الآخرين خارج نطاق الإدراك الواعي ، كلما زاد احتمال ظهور المزيد من أنماط التعامل الضارة ، والتي تتحول إلى ألعاب خطيرة ، إذا ما تكرر الالتجاء إليها .

لكى نفهم هذا ، سنطرح مثالا لتبادل التعامل بين الأم وابنها مجدى ، البالغ من العمر أربعة أعوام .

الأم : هل أنت الذى ألقيت السكين داخل مهد أختك الصغيرة ؟ .

مجدى : لا ..

الأم : بل فعلت ذلك .. إذا لم يكن أنت ، فمن غيرك ؟ ، ألا تعلم أنك قد تؤذيها بهذه الطريقة ؟ .

مجدى : أنا لم أفعل ذلك .

الأم : من الذى فعله إذا ؟ .. كان من الممكن أن تقتل أختك ، ماذا يكون شعورك لوحدث هذا ؟ .

مجدى : ربما ألقى السكين فى سريرها شخص آخر .

الأم : من ؟ .. قل لى من ؟ .. أنت تكذب .

مجدى : لكنها لم تصب بسوء ..

الأم : إذا ، فأنت تعترف بأنك ألقيت السكين فى مهدها ..

مجدى : لا .. لم أفعل ذلك .

الأم : انتظر حتى يحضر والدك . سأخبره ، وستنال عقابك عندما يعلم بما

فعلته . وسأخبره عن اصرارك على الكذب .

مجدى : لقد ضربتنى ! ..

الأم : كيف يمكن لرضيع أن يضربك ؟ .. ها أنت تكذب مرة ثانية .

مجدى : لا .. أنا لا أكذب ..

فى هذا التعامل ، لا الأم ولا الابن ، يدركان إدراكا واعيا ، الموضوع

الأساسى .

الأم تؤنب مجدى وتهده ، وهو يكذب ويصبح خائفا مهتر الشخصية ،

لكن المشكلة الأصلية لم تجد حلاً لها . وإذا تكرر هذا التعامل بين الأم ومجدى

كثيرا ، فقد يتطور إلى نمط خطر في التعامل ، وتتأسس اللعبة .

أما إذا كان قد توفر للأم الإدراك الواعي بالموضوع الحقيقي الذي يحرك مجدى ، فإن الحوار بينهما كان سيأخذ شكلا مختلفا ، أكثر سلامة وصحة . مثل :
الأم : لقد رمى أحدهم سكيننا في سرير أختك ، ولما كنت أنا وأنت وحدنا في البيت ، ولما كان السكين غير موجود منذ عشر دقائق ، فلا بد أنك فعلت هذا .

مجدى : لقد ضربتني .

الأم : هذا مجرد لغو ، وأنت تعلم ذلك ، لكننا لن نمضى في هذا الآن .
الموضوع الأساسى هو أنك تخشى أن تفقد حبي وحب والدك ، بعد مجيء أختك الصغيرة ، لذلك فأنت غاضب عليها .

مجدى : أريد أن أعرف ، ماهى حاجتكما إليها ؟ .

الأم : نحتاج أن نحبها . أنت الآن من الأشخاص الكبار في الأسرة . وكما نحبك أنا ووالدك ، وكما أن حبنا لك لم يقل عن ذى قبل ، فعلينا نحن الثلاثة أن نحب الطفلة الصغيرة . ولأنك أصبحت من الكبار ، فلا بد أن تساعدنا في رعايتها والعناية بها .

مجدى كيف ؟ .

الأم : احضر هذه الدبة التى أهدتها إليها عممتك ، وضعها إلى جوارها في السرير . قد لا تعرف في سنّها الصغيرة هذه ماهى الدبة ، لكنى اعتقد أنها ستعجب بالفراء وبالعينين الزجاجيتين اللامعتين .

مجدى : سأضع الدبة في سريرها .

الأم : شكرا يا مجدى .

في هذا التعامل ، كانت الأم مدركة إدراكا واعيا ، السبب في قلق مجدى ..
لقد شرحت له بوضوح وصراحة ، مما جعله هو الآخر مدركا للحقيقة دوافعه .

فالأغلب أن مجدى لم يكن يدرك بطريقة واعية ، مشاعر فقدان الأمان ، التى أثارها مولد الأخت الجديدة .

لقد حرصت الأم على طمأنة مجدى ، وتبديد مخاوفه ، وحددت له دورا ازاء الطفلة بعيدا عن مشاعر التنافس . باعتباره (أبا آخر لها) ، وهكذا حولت التعامل الحقيقى لمجدى إلى نشاط صحى .

تكوين « صورة الذات » :

العنصر الثانى هو تكوين « صورة الذات » . فكل واحد منا ، يحمل داخله صورة عن نفسه ، يؤمن بأنها واقعية . وهو قد يتصور نفسه قادرا أو غير قادر ، مفيدا أو بلا نفع ، محبوبا أو مكروها ، وسيما أو قبيحا . يطلق علماء النفس على هذه الصورة تعبير « صورة الذات » ، ويكون لها تأثير كبير على تعامل الشخص مع الآخرين .

صورة الذات الزائفة ، يمكن أن تجلب الكثير من المتاعب على الشخص . وأهم عامل فى تكوين صورة الذات ، هو المواقف التى يتخذها الوالدان والقريبون من الأسرة ، تجاه الطفل ، خلال سنوات تكونه الأولى . للتدليل على ذلك ، دعنا نطرح نموذجا للحوار الذى يمكن أن يدور بين أم وابنتها (نادية) التى تناهز الخامسة من عمرها .

الأم : من الذى سكب مسحوق صابون الغسيل فى انحاء المطبخ ؟

نادية : لا أعلم ..

الأم : بل أنت التى فعلت ذلك .. انظرى ، مازال المسحوق لاصقا بأصابعك .

نادية : يبدو أننى فعلت ذلك ..

الأم : أنا أعلم لساعة كاملة فى تنظيف المطبخ ، ثم تأتين أنت لتفسدى كل

شيء ، وتضيعى نتيجة عملى ..

نادية : آنا آسفة ..

الأم : ومافائدة هذا ؟ .. أنت بنت سيئة ، لاتهتمين إلا بعثك ولعبك .

نادية : لن أفعل هذا ثانية .

الأم : نفس ماتقولينه دائما ، وأنت تقولينه ولكنك لاتعنين تنفيذه . ستظلين

هكذا بلا فائدة ، وستبقين طوال حياتك مبعثا للفوضى ، فى أى مكان تحلين فيه .

نادية : سأبذل جهدى لتجنب هذا ...

الأم : أنت أنانية وناكرة للجميل . أنا ووالدك نعمل من مطلع الشمس حتى

غروبها ، لكى نجعل هذا البيت يبدو جذابا . وتجيئين أنت لتفسدى كل شيء .

فى هذا الحوار . نسيت الأم بسرعة موضوع الحديث ، وهو مسحوق الغسيل

المشور فى انحاء المطبخ ، وانصرفت إلى تعديد النواقص التى تراها فى شخصية الطفلة ، مخربة أنانية غير نافعة .

والآن ، دعنا نستعرض النموذج الصحى ، البديل للتعامل السابق ، والذى

لايشوه لدى الابنة « صورة الذات » .

الأم : أنظرى إلى المسحوق المشور فى انحاء المطبخ ، علبة المسحوق ليست

لعبة ، وليس المفروض أن تلعبى بها .. وأنت تعرفين هذا .

نادية : أنا آسفة .

الأم : وأنا غاضبة .. ومن حقى أن أغضب ، فقد أمضيت ساعة داملة فى

تنظيف المطبخ .

نادية : لن أفعل ذلك ثانية .

الأم : أنت يانادية بنت طيبة ، لكنك فعلت شيئا خاطئا ، عندما عبثت

بصندوق مسحوق الصابون ، ونثرته على الأرض .

نادية : سأقوم بتنظيف المطبخ من هذا المسحوق .
الأم : عظيم .. وأرجو أن تنجحى فى ذلك . سأعود بعد خمس دقائق لأرى
ماذا تم .

فى هذا الحوار تلتزم الأم بالموضوع الأساسى . قامت بتوضيح سوء تصرف
نادية ، ثم أوكلت إليها إصلاح غلطتها . إنها هنا تتقد التصرف ، وليس الطفلة ،
وبذلك تتعامل مع المشكلة دون أن تفسد « صورة الذات » عند نادية .

الأصل هو النمو السليم :

ننتقل من هذا إلى عنصر التعبير عن المشاعر .
المفروض أن يكون الطفل قادرا على التعبير عن مشاعره ، رغباته وغضبه
وخوفه ، إلى آخر ذلك ، بطريقة يقبلها مجتمعه . وإذا دفع الوالدان طفلها إلى
كبت غضبه دائما ، أصبح الطفل قلقا مكتئبا ، وقد ينعكس هذا على صحته
البدنية .

ومن العناصر الهامة فى تكوين الطفل ، قدرته على الانتماء إلى نموذج والديه .
عندما تكون العلاقة بين الأب والأم طيبة ، فإن هذا يتيح للابن أن يتبنى
نموذج الأب ، ويجد نفسه فيه . ولكن عندما تسوء هنا العلاقة ، فالأغلب أن
يتبنى الطفل سيئات الأب .

والقلق من الظواهر الشائعة عند الأطفال ، قد يتسبب فيه سلوك خشن من
أحد الوالدين ، أو قيام أحد الوالدين بحجب مشاعر الود والحب عن الابن .
ومشاعر القلق هذه ، يمكن أن تلاحق الطفل فى مراحل عمره التالية ، فتفقده
القدرة على التعامل مع الآخرين .

والأمان ، هو البديل الصحى للقلق . وهو يتوفر من خلال التعاملات
الصحية الخالية من التوتر ، ومن خلال وضع الحدود المعقولة لما هو مسموح ،
وما هو ممنوع .

وتلبية الاحتياجات الخاصة للطفل ، من العناصر الهامة في تكوينه . ففي مجال الطعام مثلاً ، عندما يتزايد احساس الجوع عند الطفل فإنه يبكي فتتنبه الأم وتلبي حاجته . وحاجة الطفل إلى الطعام ، هي حاجة مزدوجة بطبيعتها ، فهو يحتاج إلى أكثر من مجرد السعرات التي يوفرها الطعام . إنه يحتاج إلى رقة ورعاية وعطف الأم . وبغير تلبية هذه الحاجة العاطفية ، ينمو الطفل شاعراً بالوحدة ، مما يؤثر على علاقته بالآخرين طوال حياته .

ومن المعروف أن الإنسان في نموه ، يكون أميل إلى أن ينمو سليماً صحيحاً ، ما لم تقم في طريق ذلك عقبات مصنوعة ، أو يحدث تخريب في علاقاته البشرية التي يتبادلها مع الآخرين . أى أن الأصل هو الصحة . ويعتبر هذا عنصراً إيجابياً في نمو الطفل ، يساعد الوالدين في مهمتها .

ومن القواعد الثابتة نفسياً ، أن الحادثة الوحيدة لا تحدث تخريباً في شخصية الطفل ، لكن الخطبات اليومية المتكررة ، الناتجة عن علاقات غير صحية ، هي التي تؤدي إلى تخريب شخصيته .

ظهور الألعاب الخفية :

عندما يفشل الوالدان في توفير العناصر السبعة التي أشرنا إليها ، وعندما تتكرر التعاملات الخاطئة ، تنشأ المناورات الضارة ، أو ما يطلق عليه خبراء تحليل التعامل اسم « الألعاب » . فالإنسان يلجأ إلى هذا الطراز الثابت من التعاملات ، بطريقة لا شعورية ، عند الفشل في تحقيق التعامل الصحي . واللعبة التي يتعلمها الطفل في صغره ، تمضي معه في مراحل ومجالات حياته التالية ، مثيرة له المشاكل .

وسنقدم فيما يلي عدة نماذج من الألعاب التي يمارسها الأطفال ، نتيجة لأخطاء في تعامل الوالدين ، والتي يظل الطفل محتفظاً بها باقى أيام حياته .

القفز على الحبلين

في هذه اللعبة يستغل الطفل أحد الوالدين في السيطرة على الآخر .
تم هذه اللعبة عندما يفتقد الطفل ، أى علاقة سليمة ، بأى من الوالدين .
وفي النموذج الذى نقدمه لهذه اللعبة ، تكون البطلة هي الابنة « سهام » .
بدأت سهام ممارسة لعبتها ، بين الثانية والثالثة من عمرها . رغم أن الآباء
والأمهات غالبا ما يقللون من قدرة الطفل على القيام بالمناورات في هذه السن
الصغيرة . علما بأن الثابت ، هو أن الذكاء الأساسى للشخص يكون في الثالثة كما
هو في الحادية والعشرين . تزداد حصيلته من المعلومات ، وتنمو قدراته ، لكن
« معامل الذكاء » يبقى ثابتا .

والعديد من صغار الأطفال يبدون قوة ملاحظة حادة تجاه من حولهم من
اشخاص . قد لا يستطيعون صياغة ملاحظاتهم هذه في كلمات ، أو أن ينظموا
أفكارهم عن حولهم في نسق منطقي ، لكن قدراتهم على استغلال ملاحظاتهم
حول « الألعاب » تبقى على مستواها ، في الثالثة كما في العاشرة ، كما في العشرين
من العمر .

متى تبدأ اللعبة :

ساعدت شخصية كل من الوالدين على ممارسة سهام للعبة « القفز على
الحبلين » . فقد كانت أمها سلبية ، تعاني من شعور مرضى بالذنب كلما ثار

غضبها ، حتى لو كانت محقة في غضبها ، بالاضافة إلى شعورها بالقلق ، إذا ما غضب منها الآخرون . ومرجع ذلك ، إلى ما لقيته من والديها المسيطرين ، في طفولتها .

كانت الأم في بداية الأمر حازمة مع سهام ، عندما لم يكن أبوها يتدخل . وكان والد سهام رجلا عدوانيا وحنونا في نفس الوقت . وكانت سيطرته تتسع لتحتل الأرض التي كانت الزوجة تتخلى عنها بسليبتها . وكان زواجها سعيدا ، رغم ذلك ، حتى بدأت سهام تمارس لعبتها .

عرفت سهام منذ البداية أن حزم الأم في تقييد تصرفاتها ، يمكن التخلص منه ، بملاحظة حادة من الأب يوجهها إلى الأم . وهكذا أصبحت سهام ماهرة في تحريك حدة طبع الأب للسيطرة على الأم . إذا كانت سهام مع أمها فقط في البيت ، وضربتها على كفيها عندما فتحت الأدراج وأخرجت مافيا ، رغم تحذير الأم السابق بالامتناع عن ذلك . بكت سهام لعدة دقائق ، ثم توقفت عن البكاء ، وعادت إلى الانشغال بشيء آخر .

لكن إذا ما حدث هذا في وجود الأب ، تعدو سهام باكية صارخة نحو أبيها ، وتتعلق بساقيه ثم يدور التعامل التالي بين الوالدين وسهام ، أو تنويع آخر من التنويعات العديدة لهذا التعامل .

الأب : (لسهام) ماذا جرى يا حبيبتي ؟ .. (للأم) منيرة .. ماذا جرى لسهام ؟ .

الأم : لقد فتحت الصوان الذي نحفظ فيه بأطباق الصيني الثينة . وعندما منعنا من ذلك بدأت في البكاء .

(هنا تمد سهام يدها نحو أبيها ، وتبكي بحرقة) .

الأب : (يجتد طبعه نتيجة لبكاء سهام) لا بد أنك عدت إلى ضربها ! .

الأم : لطمتها برقة على كفيها .. هذا هو كل ما حدث .

الأب : (يشعر بالضيق ، وتثور حدة طبعه نتيجة لتردد الأم وسليبتها) وهل تسبب اللطمة الرقيقة كل هذا البكاء ؟ ينخل إلى يامنيرة أن هناك طريقة أكثر تحضرا للتنبيه على الطفلة بعدم فتح الصوان .

الأم : أنا آسفة ، لكن الذى حدث هو ...

الأب : (مقاطعا) ألاحظ أن هذا يتكرر كثيرا فى البيت .. لا أريد ابنة تخاف والديها ، أو يواجه فضولها الطبيعى بإحباط وقع ولطم .. كل هذا لأنها قامت بعمل عادى من أعمال الطفولة المعقولة .
الأم : أنا آسفة .

الأب : (لسهام) أرينى كفك يا حبيبتى .. هيا اذهبى مع والدتك إلى المطبخ ، لتقدم إليك شيئا من الحلوى .

(هنا .. تتصاعد صرخات سهام ، وتتشبث بساق والدها بشكل أشد) .
الأب : (للأم) انظرى كم هى خائفة . يجب أن تتوقفى عن ضرب الطفلة يامنيرة (هنا يبدو الأب شديد الاستياء) لدى مايكفىنى من المشاكل فى عملى طوال اليوم . عندما أعود إلى البيت أحاول أن أستريح قليلا ، فأجد هذه المشاكل التى تثيرينها فى وجهى .

حقيقة ماجرى :

عند هذا الحد ، تكون سهام قد أدركت (شعوريا أو لا شعوريا) أن أمها قد لقيت التقريع والتأنيب الكافيين ، وأن الأب قد قام عنها بما كانت تحب أن تقوم به ، وأنها قد دفعت الأب إلى غاية مايطيق .

إنها تعلم الآن أن اللعبة قد تمت بنجاح ، فيتوقف البكاء ، حتى تشعر الأب أنه « صانع السلام » فى البيت ، وتمسح دموعها ، وتنصرف متقافزة إلى المطبخ ، متأكدة من أنها تستطيع أن تفعل ماتشاء ، دون أن تقف أمها فى سبيلها .

لقد دفعت أمها إلى حالة من الشلل ، وسيطرت على والدها . وان كان أى من الأطراف الثلاثة لم يفهم حقيقة ماجرى .. لقد نجحت لعبة « القفز على الحبلين » .

اللعبة مشروع للمستقبل :

عندما تكبر سهام ، يتغير أسلوب اللعبة ، وتبدل تفاصيلها ، لكن النمط والتابع الأساسى يبقى على حالة .

وعندما تبلغ سهام العاشرة من عمرها ، يكون هذا النمط من التعامل قد تأصل فيها .. تعتمد على انفجاراتها العصبية فى إرهاب أمها ، كما تعتمد على شهيقها وانكسارها المحسوين فى السيطرة على أبيها .

وما أن تصل سهام إلى سن المراهقة ، حتى تكون طرقها فى التعامل مع الرجال والنساء قد تحددت . فتمضى فى ممارسة لعبة « القفز على الحبلين » بشكل أو بآخر ، وبتنوعات عديدة ، وفقا للمواقف ، وطبيعة المساهمين فى اللعبة . وهكذا تتحول سهام إلى فتاة متحدية للنساء مكروهة دائما منهن ، ساحرة خلابة مع الرجال ، تستغلهم فى تحقيق أهدافها .

بهذا ، يستحيل على سهام الشابة أن تنشئ علاقة سوية مع الآخرين . لأن « اللعبة » تتدخل دائما لإفساد أى علاقة . وعندما يكتشفها المحيطون بها ، ويرفض الجميع المساهمة فى لعبتها ، يصيبها الرعب والقلق ، فتميل إلى ممارسة اللعبة بشكل أشد عنفا ، حتى تتخلص من قلقها ، وحتى تحقق لنفسها الحد الأدنى من الأمان العاطفى .

«التلطيح بالوحل»

من بين المناورات الضارة التي قد تفرضها الأم - دون أن تدري - على طفلها الصغير. فتصبح خطة ثابتة في تعامله مع أفراد العائلة ، ثم تصبح بعد ذلك خطة للتعامل في حياته المقبلة ، مناورة «التلطيح بالوحل» . وهي تعتبر - شأنها شأن غيرها من المناورات الضارة - شكلاً فاشلاً من أشكال التعامل ، لا بد من الانتباه لها ، والاسراع بالتخلص منها .

والإحساس بالذنب يزرع في نفس الشخص إحساساً دائماً بالقلق ، وهو إحساس موحش مصحوب بمشاعر الفشل وفقدان أى قيمة للحياة . والآلام الناشئة عن الاحساس بالذنب تؤثر على العديد من التصرفات البشرية . وقد يستخدم الشخص إحساسه بالذنب كأداة للتحكم في الآخرين . وتلجأ الأم في بعض الأحيان إلى استخدام الإحساس بالذنب لإفراغ طفلها ، وارغامه على الخضوع لها ، والامتثال لأوامرها . وهكذا يشب الطفل وسط عاصفة من عبارات التأييب .. «أفعالك هذه تصيبني بالصداع ..» ، أو «هل تريد أن تهدمى هذا البيت بالمشاكل التي تثيرينها بيني وبين والدك؟ ..» ، أو «احترس .. انت متصيب اختك بعاهة مستديمة إذا ما مضيت تضرها بهذه الطريقة ..» ، أو «أنت ولد شرير ، وسيعاقبك الله على ما تسببه لى من معاناة» .. إلى آخر هذه الاتهامات المؤلمة .

مناورة تلطيف الطفل بالوحد واشعاره بالذنب عن طريق إلقاء اللوم عليه ، غالباً ما تحقق غرضها ، وترغم الطفل على أنماط السلوك التي تطلبها منه والدته . ومع ذلك ، فإن استخدام هذا التكتيك كل ساعة وكل يوم في تربية الطفل ، غالباً ما يصيبه بالقلق ، ويجعله رازحاً تحت أعباء الذنب ، مما يعرضه لأنواع متعددة من المصاعب العاطفية ، التي تلاحقه حتى بعد بلوغه .

ظاهرة تعاملية :

والإحساس بالذنب ، ظاهرة تعاملية ، أى أنه لا يحدث للشخص فيما بينه وبين نفسه ، لكن الشخص ينمي في نفسه لأن شخصاً آخر يفرضه عليه .

وبمجرد أن يتأسس الإحساس بالذنب في شخص ما ، فمن الممكن أن يصبح صفة لصيقة بشخصيته . فالإحساس بالذنب الذي ينشأ نتيجة للتعامل مع شخص آخر أو مع أشخاص آخرين ، يمكن أن يتحول صفة خاصة ثابتة ، بحيث يحمل الشخص ذنبه هذا ، وهمومه من جراء ذلك الإحساس بالذنب ، إلى كل علاقة بشرية جديدة يمر بها . فالشخص الذي زرعت في نفسه مشاعر الإحساس بالذنب خلال سنوات طفولته ، يميل إلى الإحساس بالذنب عندما تنشأ مشاكل في حياته الزوجية ، أو في عمله ، أو بين أصدقائه ، أو غير ذلك من احتكاكاته بالآخرين .

وهو في كل مرة يسأل نفسه السؤال الخاطئ « ما هو يا ترى الخطأ الذي ارتكبته ؟ » ، بدلاً من أن يسأل نفسه « ما هو الخطأ في العلاقة التي بيني وبينه ؟ » . والسؤال الأول خاطئ لأنه عادة ما يمنع الإنسان من حل مشاكل تعامله مع الآخرين ، باعتبار أنه هو مصدر الخطأ المجهول . فالمشاكل غالباً ما يكون مصدرها كل من طرفي العلاقة ، وربما يكون مصدرها الطرف الآخر بشكل أساسي .

«توازن القوى»

فى الأسابيع والشهور الأولى من حياة الطفل ، لا يستطيع أن يميز بين «أنا» و «الآخرين» و «العالم من حولى» . إنه يعيش فى محيط متدفق من الأحاسيس المختلطة المتلاطمة . ثم يبدأ - بالتدريج - فى اكتساب إدراك لنفسه كشخص منفصل عن بيئته .. وأول شخصية تبرز له من وسط الضباب ، هى الأم ، أو الشخص الذى يحل محلها فى ذلك الوقت . وإدراك الطفل لأمه ، كمصدر راحة أو ألم ، يؤثر إلى حد ما فى علاقاته مع البشر الذين يتصل بهم فى حياته المقبلة .

وإذا كان الشائع أن عنصرى الغريزة والوراثة هما أكبر مؤثرين على كيان الطفل ، فالثابت أن أثر خبرات التعامل فى الطفولة يكون على درجة من القوة ، مما يتجاوز أثر الغريزة والوراثة .

وهناك بعض المناورات المقتضبة التى تجرى بين الطفل ووالديه ، والتى لا تدوم لأكثر من عدة ساعات أو عدة أيام ، وهذه لا تكون ضارة ، وإن كانت تسبب قدراً من التعاسة أثناء ممارستها . إلا أن ما نركز عليه هنا ، هو المناورات الضارة ، طويلة المدى ، التى تجرى بتصميم وإصرار وروح قتالية بين الأطراف المعنية ، وهى التى تصوغ شخصية الطفل على مدى حياته .

السيادة لمن ؟ :

في سن مبكرة ، يعلم الطفل أن لديه قدرًا معينًا من القوة وإمكانية السيطرة . وحتى وهو بعد في سنوات الطفولة المبكرة يشعر أن البكاء يجلب إليه الطعام ، أو يوفر له ما يحتاجه من ههددة وربت وتمسيد ، وأن الرفض والصراخ يرغمان الأم على تلبية حاجته . وهكذا ينمو - ببطء - نوع من توازن القوى بين الأم وطفلها ، ويتواصل خلال مرحلتى الطفولة والمراهقة .

المفروض في توازن القوى هذا ، ألا تكون السيادة المطلقة للأم أو للطفل . فالأم التي تهرب طفلها بالصياح أو العبوس غالبًا ما تحظى بطفل رعديد أو متمرّد . والطفل المنطلق العفوى الذي لا يشعر بأى قيد ، ويحظى بالسيادة الكاملة في توازن القوى هذا ، يفشل في التعامل مع المحاظير العديدة التي يضعها المجتمع للناس .

الأم تكون قادرة على إرضاء الطفل وتغذيته ، بإطعامه في الوقت المناسب ، وتكون قادرة على عدم القيام بذلك . وهذا ينعكس بعد سنوات قليلة على الطفل ، الذي إمّا أن يحافظ على أثاث البيت ، أو يعتمد إلى تحطيمه وتخريبه . المهم أن ذلك يحدث في أغلب الأحيان وليس لدى الطفل أو الوالدين ادراك واضح بسبب هذه التصرفات .

من نماذج المناورات الضارة التي تعلمها الأم لطفلها مناورة «توازن القوى» .

أين الخطأ ؟ :

بدأ الطفل هشام يمارس هذه المناورة قبل أن يبلغ الثالثة من عمره ، فقد شعر أن الصياح الموقوت من جانبه ، يريك أمه ويحيرها ، ويضعه في مركز قوة . ولأن الأم لا تدرك بشكل واع دخولها في هذه المناورة ، فعند كل ثورة

غضب يديها هشام ، تظل تفكر مهمومة « ما هو الخطأ الذى ارتكبته يا ترى فى حق هذا الطفل ؟ » ..

هذا السؤال - فى حد ذاته - خطأ ترتكبه الأم . وكان الأجدر بها أن تسأل نفسها « ما هو الخطأ فى العلاقة التى بينى وبين هذا الطفل ؟ » .
التساؤل الأول يستهدف شخص الأم ويركز عليها ، رغم أن الإجابة عليه لا تكون فى يدها وحدها .. والتساؤل الثانى ، ينصب على الهدف السليم ، أى العلاقة بين الأم وهشام ، حيث تكمن المشكلة .

إذا ما واصلت الأم ترديد السؤال الأول ، موجهة اللوم إلى نفسها ، شاعرة كل مرة بالفشل ، فسيقود هذا إلى استسلامها . وعندما يبلغ هشام الخامسة من عمره ، يكون قد اكتسب قدرًا كبيرًا من السيطرة على أمه ، وممارسة قوته عليها . وتعتمد مناورته المتكررة مع أمه على حركتين أساسيتين :
١ - سلوك عدوانى ، لفظى أو مادى ، عندما يسعى للحصول على شيء .
٢ - التوقف عن هذا السلوك عندما يحصل على بغيته .

تهديد مع وقف التنفيذ :

عندما يصل هشام إلى سن الدراسة ، يتوقف عن الصراخ وعن تحطيم أثاث البيت ، وتتحول مناورته إلى مناورة كلامية خالصة .. وهى تجرى على مثل هذا النمط التالى :

الأم : هشام .. كفاك ههؤا فى الحديقة .. ادخل واغسل وجهك ويديك .

هشام : إننى مازلت أريد أن أواصل لعب الكرة .

الأم : سيصل والدك بعد قليل .. أرجوك ادخل ..

هشام : ليس الآن .. لم أنته من لعبى بعد .

الأم : (بصوت مرتفع) هيا يا هشام .
هشام : لماذا تصيحين ؟
الأم : أنا لا أصيح .. أنا فقط أطلب منك أن تدخل ..
هشام : ها أنتى تصيحين مرة ثانية .
الأم : الساعة تقرب من الثانية يا هشام .. ادخل .
هشام : أنت دائماً تفسدين متعتى بما أفعله .
الأم : (بتهديد ضعيف ، تعرف هى وهشام مقدماً أنه لن يوضع موضع التنفيذ) ادخل حالاً .. وإلا سأتى وادخلك قسراً ..
هشام : (مواجهاً التهديد الزائف) لن أدخل .. لازال هناك بعض الوقت لكى ألعب بالكرة ..
الأم : أرجوك يا هشام .. استجب لكلامى .
هشام : سأنهى من اللعب بعد ربع ساعة ..
الأم : (وهى تعود منهزمة إلى داخل البيت) سيكون والدك قد حضر .

ضوابط المجتمع :

هذه المناورة تكشف عن تشوه فى علاقة الأم بابنها ..
فالأم ، بالإضافة إلى الحب والتفهم الذى تبديه نحو طفلها ، يجب أن تكون قادرة على أن تضع له حدوداً معقولة ، وتصر على التزامه بها . وبهذا يشب الطفل قادراً على التكيف بسهولة مع الحدود والضوابط العديدة التى يضعها له المجتمع .

فالمجتمع يطلب من الشخص ، مثلاً ، أن يقف بسيارته عندما تصبح إشارة المرور حمراء ، وأن يدفع الضرائب التى تستحق عليه فى مواعييدها المعينة ، وأن يتواجد فى عمله فى أوقات محددة . والشخص لن يتمكن من

الوفاء بذلك وبغيره ، إذا لم يتم داخل نفسه القدرة على فعل ذلك في علاقات التعامل مع الآخرين في سنوات طفولته ومراهقته .. في المرحلة التي تتشكل فيها شخصيته .

نحن نحبك .. ولكن :

دعنا الآن نتصور الطريقة المثلى التي تواجه بها الأم لعبة توازن القوى ، عندما يمارسها معها الابن .

الأم : هشام .. كفاك لهواً في الحديقة .. ادخل واغسل وجهك ويديك .

هشام : إننى مازلت أريد أن أواصل لعب الكرة ... (وحتى يقول) لماذا تصيحين؟

(عند هذه النقطة ، يجب أن تسأل الأم نفسها السؤال الصحيح «ما الخطأ في العلاقة التى بينى وبين هشام؟» .. ومن ثم تستطيع أن تصل إلى الإجابة الصحيحة «إنه يحاول أن يستعرض قوته علىّ ، وأنا بذلك أتعرض لإكراه تحت التهديد»).

الأم : اسمع يا هشام ، لقد حان وقت الغداء ، عليك أن تدخل لتغتسل قبل أن يصل والدك .. هيا ادخل .. الآن ..

هشام : أنت دائماً تفسدين متعتى بما أفعله ..

الأم : (جادة هذه المرة) ادخل الآن ، وإلا ادخلتك قسراً ..

هشام : (متحدياً) لن أدخل .. ليس الآن .. أنا سأستمر فى ...

(تجذبه الأم فوراً من ذراعه ، وتدخل به ، ثم تغسل له وجهه ويديه ،

فيبدأ هشام فى البكاء والصراخ ..).

الأم : اذهب إلى حجرتك حتى تنتهى من هذا البكاء والصراخ ..

واغلق الباب خلفك جيداً ، حتى لا تزعج أحداً بصياحك هذا .. نحن نحبك يا هشام . لكننا لا نفيدك إذا ما تركناك تفعل ما تريد . وتبكي وتصرخ عندما تفشل في ذلك ..

هشام : انتظري حتى يأتي أبي ..

الأم : لن يفيدك هذا أيضاً .. لقد تحدثنا والدك وأنا في هذا الشأن ليلة البارحة . ولن يستجيب أي منا لصياحك هذا ..

هشام : (حائراً لإفساد مناورته) - ماذا تقولين؟! .

الأم : (بحزم) لقد سمعت ما قلته .. ادخل إلى حجرتك حتى استدعيك لتناول الغذاء ..

«الابـتـراز» ..

بعد سنتين من مولد الطفل تنهى فترة اعتماده الجسدى الكامل على أمه ، وهذا تتزايد أهمية دور الأب . وعندما يصل الطفل إلى الثالثة أو الرابعة من عمره ، يصبح دور الأب مساوياً لدور الأم فى التنمية العاطفية التى يحتاجها الطفل .

فى السنة الأولى ، أو السنتين الأولتين ، يمارس الأب تأثيره على الطفل بشكل غير مباشر ، من خلال الأم . فالأب إذا ما وفر لأم حياة زوجية دافئة آمنة ، انعكس هذا على علاقتها بالطفل . أما بعد أول سنتين من حياة الطفل ، فتصبح العلاقة المباشرة للأب بطفله عاملاً حاسماً فى تكوين أنماط تعامل الطفل مع الآخرين ، وقد تدفعه إلى ممارسة نمط من الألعاب الضارة بالذات .

الطفل الذى يواجه بأب بارد العاطفة ، رافض للتعامل ، قد لا يكون فى مقدوره مواجهة هذا الوضع المؤلم ، فيهرب إلى عالم أحلام اليقظة الزائفة ، التى تساعد برغم ذلك على تحقيق قدر من الراحة والتعويض ، فيتصور والده شخصاً طيباً قوياً يحبه كل الحب ، لكن لا يجد الوقت الكافى الذى يمضيه معه . إذا بقيت عادة الهرب إلى أحلام اليقظة مع الطفل فى مراحل تالية ، ولم يستطع أن يلجمها ويوجهها وجهة نافعة ، فإن ذلك يعقد علاقاته بالآخرين .

ومن الألعاب المضارة التي يغرسها الأب . لاشعوريًا . في حياة الابن .
لعبة «الابتزاز»

الواجب أهم من الحب .

والد إلهام يعاني من حاجة ماسة إلى الإحساس بحب أبنائه له . وهم إذا لم يؤكدوا له حبهم دائمًا بالقول والفعل . يشعر بأنه قد فقدهم . وحطم كيانهم

لقد نشأ الأب نفسه في أسرة تقيم اعتبارًا للواجب . أكثر ما تقيم للحب . وهكذا خرج من سنوات تكوينه الأولى شاعرًا بحاجة ماسة إلى أن يحب . وأن يكون محبوبًا .

ورغم أن الحب يعتبر بالفعل شرطًا أساسيًا في التنشئة السليمة للطفل . فلا يجب أن تؤدي حاجة الأب إلى الحب . إلى أضعاف موقفه في لعبة «الابتزاز» على الأب أن يتحمل . دون اهتزاز أو اضطراب . الشجارات المحدودة . ومواقف سوء التفاهم التي لا يمكن تفاديها . في المشاكل اليومية التي يصادفها كل الآباء مع أبنائهم

عندما كانت إلهام في الثالثة من عمرها . شعرت بعدم قدرة والدها على تحمل البرود أو الفتور . ولو لفترة قصيرة . في علاقتها . ورغم أنها - بحكم عمرها - لم تكن تستطيع أن تضع هذا الشعور أو تصوغه في كلمات . إلا أنها استطاعت اكتشاف أن تجهمها ورسم معالم الحزن على وجهها . كفيلا بدفعه إلى الخضوع لرغباتها . وعندما وصلت إلى الرابعة من عمرها . كانت قد تعلمت بعض المناورات الكلامية التي زادت من فعالية ممارستها للعبة الابتزاز . وعن طريق المحاولة والخطأ والتجريب . وجدت أن «أنت لا تحبني ..» و «أنا أكرهك !» . و «لو كنت تحبني . ما كنت فعلت هذا ...» . وجدت

أن هذا يدفعه إلى تلبية مطالبتها . وكانت في كل مرة تنجح فيها ، تكافئه
بابتسامة عريضة ، وإذا ما ألحّ وألحف تمنحه قبلة .

مسار اللعبة الضارة :

وفيما يلي نرى كيف يجرى حوار نمطي بين إلهام وأبيها :

إلهام : (مشيرة إلى دمية كبيرة في محل لعب الأطفال) أريد هذه الدمية .
الأب : إن ثمنها ٢٥ جنيهًا يا حبيبتى .. هذا كثير جدًا ، وأنت لديك في
البيت الكثير من الدمى .

إلهام : سميحة شكرى لديها دمية مثل هذه .. أريد أنا واحدة أيضًا ..
الأب : لكن يا حبيبتى أنت لديك العديد من الدمى ، وهناك حد لما يجب
إنفاقه على مثل هذه الأشياء .

إلهام : (تبدأ ممارسة لعبة الابتزاز) والد سميحة يشتري لها كل ما تريده .. إنه
يحبها .

الأب : يا إلهام .. لا ترددى مثل هذا الكلام ، ولا تتجهمى هكذا .. لا
يصح أن تصبحى تعيسة لمثل هذه الأشياء البسيطة .
إلهام : إنها ليست شيئًا بسيطًا ! .

الأب : يا عزيزتى ، لا أحب أن أراك هكذا .. انصتى إليّ .. سأشتري لك
شيئًا آخرًا ..

إلهام : انت لا تحبني ! .

الأب : إلهام ! .. أنا أحبك .. كل ما في الأمر أن هذه الدمية غالية جدًا ،
وأنا ...

إلهام : (مقاطعة) أنت لا تهتم إذا كنت سعيدة أم تعيسة .. أنت لا تهتم بي
أبدًا ..

الأب : (مستسلمًا) مهلاً .. مهلاً يا حبيبتى ، سأشتريها لك .. هيا

ابتسمى ، ولا تظهرى كل هذا الحزن والتجهم . والدك يحبك .. إنه يحبك جداً ..

إلهام : (متصرة) أريد دميتى الآن ..

الأب : إن البائعة تقوم بلفها . والآن والدك يريد ابتسامة كبيرة .. وقبله حارة ..

إلهام : (مبتسمة) موافقة ..

عندما يتواصل استخدام لعبة «الابتزاز» هذه بشكل متكرر ، ويصبح فيها الطفل قادراً على التلاعب بأبيه ، يأتى وقت تقضى فيه هذه اللعبة على الحب الذى يبحث عنه الأب . وغالباً ما تمارس هذه اللعبة عدة مرات فى اليوم ، فى الأمر المهم والتافه ، ويصبح الحب شيئاً يباع ويشترى ، سلعة وليس رابطة عاطفية .

ولعبة «الابتزاز» تحرب شخصية الطفل والأب معاً . تجعل الطفل يفشل فى تنمية قدرته على تقديم الحب وتلقيه ، وتجعله لا يتعلم سوى المساومة بالحب .. لا يتصور أن الحب غاية فى حد ذاته . كما أن وجه السخرية فى لعبة «الابتزاز» هو أن السعى المستميت من جانب الوالد فى سبيل الوصول إلى حب ابنته ، يخلق حالة من استحالة ممارسة الحب . أضف إلى ذلك أن الأب الذى يفتقد الإحساس بالحب الحقيقى من جانب ابنته ، غالباً ما يتكون لديه إحساس باليأس والعدوانية تجاه الابنة ، الأمر الذى يثير لديه إحساس دائم بالذنب .. وهكذا ، ما أن يصل الطفل إلى منتصف سن المراهقة ، حتى تنهار العلاقة السوية بينه وبين الأب .

عندما تتطور اللعبة الضارة :

دعنا نرى الآن ، كيف يمكن لإلهام أن تمارس لعبة «الابتزاز» عندما

تصل إلى الخامسة عشرة من عمرها

الأب : إلهام يا حبيبتي ، لقد أخذت السيارة أمس مرة ثانية وأنت لم

تحصلي على رخصة قيادة بعد ، مما يتسبب لك في مشاكل ..

إلهام : أنت لا تفعل سوى أن تتقدمني . أليس لديك أبدًا شيئًا طيبًا

تقول لي ؟.

الأب : يا عزيزتي ، لا تتكلمي هكذا .. أنا لا أريد سوى ما فيه

مصلحتك .. لقد عدت مساء قبلك ، وبقيت قلقًا عليك .. لا أعرف ماذا

حدث لك ، ومع من تركبين السيارة في ذلك الوقت المتأخر .

إلهام : أنت لا تثق بي .. أنت لا تحبني .. أنت لا تحب أي شيء أفعله .

الأب : إلهام .. إلهام .. لا تقولي هذا ، لقد حرصنا دائمًا على أن نفعل

كل ما يجعلك سعيدة .

إلهام : أنت تكرهني ! ..

الأب : (متأثرًا) أنا آسف إذا كنت قد قلت شيئًا بدا لك قاسيًا .. أريد

فقط أن تكوني سعيدة .

إلهام : أنا أستطيع أن أحمي نفسي .. لقد وصلت إلى سن يجعلني قادرة

على قيادة السيارة ، ولم يحدث قط أن أوقفني شرطى من المرور .

الأب : (متراجعًا) وهو كذلك يا عزيزتي .. فقط كونى حريصة ،

وحاولي أن تختاري صحبة عاقلة .

إلهام : سأفعل .. ولكن أرجو أن تتوقف عن ترديد هذه الأقوال .

الأب : والآن .. أرجو أن أرى أساريك منبسطة .. أين الابتسامة

العريضة ؟. آه ، هذه هي ابنتي الحبيبة .

الطفل الذى يتعود ممارسة لعبة «الابتزاز» مع والديه ، ينصب تركيزه على الحيل والمناورات التى يقوم بها لابتزاز أكبر قدر من المنافع ، أكثر ما ينصب على علاقته بالشخص الذى يحقق له هذه المنافع ، وإن كان عادة لا يدرك ذلك بشكل شعورى . والطفل الذى يتعود ممارسة اللعبة ، يحملها معه خلال مراحل حياته العاطفية والزوجية والعملية القادمة .

قطع مسار اللعبة :

دعنا الآن نستعرض ما كان يجب على والد إلهام أن يفعله ، إذا ما أراد أن يوقف ممارسة لعبة «الابتزاز» . ذلك إذا كان الوالد قادراً على أن يفهم بشكل أفضل حاجاته ، وحاجات ابنته .

إلهام : أريد هذه الدمية ، أرجو أن تشتريها لى .

الأب : إنها دمية جميلة ، لكن لديك ثمانى دمنى مثلها ، بالإضافة إلى أن ثمنها ٢٥ جنيهاً .. وهذا كثير ..

إلهام : سميحة شكرى لديها واحدة إن والدها يحبها ..

الأب : أنا سعيد بسماع ذلك . وأنا كذلك أحبك جداً .

إلهام : لو كنت تحببني فعلاً ، لاشتريت لى هذه الدمية .

الأب : أنا أحبك فعلاً ، لكن المسألة غير ما تقولين . الأب الذى يحب

ابنته ، لا يحتاج إلى أن يظهر لها ذلك الحب ، بشراء كل ما تطلبه .

إلهام : (متجهمة) أنت لا تهتم إذا ما كنت سعيدة أم تعيسة .

الأب : بل أهتم ، لكنى لا أفيدك عندما اسلم برغباتك ، كلما ظهر

التجهّم على وجهك .

إلهام : أنت تكرهنى .. أنت لا تحببني ..

الأب : يا إلهام يا حبيبتي ... لن تجديك هذه الأقوال بعد اليوم .

إلهام : (مباغثة لقطع اللعبة) ماذا ؟ ..

الأب : أقول إن التجائك إلى قول «أنت لا تحبني» ، لن يفيدك في الحصول على أى شىء تريدينه .. أنا أحبك ، وعليك أن تتعلمي أن تحبي الآخرين ، دون أن تعلقى هذا على مساومات ومنافع ..
إلهام : (ثائرة) أنت أب فظيع .. أنا أكرهك .
الأب : كل ما فى الأمر أنك غاضبة لعدم حصولك على الدمية .
إلهام : (متجهمة) أرجوك .. أريدك أن تشتريها لى ..
الأب : لا تتجهمى .. هذا لن يجديك بعد الآن . هذا الأسلوب الذى تلجئين إليه ضاربك وبى ..

* * *

عندما جرى هذا الحوار كانت إلهام فى الرابعة من عمرها .. وإذا استمر الوالد فى إقامة التعامل على هذا الأساس ، ستكون إلهام قد تخلصت من ممارسة لعبة «الابتزاز» عندما تصل إلى الخامسة من عمرها .

« الإبن الضال .. »

بعض الألعاب الضارة يتعلمها الطفل من أمه ، ويتعلم البعض الآخر من أبيه ، وهناك مجموعة من هذه الألعاب يتقاسم أفراد العائلة مسئوليتها . وقد دأب علماء النفس والمجتمع ، في الماضي ، على القول بأن الطفل يغلب أن يواجه أنماطاً خاصة من المشاكل العاطفية ، بسبب تربيته بين أبناء الأسرة . فحددوا بعض أنواع المشاكل التي رأوا أنها أميل أن تشيع عند الطفل الأول ، أو الأوسط ، أو الوحيد ، أو الأصغر .. إلا أن معظم علماء النفس المتخصصين في شؤون الطفل ، يؤمنون حالياً بأن ذلك الاستخلاص لا يستند إلى رصد واقعي . فواقف الآباء والأمهات تختلف اختلافاً كبيراً ، مما لا يسمح بإطلاق أحكام عامة ، عن المشاكل التي سيواجهها الطفل نتيجة لعمره بالنسبة لغيره من الإخوة والأخوات .

والدليل على ذلك أن الطفل الأول يمكن أن يكون التخطيط لمحيته قد جرى مسبقاً بواسطة الوالدين ، فانتظراه بشغف وشوق ، ومن الممكن أيضاً أن يكون محيئه مخالفاً لرغبة والديه ، نتيجة لأنه يشكل عبئاً اقتصادياً على الأم العاملة التي مازال زوجها يواصل دراسته الجامعية . وأيضاً ، قد يكون الطفل الأخير مرغوباً فيه أو مرفوضاً . أضف إلى هذا أن جنس المولود ، ذكراً أم أنثى ، يؤثر أحياناً على موقف الوالدين . مثال ذلك ، إذا كان الطفل الثالث

بتاً في أعقاب ولدين ، فالأرجح أن تحظى هذه البنت بترحيب الوالدين .
وتشبه الأسرة إلى حد ما البنية العامة للمجتمع يحتل الوالدان موقع
القيادة والسلطة في سنوات التكون الأولى للأطفال ، بينما يأخذ هؤلاء موقع
الرعية المتساوية الحقوق والواجبات . وموقف الشخص من السلطة الاجتماعية
يتأثر تأثيراً كبيراً بنوع العلاقة التي كانت بينه وبين والديه وإخوته . الطفل الذي
ينشأ بين أبوين عطوفين ، يضعان حدوداً معقولة لسلوكه ، يكون أميل إلى
التكيف مع السلطة الاجتماعية . بعكس الطفل الذي ينشأ وسط صراعات
حاددة بين والدين عدوانيين أو مهملين . والطفل الذي يتعلم أن يوقع في سنواته
الأولى بين والديه وإخوته لكي يحصل على ما يريد ، غالباً ما يحمل معه هذا
النمط من التعامل في علاقاته بعد البلوغ ، ليطبقه على الرؤساء وزملاء
العمل ..

وبشكل عام ، الألعاب الضارة التي تتعلمها في البيت ، هي نفسها التي
تلعبها في الحياة .

الطيب .. والمشكل :

في معظم العائلات يوجد قدر محدود من التنافس بين الإخوة
والأخوات . وعندما يحرص الوالدان على معاملة الأبناء بدرجة متساوية من
الحب والعطف ، يبقى هذا التنافس في أضيق نطاق . أما عندما يظهر الوالدان
ميلاً إلى أحد الأبناء ، فإن هذا يقود إلى أن يصبح التنافس حاداً وقاسياً .
الطفل صاحب الامتيازات سرعان ما يستغل هذا في التلاعب بوالديه كأداة
ضد الأخوة الأقل حظاً . ومن هنا تنطلق الدائرة المفرغة ، والتي يحظى فيها
الطفل المميز ، يوماً بعد يوم ، بمزيد من التقدير ، في الوقت الذي يتناقص
فيه قدر الطفل الأقل تميزاً .. ويتحولان على لسان الجميع إلى «الطفل
الطيب» و «الطفل المشكل» .

دعنا نستعرض الظروف النمطية للعبة «الابن الضال»

حمل خارج الحطة :

كانت سامية طفلة مرغوبة ، فنشأت في طقس من الحب والحنان . وكانت خطة والديها أن يتظروا عدة سنوات قبل أن ينجبا الطفل التالى . لكنهما شعرا بالاستياء عندما اكتشفت والدة سامية أنها حامل بعد خمسة شهور . لقد أرغمهما المولود الثانى على الانتقال من شقتهم الصغيرة إلى بيت أكبر فى الضواحي ، قبل أن يكون لديهما المال الكافى لشراء وتأثيث البيت الذى كانا يطمعان فيه . وقد تسبب ذلك الحمل فى توتر حياتهما الزوجية ، وكثرت بينهما المشاحنات . لكنهما تعشما فى أن يعوضهما عن هذه الحالة التى وصلا إليها ، أن يحيا المولود ذكراً ، بحيث يكتمل تكوين الأسرة .

وعندما جاء المولود بنتاً .. كان واضحاً رفض الوالدين لها ، حتى أنها لم يختارا لها اسماً إلا بعد أن ذكرتهما الممرضة بذلك . قبل مغادرة الأم للمستشفى وهكذا بدأت راوية حياتها

ونتيجة لنفاذ صبر الأم فى إرضاع راوية ورعاية شئونها ، تزايد حدة طبع الوالدين . كانت راوية تبكى كثيراً ، وتستيقظ صارخة عدة مرات خلال الليل ، متعبة فى تناول طعامها ، قلقة لا تستقر على حال . واتفق الوالدان على أنها طفلة صعبة ، وراحا يقارنان أحوالها بأحوال سامية ، التى أصبح ينظر إليها دائماً باعتبارها الطفلة اللطيفة الطيبة .

فى الوقت الذى بلغت فيه سامية الرابعة ، وراوية الثالثة . بدأت ممارسة لعبة «الابن الضال» بحماس .

لقد شعرت سامية بوضعها المتفوق ، وبضعف موقف راوية ، فتعلمت كيف تتلاعب بموقف الوالدين ، لتحقيق مكاسبها الخاصة . ومن كثرة ممارسة

هذه اللعبة ، تضاعفت من حدة طبع الوالدين تجاه راوية ، ومن كثافة مشاعرهما الطيبة نحوها .

الحلقة المفرغة :

عندما بلغت الطفلتان السابعة والسادسة من عمرهما ، كانت الحلقة المفرغة قد أحكمت ، لتسيطر على كل مظهر من مظاهر العلاقات بين الطفلتين والوالدين . وأصبح طبيعياً أن يتكرر مثل الحوار التالى :

الأم : لقد تحولت هذه الحجرة إلى فوضى .. هيا يا بنات .. نظفا الحجرة واستعدا للغداء .

سامية : لقد نهت على راوية ألا تبعثر اللعب فى أنحاء الحجرة ، وألا تلقى بقصاصات الورق على الأرض ، لكنها لم تستجب لى .

راوية : لقد كنت تفعلين نفس الذى أفعله .

سامية : هذا غير صحيح .. أنا لم أفعل ذلك .

الأم : راوية !. توقفى عن إلقاء اللوم على أختك فى كل شىء .. لقد كانت دائماً منظمة مرتبة ، بينما تبعثن أنت الفوضى فى كل مكان . هيا ، رتبى الحجرة حتى تنتهى هذه الفوضى .

راوية : سامية هى التى وضعت هذه اللعب على ...

الأم : (مقاطعة) أنت تكذبين .. تعلمين جيداً أنك تكذبين .. وبالإضافة إلى أخطائك الأخرى أنت أيضاً تكذبين وتكذبين وتكذبين .

راوية : أنا لم أكذب الآن !.

الأم : لماذا لا تكونين مثل أختك ؟ كيف يمكن لأختين أن تكونا مختلفتين هكذا ؟ .. واسمعى يا راوية ، لا أريد هذا التجهم وتعقيد الجبين .

راوية : أنا لم أتجهم ..

الأم : بل تجهمت . ها أنت تكذبين ثانية .
سامية : كفى يا راوية .. لا تضايقي أمنا أكثر من هذا .
راوية : أنا لم أضايقها .
الأم : هيا .. نظفا هذه الحجرة ورتباها فوراً .
سامية : أنا دائماً أقوم بنصبي من العمل (تقول هذا بينما هي ترفع لعبتين
أو ثلاث من الأرض وتضعهما في الدولاب) .
راوية : (تراقبها) هذا ليس كل نصيبك من العمل . أنت لم ترفعي
سوى ..
الأم : كفى كلاماً .. سامية تفعل دائماً ما يطلب منها .. المشكلة دائماً
معك أنت ..
سامية : لقد قمت بنصبي من العمل ، وسأذهب لكى استعد للغداء .
الأم : (تاركة الحجرة) سأعود بعد خمس دقائق يا راوية .. أريد أن
أرى كل شيء فى مكانه .

حتى الأقارب والمدرسة :

لقد انعكس موقف الوالدين ، ومهارة سامية فى ممارسة لعبتها ، على رأى
المحيطين بالأسرة فى راوية . الجدّان والأعمام والأخوال ، كانت سامية بالنسبة
لهم البنت اللطيفة ، وراوية المشاكسة العنيدة . وساعد على ذلك ما تبديه
سامية من سعادة وسرور ، وما تلتزمه راوية من تجهم وانقباض .
وانتقل توزيع الأدوار هذا إلى المدرسة أيضاً ، فأصبحت سامية قرة عين
المدرسة ، وراوية هى التلميذة التى لا تستجيب أو تطيع . وتعودت راوية أن
تسمع المدرسات يقلن لها «لماذا لا تبدين الانشراح والطاعة كما تفعل أختك
الكبيرة؟» .

وعندما تصل الأختان إلى سن المراهقة ، تصبح سامية فتاة أنيقة ، مستقلة بذاتها ، تحرز تنوعاً واسعاً من أساليب ومهارات التلاعب بالناس ، وتوجيههم لمنفعتها . أما راوية ، فتصبح فتاة متمردة ، يسودها شعور بالنقص ، تشعر بغربة نحو أسرتها ، وطريقة الأسرة في الحياة ، مما يشيع التعاسة بين أفراد الأسرة .

البصيرة الأعمق :

دعنا الآن نتصور كيف كان من الممكن لوالدة سامية وراوية أن تعالج الموقف السابق ، لو أنها كانت تتمتع ببصيرة أعمق بالنسبة لمشاعرهما ، وللعبة الضارة التي تقوم بها سامية ..

الأم : لقد تحولت هذه الحجرة إلى فوضى .. هيا يا بنات .. نظفا الحجرة واستعدا للغداء ..

سامية : لقد نهت على راوية ألا تبثر اللعب في أنحاء الحجرة ، وألا تلقى ...

الأم : (مقاطعة) سامية ، أنا لا أحب هذا الذي تقومين به دائماً .. إنه يضرّ بك وبراوية وبالعائلة كلها .. لا بد أن تفهمي جيداً أنك لست المسئولة عن تحديد ما تفعله ولا تفعله راوية .. هذه مسئوليتي أنا ..

سامية : أفهم ذلك يا أمي ، ولكنها هي التي نثرت قصاصات الورق في أنحاء المكان ، وكذلك قامت بـ ...

راوية : هذا غير صحيح ..

الأم : جميل .. ستقومان معاً بترتيب وتنظيف الحجرة .

سامية : لكن راوية هي التي تبث الفوضى دائماً ..

الأم : إذا كانت كذلك فعلاً ، فمرجه إلى أنك تداومين ترديده على مسامعها .

راوية : فعلا .. وبالمناسبة • سامية ليست هى ذلك الملاك الذى يتصوره الجميع .

سامية : ها هى ثانية تهاجمنى .

الأم : هذا يكفى .. لقد جرى بينى وبين والدكما حديثاً مطولاً عنكما .. منذ الآن فصاعداً ، سنحرص على أن ينال كل منكما حقه العادل ..
سامية : أنا لا آخذ حقى ..

راوية : (مستنكرة) ماذا؟! .

الأم : أعنى أننا تعجلنا فى الحكم عليكما ، باعتبار أن سامية هى الطيبة وراوية هى السيئة ، كلما لاحت مشكلة .. ليست أى منكما ملاكاً ، ولا أيكما ابناً ضالاً .. هيا ، تحركا معاً لتنظيف وترتيب الحجرة ، ولا تغادر أى منكما الحجرة قبل أن يتم هذا .

سامية : (مستميتة) لكن راوية هى دائماً التى ..

الأم : (مقاطعة) سأعود بعد خمس دقائق ، وإذا لم أجد الحجرة مرتبة ونظيفة ، سأحرمكما من مشاهدة التلفزيون اليوم .. أنما تعلمان أن اليوم هو الموعد الأسبوعى لبرنامج أفلام الصور المتحركة .

سامية : هيا بنا ننظف الحجرة ..

راوية : هيا ..

الفصل الثاني عشر

موقفنا من الألعاب

موقفنا من الألعاب

بعد هذا الاستعراض للألعاب الخفية التي تسود حياتنا ، يبرز تساؤل هام . ما هو موقفنا من الألعاب ؟ وكيف تتواصل حياتنا ، وقد اعتمدت بشكل أقل على هذه المناورات الضارة ، التي تبدد طاقتنا ، وتوقعنا في محاذير لم يكن من الحتمى أن تقع فيها .

في الفصل الختامى من هذا الكتاب ، سنتحدث عن الآتى :

- معنى الألعاب .
- طبيعة الألعاب .
- ممارسو الألعاب : العابس ، والمهزوز .
- الاستقلال الذاتى للفرد ، كبديل للممارسة الألعاب .

معنى الألعاب

يمكن أن ننظر إلى معنى الألعاب ، على مستويات مختلفة ، على المستوى التاريخي والمستوى الثقافي ، والمستوى الاجتماعي ، والمستوى الشخصي .

١ - المعنى التاريخي :

تنتقل الألعاب من جيل إلى جيل ، واللعبة المفضلة عند شخص ما ، يمكننا أن نتبعها عند آباءه وأجداده ، ثم عند أولاده . وما لم يحدث اعتراض ناجح وإيقاف سليم لمجرى اللعبة ، فمن الممكن أن تصل إلى الأحفاد . لهذا ، ينسحب تحليل الألعاب على مسافات تاريخية ممتدة ، قد تصل إلى مائة سنة مضت ، وخمسين سنة قادمة . وقطع هذه السلسلة ، التي تكون قد امتدت على مدى خمسة أجيال ، تكون له نتائج الإيجابية . والألعاب في انتقالها من جيل إلى جيل ، تتحور ، وفي بعض الأحيان يتغير مسارها وشكلها تماماً ، لكن الثابت أن هناك ميلاً شديداً إلى توارث اللعبة الواحدة أو تنويعاتها ، في العائلة الواحدة .

٢ - المعنى الثقافي :

تنشئة الأطفال ، ينظر إليها علماء تحليل التعاملات باعتبارها ، تعلمهم الألعاب التي يمكنهم ممارستها . وباختلاف الثقافة والطبقة الاجتماعية تختلف الألعاب - كذلك يكون لكل عائلة تفضيلها لنوع مختلف من الألعاب .

٣- المعنى الاجتماعي :

تنحصر الألعاب بين حدين ، هما التسلية والتآلف .
التسلية ، مآلها السأم إذا ما تكررت ، وهو ما نلمسه في بعض الحفلات والمناسبات الروتينية .

والتآلف ، يتطلب حذرًا شديدًا ، ويتعرض للتحامل الدائم من مواقف (الوالد) و (البالغ) و (الطفل) داخل الشخص . كما أن المجتمع يضيق بالملاطفات الأليفة إلا إذا كانت في خلوة . كما أن (الطفل) في الشخص يخشاها ، لما تتضمنه من كشف للأغطية ، ورفع للستائر .

لذا ، فأغلب الناس يلجأون إلى الألعاب ، كلما توفرت مقوماتها ، هربًا من ملل التسلية المتكررة المعتادة ، وتفاديًا لمخاطر التآلف .. وعلى هذا ، تشغل الألعاب جانبًا من أهم أوقات العملية الاجتماعية .

٤- المعنى الشخصي :

عند انتقاء الناس لأصدقائهم ، وعند ارتباطهم أو تعاطفهم مع الآخرين ، يعمدون إلى اختيار الذين يلعبون نفس الألعاب ، أو الألعاب المكملة لها . وعلى هذا ، فالناس - في دوائر اجتماعية معينة - يبدو سلوكهم غريبًا بشدة ، على أفراد دائرة اجتماعية أخرى .

وإلى جانب هذا ، فأى عضو في دائرة اجتماعية ، يعمد إلى تغيير ألعابه التي يمارسها ، بحيث تختلف عن الألعاب المتداولة في دائرته الاجتماعية ، يتعرض للإبعاد والنبد . وإن كان في إمكانه أن يلقي ترحيبًا في بعض الدوائر الاجتماعية التي تمارس ألعابه الجديدة .

طبيعة الألعاب

قلنا من قبل ، إن الألعاب التي تزرع خلال الطفولة والمراهقة . لا تنتهى عادة بمجرد دخول الفرد إلى طور البلوغ . قد تتغير مجموعة الأشخاص التي تمارس معه الأدوار الأخرى في اللعبة ، لكن اللعبة نفسها تظل على حالها . اللعبة التي توفر للطفل السيطرة على والديه وعلى الآخرين ، بالاعتماد على السلوك العدواني . واطهار مشاعر الغضب ، والتي ترغموهم جميعاً على الاستجابة لمطالبه . هذه اللعبة يظهر صدها في مراحل العمر التالية . فيصبح هذا الطفل شاباً يسعى إلى الأخذ فقط في علاقته العاطفية ، مستأسداً في زواجه ، مسيطراً في تربيته لأولاده ، وفي العمل إذا لم تتم الأمور بطريقته الخاصة ، يظل دائماً في حالة شجار مع زملائه .

كيف يمكن لمثل هذا الشخص أن يتوافق مع مجتمعه ، كرجل بالغ ، مع استمراره في ممارسة هذه اللعبة ؟. يتوقف هذا على عدة عوامل ، يوردها دكتور تشابمان ، أستاذ العلاج النفسي :

مستوى ممارسة اللعبة :

أهم عامل يتصل بمستوى ممارسة اللعبة ، هل هو حاد أم معتدل . إذا ما كانت الممارسة معتدلة ، وإذا كان الشخص قادراً على أن يكون مرناً إلى حد ما ، فقد ينجح في أن يحقق بعض التوافق مع محيطه ، رغم

هذه العقبة ، عقبة ممارسته للعبة . سيقول الناس « فلان يميل إلى أن يفرض رئاسته ، لكنه معقول إلى حد ما ، وبإمكاننا أن نعمل معه (أو نعيش معه) إنه يميل إلى الشجار ، كلما لم تسر الأمور على هواه وبطريقته ، لكنه يستطيع أن ينسى الموضوع ، ويمضي في حياته . إنه يصبح كالأعرج الذي لا يعوقه عرجه عن السير »

أما إذا كانت ممارسته للعبة حادة وعنيفة ، فغالباً ما يمر بسلسلة متواصلة من التصادمات مع أقرب الناس إليه ، ومع من يتعاملون معه تعاملًا طويل الأمد ، مما يؤدي في بعض الحالات إلى حالة من العجز الاجتماعي . إنه يسعى إلى السيطرة على زوجته ، وإلا تحولت حياتها إلى شجار دائم . ويسعى للسيطرة على أطفاله والتحكم فيهم ، ويدفعهم إما إلى اذعان مصحوب بالخوف ، أو إلى تمرد صريح .

نوع العمل الذي يمارسه :

واستقراره في عمله يعتمد على نوع العمل الذي يمارسه . إذا كان يعمل في مكتب أو مصنع ، حيث يحتك عن قرب احتكاكاً دائماً بنفس الناس ، تكون النتيجة عراكاً دائماً معهم ، وهو غالباً ما يفشل في الاحتفاظ بوظيفته طويلاً .

ومن ناحية أخرى ، إذا كانت طبيعة عمله لا تقتضي احتكاكاً متواصلاً بنفس الناس ، كأن يعمل في تنشيط بيع سلعة ، أو مندوب تأمين ، بحيث تكون تعاملاته مع الرؤساء والزبائن سطحية ، فمن الممكن أن ينجح في عمله ، بالرغم من ممارسته للعبة .

توفر ممارسي نفس اللعبة :

ممارس اللعبة ، الذي يدمن ممارستها ، ويمارسها بإصرار ، يصل عن

طريق التجريب ، وبشكل لاشعورى ، إلى الناس الذين يستريحون إلى إقامة علاقات دائمة معه ، من بين ممارسى اللعبة ، أو ممارسى أحد أدوارها . هذه العلاقة تعتبر علاقة مرضية ، غير صحية ، لكن من الممكن أن تستمر . مثال ذلك ، أن ممارس اللعبة قد ينشئ علاقات متعددة قصيرة الأمد مع الجنس الآخر ، قبل أن يتزوج ، إلى أن يعثر على طرف آخر يتوفر فيه الإحساس بانعدام الأمان ، والشخصية السلبية ، مما يتيح له السيطرة الكاملة . وهكذا تتواصل سيطرته ، ويتواصل خضوع الطرف الآخر . رغم تناقض هذا مع الأوضاع الصحية للعلاقات البشرية .

ونفس الشيء يفعله ممارس اللعبة في مجال العمل . يظل يحرب السكرتيرات ، واحدة بعد الأخرى ، حتى يستقر على السكرتيرة التى يشعر منها بالخضوع وقبول السيطرة عليها .

مستوى الذكاء :

إذا كان ممارس اللعبة على درجة عالية من الذكاء والموهبة ، فقد يقبل الناس التعامل الدائم معه في العمل ، على اعتبار أن كفاءته وموهبته تعوضان عن المشاكل التى يثيرها في العمل .

أما إذا كان ممارس اللعبة عادياً في ذكائه وموهبته ، فالأغلب أن يتوقف الناس عن التعامل معه بعد اكتشاف نقيضته .

العابس والمهزوز

كثير من الألعاب تجرى ممارستها بشكل شديد الكثافة ، بين المصابين باضطرابات نفسية .. وبشكل عام ، كلما زاد اضطراب الشخص ، كلما زادت ممارسته للعبة عنفاً . لكن الغريب في الموضوع ، أن بعض المصابين بانفصام الشخصية ، يبدون رفضهم للدخول في ألعاب ، ويميلون إلى إعلان ذلك .

في الحياة اليومية ، يمارس الألعاب باقتناع كامل ، نوعان من الناس : العابسون المتجهمون ، المهزوزون المغلقون على أنفسهم .

العابسون :

من وجهة النظر السيكلوجية ، يعتبر العابس هو الشخص الغاضب على أمه . وعند تقصي حالته ، يظهر أن غضبه هذا يرجع إلى أيام طفولته . ويكون لديه أسباباً مقنعة لهذا الغضب ، من موقف (الطفل) فيه .

أسباب هذا الموقف متنوعة . من الممكن أن تكون قد (هجرته) في فترة حرجة من طفولته ، بأن مرضت فتم نقلها إلى المستشفى ، أو بأن أنجبت بعده العديد من الأبناء أو أن تكون قد انفصلت عن أبيه ، وأرسلته ليعيش عند بعض الأقارب ، حتى يتاح لها أن تتزوج من جديد .. إلى آخر هذه الاحتمالات .

في جميع الأحوال . يبدأ العبوس في أعقاب مثل ذلك الحدث .
والشخص العابس يكره الناس ، رغم أنه من الممكن أن يكون
(دون جوان) : متعدد العلاقات العاطفية

وحيث أن العبوس يكون متعمداً في بدايته . فمن الممكن العدول عن
قرار العبوس في أي مرحلة تالية تماماً كما يحدث في حالة الطفل العابس
نتيجة لسبب من الأسباب ، ما أن يستعد الطفل للخروج لشراء
المثلجات ، حتى يرى في هذه المناسبة ما يستحق التوقف مؤقتاً عن عبوسه
وتجهمه .

اشتراطات العدول عن العبوس ، تكون في (العبس) الكبير كما في
الطفل . يجب أن يتوفر له ما يحفظ ماء وجهه ، وأن يتلقى مقابلًا ثمينًا يستحق
عدوله عن عبوسه .

نفس الشيء يمكن تطبيقه على النساء العابسات . فغضبن يكون على
الأب .

المهزوزون :

المعروف أن في كل منا ، اهتزاز نفسي طفيف . وهدف تحليل الألعاب
هو الوصول بذلك الاهتزاز إلى حده الأدنى .

(المهزوز) ، هو الذي يعكس حساسية فائقة لتأثير (الوالد) فيه . عند
التعامل مع حقائق (البالغ) ، أو تلقائية (الطفل) ، يميل (الوالد) إلى
التدخل في اللحظات الحرجة ، مما يتمخض عن سلوك غير مناسب أو غير
لائق ، ويصبح تصرفاته بالانغلاق .

(المهزوز) ، يتحول في الحالات الشديدة ، إلى منافق أو استعراضي . ولا
يجب أن نخلط بين المهزوز وبين الذي يعاني من انفصام الشخصية . ففي حالة

انفصام الشخصية ، لا يكون (الوالد) داخل المريض نشيطاً ، كما أن (البالغ) يكون شبه خامل ، مما يجعله مضطراً إلى التعامل مع العالم من الحالة الشعورية (كطفل) مرتبك .

الاستقلال الذاتى كبديل لممارسة الألعاب

عندما يتوصل الشخص إلى الاستقلال الذاتى ، يصبح فى موقع متفوق يغنيه عن ممارسة الألعاب . والاستقلال الذاتى للشخص يمكن أن يتحقق عن طريق اطلاق قدرات ثلاث ، أو استعادتها لو كانت قد ضعفت . هذه القدرات هى : الادراك الذاتى المباشر ، والتلقائية ، والتآلف .

الإدراك الذاتى المباشر :

يعنى القدرة على رؤية الأشياء ، وسماع الأصوات ، بالطريقة الخاصة للشخص ، وليس بالطريقة التى لقنها له شخص آخر أو أشخاص آخرون . أن يرى الشجرة فعلاً ، وبطريقته هو . وأن يسمع تغريد العصفور حقيقة ، وليس بطريقة اصطلاح عليها من هم حوله .

من المعروف أن الرؤية والسمع تختلف قيمتهما عند الطفل عن قيمتهما عند الكبير . فهما عند الطفل أكثر جمالية وأقل عقلانية . والمثال التالى يوضح ما نقول .

يجلس الطفل وحيداً فى الحديقة ، يستمع إلى أصوات الطيور مستمتعاً مسروراً يأتى (الأب الطيب) الذى يشعر أن واجبه يفرض عليه «مشاركة» ابنه فى هذه الخبرة ، ومحاولة تنمية هذه الخبرة ، فيبدأ الأب إشاراتة قائلاً « هذا بلبل وهذا كروان .. » . بمجرد أن يدخل الصغير فى جهد التعرف ، أيها

البلبل وأيها الكروان . يتوقف عن رؤية الطيور وسماعها . لقد أصبح عليه أن يراها ويسمعها بالطريقة التي حددها له أبوه .

وعادة ما تكون للأب أسبابه القوية . فمن الذى يمكن أن يمضى حياته يرى الطيور ويسمع أصواتها ؟ ويرى الأب أنه كلما أسرع « بنعيم » ابنه فى الصغر ، كلما كان هذا مفيداً له . ومن يدرى ، ربما أصبح عالماً فى الطيور عندما يكبر ؟.

الثابت ، أن القليل جداً من البشر ، هم الذين يستطيعون أن يروا ويسمعوا ، بالطريقة التي مارسوها فى طفولتهم .. وهذه القلة من البشر هي التي تضم الفنانين والشعراء والموسيقيين . أما باقى البشر ، فيفقدون هذه القدرة مع الزمن ، وهم يقنعون بأن يحصلوا عليها مستعملة (نصف عمر) عن طريق الغير .

الإدراك الذاتى المباشر ، هو فى جوهره استعادة هذه القدرة . ويجرى تعريفه سيكولوجياً بأنه : إدراك حسى بكر متحالف مع خيال بكر .
الإدراك الذاتى المباشر يقتضى العيش (هنا) و (الآن) . أن نعيش هنا ، وهنا فقط وليس أى مكان آخر ؛ وأن نعيش الآن ، وليس فى الماضى أو المستقبل . وقد نتساءل : أين يكون العقل ، عندما يكون الجسد هنا ؟ . هناك أربع حالات عامة :

١ - الرجل الذى يكون انشغاله الرئيسى هو القيام بالأعمال والوصول إلى الأماكن فى الوقت المحدد ، هو أبعد الناس عن ممارسة الإدراك الذاتى المباشر . وهو بجسمه خلف عجلة قيادة سيارته ، يكون عقله على باب مكتبه . ومن ثم ، يكون غائباً عما يحيط به مباشرة ، إلا فى حدود كونه عقبة فى سبيل الوصول إلى اللحظة التي يتوحد فيها كيانه . هذا الرجل هو (المهزوز) ، الذى يتركز اهتمامه فى نوع نظرة رئيسه إليه . إذا تأخر عن

موعد تحركه للذهاب إلى عمله ، بذل قصارى جهده للوصول إلى مكتبه مقطوع الأنفاس . في هذه الحالة ، تكون القيادة لموقف (الطفل) المدمن وتكون اللعبة هي «انظر كم حاولت بجد» .

أثناء قيادته لسيارة ، يكاد هذا الرجل أن يكون فاقداً لاستقلاله الذاتي تماماً . إنه ككائن حي يكون أقرب إلى الموت منه إلى الحياة مثل هذه المواقف هي التي غالباً ما تتسبب في الإصابة بأمراض الضغط المرتفع والأمراض القلبية .

٢- أما (العابس) ، من ناحية أخرى ، فلا ينصب اهتمامه على الوصول في الوقت المناسب ، بل يكون همه جمع الأعذار لتبرير تأخره ، حوادث الطريق ، واخلل إشارات المرور ، وعناء السائقين الآخرين . وهو موقف يناسب جداً خطته ، ويرضى (الطفل) المتمرد فيه ، أو (الوالد) العادل ، ممارساً لعبة «انظر ماذا جعلوني أفعل» ، وهذا يبعد أيضاً عن الإدراك الذاتي المباشر الكامل ، ويجعله أشبه بنصف الحى ، جسمه داخل السيارة ، وعقله خارجها يبحث عن الوصمات والمظالم .

٣- وهناك «السائق الطبيعي» ، وهو أقل الأنواع شيوعاً ، والذي يأخذ قيادة السيارة كعلم وخبرة . وهو إذ يشق طريقه وسط الزحام ، يكون بأكمله داخل السيارة . إنه يكون متيناً الظروف المحيطة به ، ويستثمرها في تحقيق مزيد من المهارة في القيادة . وبهذا المعنى يعتبر حياً . وقائد السيارة من هذا النوع ، يمارس القيادة كنوع من التسلية التي يتحكم فيها (البالغ) ، ويستمد منها (الطفل) و (الوالد) بعض المباهج .

٤- في الحالة الرابعة ، نصادف الشخص الذى يدرك ذاتياً ، وبشكل مباشر.. الذى لا يتعجل لأنه يعيش اللحظة الراهنة ، فى المكان الذى يتواجد فيه ، السماء ، والأشجار ، وفى نفس الوقت حركة سيارته .

الإسراع عنده يعنى فقدان المجال المحيط به ، ويعنى الانشغال بما يمكن أن يصادفه من عقبات .

الشخص الذى يتوفر له الإدراك الذاتى المباشر يكون حيًا . فهو يعرف مشاعره بدقة ، ويعرف مكانه فى كل أوان .

•

التلقائية .

التلقائية تعنى حق الاختيار ، وحرية الفرد فى اختيار مشاعره من بين التنوع المتاح ، وحرية فى الإحساس بهذه المشاعر ، حرية فى الاختيار بين مشاعر (الوالد) ومشاعر (البالغ) ومشاعر (الطفل) . وهى تعنى التحرر من حتمية ممارسة الألعاب ، ومن المشاعر التى يفرضها عليه الآخرون .

التآلف :

التآلف يعنى الصراحة التلقائية ، الحالية من الألعاب ، فى الشخص صاحب الإدراك الذاتى المباشر ، وتحرر القدرة على إدراك الصور الذهنية ، و (الطفل) بكل فطرته يعيش فى هنا والآن . وهذا يتيح نمو المشاعر ، ويثير الأحاسيس الإيجابية ، إلى حد أن البعض يقول بإمكان وجود ما نطلق عليه «التآلف مع الذات» .

ولأن التآلف يكون فى جوهره من وظائف (الطفل) الطبيعى الصحى ، فهو يتواصل بشكل طيب ما لم يتهدده تدخل (الألعاب) . وغالبًا ما يفسد التآلف ، تبنى تأثيرات ونفوذ (الوالد) ، وللأسف يحدث هذا بشكل عام ، فى كل وقت ومكان . ولكن قبل أن يحدث هذا الإفساد ، وإلى أن يحدث ، وإذا لم يحدث ، يبقى الصغير محبًا ، وهذا هو الجوهر الأساسى للتآلف .

المراجع

- (1) GAMES PEOPLE PLAY.
ERIC BERNE GROVE PRESS.
- (2) TRANSACTIONAL ANALYSIS.
ERIC BERNE BALLANTINE BOOKS.
- (3) I'M OK - YOU'RE OK.
THOMAS HARRIS PAN BOOKS.
- (4) STAYING OK.
AMY & THOMAS HARRIS PAN BOOKS.
- (5) THE GAMES CHILDREN PLAY.
A.H. CHAPMAN BERKLEY PUB. CORP.
- (6) REALITY GAMES.
S.SAX & S. HOLLANDER POPULAR LIBRARY.
- (7) GAMES ALCOHOLICS PLAY.
CLAUDE STEINER, BALLANTINE BOOKS.
- (8) THE THIRD WAY.
ALVIN TOFFLER BANTAM BOOKS.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
هذا الكتاب	٥
المقدمة	٩
الفصل الأول : الحالات الشعورية للإنسان	١٣
الفصل الثاني : تحليل التعاملات	٣٥
الفصل الثالث : الألعاب الحفية	٥٧
الفصل الرابع : ألعاب الحياة اليومية	٧٩
الفصل الخامس : ألعاب الحياة الزوجية	١٠٥
الفصل السادس : ألعاب الحفلات	١٢٩
الفصل السابع : الألعاب الجنسية	١٤٩
الفصل الثامن : ألعاب عالم الجريمة	١٦٥
الفصل التاسع : ألعاب حجرة الاستشارة	١٧٧
الفصل العاشر : الألعاب الطيبة	٢١١
الفصل الحادى عشر : ألعاب يمارسها الأطفال	٢٢١
الفصل الثانى عشر : موقفنا من الألعاب	٢٦١
المراجع	٢٧٥

من إصدارات دار الشروق

للكاتب راجي عنايت

- سر الأطباق الطائرة
- النبات يحب ويتألم .
- الهرم وسرقواه الخفية .
- رجل يعرف كل الأسرار .
- ٣٠ ظاهرة خارقة ، حيرت العلماء .
- لعنة الفراعنة ، وهم أم حقيقة ؟ .
- عجائب بلا تفسير .
- تفسير الأحلام والتنجيم .
- التخاطر والسحر واليوجا .
- الخروج من الجسد .
- أحلام اليوم حقائق الغد .
- عجائب العقل البشري .
- أسرار حيرت العلماء .
- هذا الغد العجيب .
- معجزات العلاج .
- العالم سنة ٢٠٠٠ .
- المستقبل بين الشرق والغرب .
- تحت الطبع :
- حوار مع الصديق الذكي (مستقبلات)

رقم الأيداع : ٨٩/٤٦٧٤
التقييم الدولي · x - ٣٧٩ - ١٤٨ - ٩٧٧

مطابع الشروق

المنامة ١٦ شارع حواد حسي - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤

بيروت، ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣

المنارات الخفية

في حياتنا العائلية والجنسية والعملية



هذا الكتاب

- هذا الشاب الناجح الذكي ، لماذا اختار هذه الفتاة سيئة الطبع ، الدميمة ، زوجة له ، من بين عشرات الجميلات الدمثات اللاتي عرضن عليه ؟ .
- هذا الرجل المتعلم الذكي ، لماذا يفشل في كل مشروع يتصدى له ؟ ، ولماذا يتخذ الخطوة الخطأ كلما لاح النجاح في الأفق ؟؟ .

- هذه الفتاة ، لماذا تفعل كل ما يقنع ذلك الشاب بأنها تحبه وتريده ، ثم ما إن يقترب خطوة منها ، حتى ترفضه بأكبر ضجة ممكنة ؟؟ .

- وهذا اللص المحترف ، لماذا يبدو في تصرفاته وكأنه يترك بطاقته في مكان الجريمة ، كأنما يسعى إلى أن تصل الشرطة إليه ؟ .

مثل هذه الأسئلة ،

مما يعرض لنا في حياتنا اليومية

والعمل والطريق ، في الحياة

الأبناء .. كل هذه الأسئلة

عليك أن تصل إلى إجابات

تفسيرا مقنعا لها بين

الكتاب ، ومن خلال

الحقبة التي ندخل فيها جميعا

العائلية والجنسية والعملية .

Bibliotheca Alexandrina



0515107



السعر المستهلك
٧ ...